

قضايا من هجته  
في الدعوة إلى الله  
(١٤)

# مُحْفَوَاتُ الطَّبِّعِ مَحْفُوظَةٌ

## الطَّبْعَةُ الْأُولَى

٢٠٢٢-١٤٤٣

© محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العواجي، محمد عبد العزيز محمد

موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -

المدينة المنورة، ١٤٤٢ هـ

١٦ مج.

ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٧-١٥٩٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٤)

١- الدعوة الإسلامية ٢- الدعاة أ- العنوان

١٤٤٢ / ٧١٧٩

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٤٢ / ٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٧-١٥٩٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٤)

تم هذا المشروع برعاية





مَكْتَبَةُ الدِّرَاسَاتِ وَالْمُشَافَرَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُشَافَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ  
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

مَوْسُوعَةٌ دَلِيلُ الدَّلِيلَةِ (١٤)

قَضَايَا مَنْهَجِيَّة

فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

مَشْرُوعٌ مَبْحَثِيٌّ قَامَ بِهِ مَكْتَبُ

الدَّرَاسَاتِ وَالْمُشَافَرَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ

تَحْتَ إِشْرَافِ مَعْهَدِ البُّحُوثِ وَالدَّرَاسَاتِ

فِي الجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

تَأَلَّفُ

د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ العَوَاجِمِيِّ

أُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ بِالجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

٢٠٢٢-١٤٤٣

المَجْلَدُ الحَادِي عَشَرَ - الجزءُ الثَّانِي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتورة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

الباحثين:

الشيخ: أحمد محمد عبدالهادي/ باحث دكتوراة قسم أصول الفقه بالجامعة الإسلامية بالدينة المنورة

الشيخ: محمد يسري المظالي/ ماجستير تخصص أصول الفقه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الشيخ: أحمد نادر شلبايه/ دكتوراه علوم الحديث من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -

ومدير البرنامج القيادي بكرسي تنمية المهارات

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية - جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

## الفصل الرابع

### قضايا منهجية في آليات الدعوة

ويتضمن سبعة مباحث:

**المبحث الأول:** التربية والتزكية في العمل الدعوي

**المبحث الثاني:** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**المبحث الثالث:** رفع الظلم وكلمة الحق عند سلطان جائرٍ

**المبحث الرابع:** الجهاد وعلاقته بالدعوة.

**المبحث الخامس:** الدعوة إلى الله بين السرية والجهرية.

**المبحث السادس:** الدعوة إلى الله والعمل السياسي.

**المبحث السابع:** فقه التعامل مع الشبهات.



# المبحث الأول:

## التربية والتزكية في العمل الدعوي

ويتضمن أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** مفهوم التربية والتزكية.

**المطلب الثاني:** أهمية التربية والتزكية.

**المطلب الثالث:** معالم في التزكية والتربية.

**المطلب الرابع:** ثمرات التزكية والتربية.







## المبحث الأول التربية والتزكية في العمل الدعوي

للتزكية والتربية دور قوي في نجاح الدعوات سواء على مستوى الداعية أو المدعو أو الدعوة، وإدراك الداعية لهذه القضية يعينه على أن ينطلق في ساحات العمل الدعوي يبني جيلاً ربانياً بإذن الله تعالى.

إبراز هذه القضية في الدعوة إلى الله سيكون في أربعة مطالب<sup>(١)</sup>:

### المطلب الأول

#### مفهوم التربية والتزكية

##### أ- أولاً: تعريف التزكية:

**أصل الزكّاة:** النموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمر الدنيويّة والأخرويّة.

**يقال:** زكّا الزرع يزكو: إذا حصل منه نموّ وبركة<sup>(٢)</sup>.

**وأما في الشرع فهي:** إصلاح النفوس وتطهيرها، عن طريق العلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: معالم في السلوك وتزكية النفوس د. عبدالعزيز آل عبداللطيف، ومعالم في أصول الدعوة د. محمد يسري، ورسالة تزكية النفوس لشيخ الإسلام، والتحفة العراقية في الأعمال القلبية.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٨٠.

(٣) ينظر: معالم في السلوك وتزكية النفوس د. عبدالعزيز آل عبداللطيف ص ٥٧.



### ١- ثانياً: تعريف التربية:

**التربية لغةً:** كما يقول الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل التربيّة، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام<sup>(١)</sup>.

**واصطلاحاً:** تنمية الجوانب المختلفة لشخصية الإنسان، عن طريق التعليم، والتدريب، والتثقيف، والتهديب، والممارسة؛ لغرض إعداد الإنسان الصالح لعمارة الأرض وتحقيق معنى الاستخلاف فيها<sup>(٢)</sup>.

### ١- ثالثاً: المقصود بالتربية والتزكية في الدعوة:

**فالتربية والتزكية:** عملية نقل المعلومات الذهنية من حيز الإدراك الجامد إلى حيز التطبيق العملي الحي، بصورة متدرجة، ومتأنيّة، ومتكاملة، ومتوازنة، ومستمرة، وبطريقة عميقة جذرية مؤثرة.

وإذا أطلقت كلمة الدعوة فإنها تشمل في طياتها البلاغ والتربية، وإذا اجتمعت مع التربية في سياق واحد كانت الدعوة حينئذ: البلاغ والتعريف، وكانت التربية: البناء والتكوين، فالأولى في حق الغافلين والجاهلين والمعرضين المصيرين، والثانية في حق المستجيبين المقبلين<sup>(٣)</sup>.

### ١- رابعاً: أنواع التربية:

تتعدد أنواع التربية بتعدد المستفيدين وموضوع التربية:

■ فترية علمية تؤهل القادرين، وتبني ملكات الفهم، وتضبط قواعد العلم.

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٣٦.

(٢) التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم د. صالح بن علي أبو عراد ص ٥.

(٣) معالم في أصول الدعوة ص ٨٣ - ٨٤ باختصار.



- وتربية وجدانية تعنى بالمشاعر، وترعى الخواطر، وتوقظ القلوب.
- وتربية جهادية تحرك إيمان الصادقين، لتدافع عن ديار المسلمين.
- وتربية إيمانية تصون الإيمان أن يبلى، واليقين أن يُزوى، والفرد أن يتردى.
- وتربية توجه للأمة عامة لوقايتها وتحسينها وعلاج ما بها من أخطاء.
- وتربية توجه لقاعدة الدعوة بخاصة لتنتج وتبذل لهذا الدين ببصيرة وبذل<sup>(١)</sup>.



## المطلب الثاني

### أهمية التربية والتزكية

**لا شك أن عامة المسلمين والدعاة إلى الله على وجه الخصوص بحاجة**

**ماسة إلى معرفة معالم تزكية النفس وتربيتها، ويرجع ذلك لعدة أسباب:**

١- أن من أعظم مهام الدعاة الربانيين تربية الناس وتزكية نفوسهم؛ إذ هم أتباع الرسل الذين كانت التزكية من أعظم مهامهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة ٢].

٢- التربية والتزكية في حقيقتها تقريب المدعو من رتبة الكمال البشري بكل وسيلة مشروعة، وعليه، فالتربية تصنع الأجيال، وتهبئ الأشبال ليرتقوا ذرى الكمال، متسلحين بعقائد صحيحة، وأعمال سالحة، وأخلاق زاكية في الدنيا، كما تهبئهم لأنعم نعيم أهل الجنة في الآخرة.

(١) معالم في أصول الدعوة ص ٩٢-٩٣ باختصار.



٣- والتربية هي التي تحول العقيدة المستكنة في الضمائر يقيناً إلى حقيقة سلوكية في الواقع، وترسخ معاني الألوهية في القلب؛ ليصبح يقيناً لا تزلزله محنة وابتلاء، كما لا تغيره نعمة ورخاء، وهذه التربية تحتاج إلى ترسيخ الأخلاق، وتقويم السلوك، وتعميق الوعي، ولا يتحقق هذا إلا بعمل مستمر دائم، وعزم لا يلين.

٤- وتتعاظم أهمية التربية؛ لأن الدعوة والدعاة يتعرضون فوق كل أرض وتحت كل سماء للفتن أنواعاً متنوعة، بالخير والشر، والرغبة والرغبة، ولا يعصم -ياذن الله- من فتنة السراء والضراء إلا تربية تُعظّم أمر الآخرة، وتصغر شأن الدنيا، وتؤثر ما يبقى على ما يفنى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤَيِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٧].

٥- التربية وقاية من مفسدات الزمن، فهذا الزمن يتميز بتقدم مذهل في وسائل التقنية ونقل المعلومات، فدارت عجلة الفساد سريعة عبر تلك المعابر، اقتحمت حصون الأمة، وهددت من داخلها، كل ذلك يقتضي عناية خاصة بالتربية؛ لتكون حصانة للأمة بعامه، وللدعاة بخاصة.

٦- والتربية على العمل بالعلم، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، والاقتران والتأسي بالمثل الكامل، تحقق حصانة للأمة بعامه، وللدعاة بخاصة.

٧- يتميز هذا الزمان بأزمة في الكفاية والإتقان؛ فيُشتكى من جلد الفاجر وعجز الثقة، وتضعف القوة والكفاية، ويخف الصدق والأمانة، والتربية على إحسان العمل، ورعاية حقوق الله تعالى، وحقوق خلقه، أداءً للأمانة، وقياماً بالواجب، تمثل حصانة للأمة بعامه، وللدعاة بخاصة.



٨- القيام بواجب التربية والتزكية للنفوس هو في الحقيقة تهيئة الأمة للمطالبة بتحقيق شرع الله في الأرض وتطبيقه، وما أحسن مقولة من قال: «أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم في أرضكم»<sup>(١)</sup>.

٩- وإن العناية بالتربية لطائفة مخصوصة من الأمة تهيئ لها فئات فذة قادرة على البذل والعطاء، وتحقيق الآمال، والمرابطة على الثغور العلمية والعملية؛ حماية للدين من كيد الكائدين وعبث العابثين.

١٠- كثيراً ما يُردُّ الإخفاق في تحقيق الأهداف الدعوية إلى أسباب داخلية، وعمدة هذه الأسباب عند التحقيق هو الخلل التربوي:

■ فتارة يكون الخلل بسبب ضعف التربية، وتارة بسبب عدم تدرج التربية وقفز الأعرار فوق أكتاف الثقات.

■ وتارة بسبب عدم تكامل التربية؛ فتتضخم قضايا وأمور على حساب أمور أخرى لا تقل أهمية.

■ وتارة أخرى بسبب عدم التوازن بين التربية وأصول ومنطلقات الدعوة إلى الله.

١١- التربية الجادة المتكاملة المنضبطة دعامة تحقيق الأهداف، سواء كانت أهدافاً علمية أم عملية. فقد عد الإمام الشاطبي رحمته الله أمارات العالم فذكر منها: «أن يكون ممن ربّاه الشيوخ في ذلك العلم؛ لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير أن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السلف الصالح، فأول ذلك ملازمة الصحابة، رضي عنهم، لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وأخذهم بأقواله وأفعاله، وصار مثل ذلك أصلاً لمن

(١) نقلها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في رسالته التصفية والتربية ص ٣٣.



بعدهم، فالترزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقها ذروة الكمال في الأمور الشرعية»<sup>(١)</sup>.

**١٢-** مما يدل على أهمية التربية اتساع نطاق العمل الدعوي، فقوافل التائبين إلى الله تترى، وهي خليط متنافر من سلوكيات تربوية، لا يجمع بينها إلا أنها بعيدة عن المنهج السوي، وإقبالها على التربية وقد انتقلت إلى الصف الإسلامي بكل ما تحمله من رواسب المسالك الماضية، وإن تصعيدها في مدارج العمل الإسلامي من غير تصفية وتربية جادة لا بد أن ينعكس بآثار وبيلة على العمل بأسره، ما لم يتدارك ذلك بتربية حاسمة ومؤثرة، فلا بد من إزالة أضرار الماضي وتأسيس ببيان الحاضر على أسس مستقيمة وقواعد متينة.

**١٣-** أهمية إفراز الصفوف الثانية وتنشئتها، والكفايات البديلة، وصناعة الأجيال، فلا يصح ولا يصلح الاعتماد بعد الاتساع على شخصيات أسرة وقيادات كبرى فحسب؛ ذلك أن العمل التربوي يعتمد على المخالطة والاحتكاك المباشر، ولا يتأتى هذا لتلك القيادات الأولى، فلا بد من همزة الوصل بين الأجيال، وهم أفراد تلك الصفوف الثانية من طلبة العلم والدعاة النابيين، الذين يعتمد عليهم في تحريك القلوب، ومتابعة التعليم والتقويم المستمر، وعليه فلا بد من جهد تربوي ضخم لتربية أدوات التغيير ووسائله من الدعاة والمصلحين.

**١٤-** تنوع مجالات الدعوة وتخصصاتها ووسائلها، ويحتاج الأمر إلى من يسد الثغرات في سائر المجالات من الطاقات والكفايات، ولا يتأتى هذا إلا بوجود الإنتاج التربوي المتين الغزير، الذي يوصف بالرجولة والصدق، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

(١) الموافقات ١/ ٦٦.



فإن مجالات كثيرة قد أشرعت أبوابها، تنتظر من يلجها ويشارك فيها، ويضرب للدعوة فيها بسهم، وهذا يستلزم اعتماد التربية وسيلة وغاية في وقت واحد، مع التنبه إلى خطورة الاستعجال في التجميع على حساب التربية المنضبطة..

وفي الجملة فإن التربية أصل ضخمة وأساس متين، لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، وليس له غاية ينتهي عندها، ولا يستغني عنها الكبير فضلاً عن الصغير، ولا المنتهي فضلاً عن المبتدي<sup>(١)</sup>.

### **مع التنبيه إلى البصيرة في التربية تنظيراً وتطبيقاً فلكل عمل عظيم آفات، فمن أخطر آفات التربية :**

- ١- التهوين من شأن العقيدة، وضعف التربية على معانيها.
- ٢- والتربية على التقليد والتعصب لرؤية أو شعار دون الإسلام.
- ٣- والمغالاة في النظرة للتربية الخاصة على حساب البلاغ المبين للدين.
- ٤- والاهتمام بالشكل دون المضمون، والعناية بالظاهر على حساب الباطن.
- ٥- وفقدان التوازن بين أنواع التربية ومجالاتها.
- ٦- واتخاذ الترخص الجافي منهجاً في مسائل الفقه والأحكام، أو اعتماد التنطع الغالي منهجاً في مسائل الدين والسلوك.
- ٧- وكما أن التهور والاندفاع اليائس يعكس خللاً تربوياً، فالتشاغل والتباطؤ ينبئ عن عجز وكسل، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم<sup>(٢)</sup>.



(١) معالم في أصول الدعوة ص ٨٣- ٩٢ باختصار وتصرف.

(٢) معالم في أصول الدعوة ص ٩٣.



## المطلب الثالث

### معالم في التزكية والتربية

نعرض لأهم معالم التربية والتزكية عند أهل السنة والجماعة، في النقاط التالية<sup>(١)</sup>:

#### ﴿ أولاً: توحيد مصدر التلقي في التربية والتزكية ﴾

**أي:** أن يكون مصدر التربية على العلم والفهم، العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق؛ هو الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة قال تعالى: ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ ﴾ (١١٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۗ ﴾ (١١٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۗ ﴾ (١١٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَانَا فَتَسِينَاهُ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِي ۗ ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

إن توحيد مصدر التلقي واضح جلي لمن تدبر قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال ابن القيم رحمته الله: «الاعتصام بحبله يعصم من الضلالة والهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق، والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له»<sup>(٢)</sup>.

وقد أمر الله ﷻ بطاعته وطاعة رسوله ﷺ في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۗ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

(١) ينظر: معالم في السلوك في تزكية النفوس د. عبد العزيز آل عبد اللطيف ص ١٣، وما بعده بتصرف، ومعالم في أصول الدعوة د. محمد يسري ص ٨٩ وما بعدها، تزكية النفوس وتربيتها كما يقررها علماء السلف د. أحمد محمد كنعان، ومن كتب المتقدمين في ذلك كتاب تزكية النفس لشيخ الإسلام، ومختصر منهاج القاصدين.

(٢) مدارج السالكين ١/٤٥٨.





وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، قال أبو بكر رضي الله عنه: ثكلتك الثواكل، ما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو بدلكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)<sup>(١)</sup>.

### ◆ ثانياً: التربية على الربانية بربانية:

إن الربانية تحقق بتلك الصلة الوثيقة بالله تعالى، أداءً للفرائض، واجتناباً للمحارم، واستدامة للذكر، وعناية بالشكر، وتحلياً بالصبر، وإيثاراً للإيثار، واتساحاً باليقين، وتلذذاً بالصيام، وتنعماً بالقيام، وتربية بصغار العلم قبل كباره، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَغِنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، أولئك الربانيون، فهم العلماء العاملون، والحكماء المربون، والفقهاء المعلمون<sup>(٢)</sup>.

إن سياج الربانية يقيم في قلب المترابي فرقاناً بين الحق والباطل، وينشئ حاجزاً بينه وبين مضلات الفتن، ويضبط السلوك ويقىم الجوارح على رعاية السنن والهدي الظاهر، وحسن السمات، وملازمة الأدب، وإذا كان الإسلام هو الدواء الناجع لمشاكل البشرية، فإن العلماء الربانيين الطائفة القائمة على تحقيق ذلك.

(١) مسند أحمد ٣/٣٨٧ (١٥١٩٥)، شعب الإيمان ١/١٩٩ (١٧٦) مجمع الزوائد ١/١٧٣-١٧٤ وله شواهد كثيرة تقويه. وأخرج الألباني رواية جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض الكتب قال فغضب وقال: (امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية) قال الألباني: حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في المشكاة ١/٨ (١٧٧) ثم خرجت بعضها في الإرواء ٦/٣٨.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ١/٦٣، جامع البيان ٣/٣٢٧.



### ◆ ثالثاً: التربية على الوسطية بوسطية :

إذا كان أهل السنة وسطاً في باب الاعتقاد، فكذلك هم وسط في باب السلوك بين طرفي الإفراط والتفريط، فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه.

فأهل السنة وسط في باب الإخلاص بين المرائين والملامية.

وهم وسط بين المشتغلين بإقامة العبادات القلبية دون العملية، والمشتغلين بإقامة رسوم العبادات الظاهرة دون الباطنة، فكانوا أهل العبادة الظاهرة والباطنة.

وهم وسط بين من يريد من الله ولا يريد الله، وبين من يريد الله ولا يريد من الله، فهم يريدون رضا الله وجنته، وأما غيرهم فمنهم من يريد رضا الله ولا يريد جنته، كحال كثير من المتصوفة، ومنهم من يريد نعيم الجنة المخلوق، ولا يريد رضا الله كحال كثير من المتكلمة.

وهم وسط بين أصحاب التفريط والاستهتار والإسراف والمبالغة في المتع والترف، وأصحاب الإفراط في التصوف والرهبانية والتشديد على النفس وتعذيب البدن.. فلا إسراف في تنعيم الأبدان ولا تنطع وحرمان.

وهم وسط في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الوعيدية والمرجئة، فالوعيدية من الخوارج والمعتزلة قد ينكرون المنكر، لكن بنوع من التعدي والإفراط، فجوزوا الخروج على أئمة الجور وقتالهم، مما ترتب عليه أنواع من الفساد والمنكرات أكثر مما أزالوه، وأما المرجئة فقد تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظناً أن ذلك من باب ترك الفتنة. فأهل السنة يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، مع مراعاة مقاصد الشريعة، والحرص على لزوم الجماعة والائتلاف، والبعد عن الفرقة والاختلاف.



### ◆ رابعاً: موافقة النصوص الشرعية لفظاً ومعنى في التربية والتزكية :

ومنهج التربية والتزكية يقوم على موافقة نصوص الشارع في السلوك لفظاً ومعنى، فليس أهل السنة من الذين وافقوا النصوص في اللفظ دون المعنى كالباطنية، وليسوا كالذين تكلموا في المعنى بألفاظ مبتدعة ككثير من الصوفية، وليسوا كالذين خالفوا النصوص لفظاً ومعنى كالفلاسفة والملاحدة.

وإنما هم -بحمد الله- أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، الذين أقاموا معالم السلوك وتزكية النفوس، وتحققوا بالمعاني وتمسكوا بالمباني، علماً وحالاً، وعملاً ومقالاً، فلا يشتهب لديهم الزهد الشرعي بالعجز والكسل، ولا التوكل بالتواكل، ولا الورع الشرعي بالبدعي.

### ◆ خامساً: مراعاة أحوال المدعوين في التربية :

وذلك بتحقيق الجانب الواقعي الإيجابي، والابتعاد عن المثالية والسلبية، والاعتناء بالجوانب العملية بعيداً عن الاشتغال فيما لا تحته عمل كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا)**<sup>(١)</sup>.

فأولى القربات الفرائض المكتوبات، وأما تكليف النوافل المندوبات فبحسب الوسع والطاقة، و**(أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)**<sup>(٢)</sup>.

**قال الحسن البصري:** «إن هذا الدين دين واصل، وإنه من لا يصبر عليه يدعه، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، وكان يقال: ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإنه لا

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب المداومة على العمل (٦٤٦٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (٢٨١٨).



يدري ما قدر أجله، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف، وكلف نفسه ما لا يطيق، أو شك أن يسيب ذلك كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف، وكلف نفسه ما تطيق كان أكيس، وأمنعها من العدو»<sup>(١)</sup>.

**ومن ذلك أيضا:** مراعاة قدرات الناس في فعل الطاعات: وذلك بمراعاة تفاوت قدرات الناس في فعل الطاعات، وذلك بسبب اختلاف استعداداتهم، وتنوع مواهبهم وميولهم.

وقد قرر الإمام مالك رحمته الله ذلك، فقد ورد أنه لما كتب عبد الله لعمري العابد إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه الإمام مالك: «إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر»<sup>(٢)</sup>.

**وقال شيخ الإسلام:** «وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى الله وهو عليه أقدر، فقد يكون على المفضل أقدر منه على الفاضل، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له، وهو في حقه أفضل، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً، إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع»<sup>(٣)</sup>.



(١) الزهد لابن المبارك ص ٤٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ١١٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥١ - ٦٥٢.



## المطلب الرابع

### ثمرات التزكية والتربية<sup>(١)</sup>

لا شك أن للاعتناء بالتربية والتزكية ثمراتٍ عديدةٍ يانعةٍ ورائعةٍ، وأهما:

﴿ أولاً: المبادرة والمشاركة لفعل الخير؛

لقد قرر القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾  
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبَهُمْ  
وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

فالآيات تُعطي دلالات واضحة على أن أصحاب القلوب المؤمنة الخاشعة لربها هم أكثر الناس مسارعة للخيرات وأسبقهم إليها.

﴿ ثانياً: تقوية الوازع الداخلي؛

فكلما قوي الإيمان، ازدادت حساسية الفرد تجاه الوقوع أو مجرد الاقتراب من الشبهات والمحظورات، والعكس صحيح، فكلما ضُعب الإيمان نقصت تلك الحساسية..

فقد قال رسول الله ﷺ: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه) فقال به هكذا، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: نظرات في التربية الإيمانية د. مجدي الهلالي ص ١٢ باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨).



### ﴿ ثالثاً: الزهد في الدنيا: ﴾

من تعريفات الزهد: انصراف الرغبة في الشيء مع وجوده وحال الناس مع الدنيا بدون الإيمان كحال الأطفال مع لعبهم، ولكي يزهّدوا فيها لابد من نمو الإيمان في قلوبهم.

فعندما يقوى الإيمان في القلب يقل تعلق صاحبه بالدنيا، ورغبته فيها، وحرصه عليها.

نعم، هو لن يتركها ببدنه بل يتركها بقلبه، فالزهد حالة شعورية يعيشها المرء كانعكاس لنمو الإيمان الحقيقي في قلبه، وهو لا يستلزم الفقر، ولا يتنافى مع الغنى.

### ﴿ رابعاً: التأييد الإلهي: ﴾

فالبشر عند الله كلهم سواء وإنما الكرامة عنده سبحانه على قدر الاستقامة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْقًا﴾ [الجن: ١٦].

وكلما ارتقى العبد في سلم الإيمان ازدادت ولاية الله له: ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وفي الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)<sup>(١)</sup>، هذه الولاية والكفاية تشمل الفرد المؤمن، وتشمل المجتمع المؤمن.

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).



### ٥ خامساً: إيقاظ القوى الخفية في النفس:

عندما يتمكن الإيمان من القلب تزداد رغبة العبد في القيام بكل ما يحبه ربه ويرضاه فتجده يتحدى الصعاب، ويتحمل الشدائد في سبيل ذلك.

الإيمان الحي يوقظ القوى الخفية داخل الإنسان ويجعله دوماً يتحدى أوضاعاً أقوى منه، ويجتاز مصاعب أعظم بكثير من حدود إمكاناته.

### ٦ سادساً: الرغبة في الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَابِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا

لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فكلما ازداد الإيمان بالله ﷻ ازدادت ثقة العبد فيه سبحانه وبأنه مالك الملك، المتصرف في شؤون كل ذرة فيه، وبنمو هذه الثقة في القلب تزداد رغبة العبد في ربه فيصبح ذهنه مشغولاً بالتفكير فيه، وقلبه حاضراً معه.. فيتوجه إليه بالأعمال، ويتزين له بالأفعال التي ترضيه، يكثر من مناجاته وبحث أشواقه إليه يسترضيه كلما قصر أو زلت قدمه يطلب منه المساعدة في كل أموره، والشهادة على ما يحدث له.

### ٧ سابعاً: اختفاء الظواهر السلبية وقلة المشكلات بين الأفراد:

عندما يضعف الإيمان: يعلو الهوى ويسيطر على الإرادة.

والهوى هو كل ما تميل إليه النفس، أي أن غلبة الهوى معناها سيطرة النفس بأطماعها على إرادة الإنسان وقلبه، فيصبح أسيئاً رالها.

وهكذا تنطلق جميع الظواهر السلبية والمشكلات من ضعف الإيمان وغلبة هوى النفس.



والحل الأول والأمثل لعلاج المجتمع المسلم من ظواهره السلبية إنما يكون بإصلاح الإيمان، فكلما ازداد الإيمان في القلوب انحسر تأثير الهوى عليها وقويت الإرادة ودفعت صاحبها لمكارم الأخلاق ومعاليها.. تأمل قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص ٢٤].

### ﴿ ثامناً: التأثير الإيجابي في الناس: ﴾

نجاح الداعية في دعوتها للناس يعني التأثير الإيجابي فيهم.. هذا التأثير يستلزم وجود روح حي، ورغبة جارفة تهيمن على قلبه تستحثه لإنقاذ الآخرين، فيخرج كلامه محملاً بالحرقة والشفقة عليهم، ولا يمكن التلبس بهذه الحالة إلا من خلال يقظة الإيمان وتمكنه في قلبه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَنَا نِزْلًا مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩].

إنها الرحمة المنبثقة من القلوب الرقيقة الرفيعة، التي تطلب رضا الله. ولا تبتغي جزاء من الخلق ولا شكراً، ولا تقصد الاستعلاء على المحتاجين ولا خيلاء. كما تتقي بها يوماً عبوساً شديداً العبوس، تتوقعه وتخشاها، وتتقيه بهذا الوقاء.

صور الإحسان ووسائله قد تتغير بحسب البيئات والظروف، والذي يجب الاحتفاظ به هو حساسية القلوب، والرغبة في الخير ابتغاء وجه الله، والتجرد عن البواعث الأرضية من جزاء أو شكر أو نفع من منافع الحياة!

أمر لا بد أن لا يغفل عنه الدعاة وهو تهذيب أرواحهم وهم يبذلون في طريق دعوتهم، ورفعها إلى ذلك المستوي الكريم، وهذا لا يجوز إغفاله ولا التهوين من شأنه ولا أن تنقلب المعايير فيوصم ويقبح ويشوه.





### ﴿ تاسعاً: اتخاذ القرارات الصعبة: ﴾

يتعرض المرء في حياته لمواقف تحتاج منه إلى اتخاذ قرارات قد ينتج عنها نقص يلحق به، أو أذى يُصيبه، أو ضيق الآخرين منه، لذلك تجده متردداً قبل اتخاذها، ويظل يُفكّر فيها، ويوازن بين الواجب الديني الذي يحثُّه على فعل الشيء وبين الأضرار التي قد تترتب على فعله، مما قد يؤدي في النهاية إلى ترك القيام به، فيُفوّت على نفسه مصالح كثيرة في دنياه وآخرته.

هذا الحال يعكس صَعْف القلب وعدم تمكن الإيمان منه، وفي المقابل؛ كلما ازداد الإيمان قَوِي القلب وسهل على صاحبه اتخاذ القرارات.

وله في سحرة فرعون أسوة حيث انقلبوا عليه بعد أن كانوا من رجاله، وآمنوا بربهم لما رأوا الآيات البيّنات، وتحملوا أعباء هذا القرار مع هذا الطاغية المتعجب.

قال الله حكاية عنهم: ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ [طه: ٧٠-٧٢].

### ﴿ عاشراً: الشعور بالسكينة والطمأنينة: ﴾

الإيمان الحق بالله ﷻ يعني: الثقة به سبحانه رباً قادراً على فعل أي شيء وكلما تمكنت هذه الثقة في قلب العبد تبددت منه المخاوف التي ترهب الناس: كالخوف من سطوة الظالمين والخوف من المستقبل المجهول وما تخبئه الأيام.



وكلما ضعف الإيمان، وقلت الثقة زادت المخاوف، وظهرت أمارات الهلع والفرع والاضطراب عند التعرض لابتلاء أو نقص أو تضيق، ألم يقل سبحانه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].



## المبحث الثاني:

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويتضمن أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** مكانة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في الدين.

**المطلب الثاني:** شروط إنكار المنكر.

**المطلب الثالث:** مراتب إنكار المنكر.

**المطلب الرابع:** تنبيهات منهجية في الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر.





## المبحث الثاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مكنن عز الأمة وعنوان خيريتها، ولأنها عبادة عظيمة يتعبد بها لرب العالمين، فكان لابد من معرفة الداعية لأهميتها وشروطها وضوابطها حتى يقوم بها على أقوم وجه وأفضل طريقة. ونتعرض من خلال أربعة مطالب ما لا يسع الداعية إلى الله جهله فيما يتعلق بشعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.



### المطلب الأول

#### مكانة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله أصل عظيم من أكد الأصول الإسلامية وأوجبها وألزمها، إنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، وللنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك والعمل لغير الله، وشرع الجهاد لأجل ذلك، وإن كان الجهاد قدراً زائداً على مجرد الأمر والنهي.

(١) تقدم الحديث عن مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعض المسائل المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفصل الأول من الباب الأول، وكذلك في فصل مقاصد الدعوة عند مقصد الإعذار إلى الله، وللإستزادة ينظر: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية، والأحكام السلطانية للماوردي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د. خالد السبت، والأصول العلمية والعملية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أ.د عبد الرحيم المغذوي.



**قال الغزالي:** «فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد»<sup>(١)</sup>.

**وقال النووي:** «واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم أن الأجر على قدر النصب»<sup>(٢)</sup>.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عليها يتوقف قيام الدين، فلولا ما قام الإسلام، ولا ظهر دين الله، ولا علت كلمته، ويتوقف على القيام بها أيضاً

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٠٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٢٤.



قيام الدولة الإسلامية واستقامتها وصلاحتها<sup>(١)</sup>.

### وبيان مكانة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النقاط التالية :

**أولاً:** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد الدعوة الدائم، ودورها الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه، ولا تحقق لتمام الولاية بين المؤمنين إلا به، وقد نعت الله النبي ﷺ والمؤمنين بصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

**ثانياً:** صلاح العباد جميعهم وصيانة الحرمات، وأمن المجتمعات متوقف على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ إن صلاح العباد ومعايشهم في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس بإقامته على وجه الصواب، كما قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فقدم الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله تعالى، هذا يدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لا يمكن أن ينتشر الإيمان بالله إلا عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**ثالثاً:** بإضاعته استحق بنو إسرائيل اللعن على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [٧٨، ٧٩] فلا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من فعلوه لئس ما كانوا يفعلون ﴿ [المائدة: ٧٨، ٧٩] فلا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من أضاع حظه ونصيبه من العلم والإيمان.

(١) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لعبدالعزیز الراجحي ص ١٢.



**رابعاً:** بأدائه على وجه يخرج المكلف من عهدة التكليف، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ لِّإِنِّي رَبِّكَرٌ وَعَلَهُمْ يَنْقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

**خامساً:** بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحصل النجاة من عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود ١١٧]، ولم يقل وأهلها صالحون!! لأن الذي يعمل على إصلاح الناس هو الذي يحيي الأمة ويعمل على نجاتها، أما الصالح فلنفسه فقط، فهو لا يعمل لنجاة نفسه ولا لنجاة أمته ومجتمعه.

**وقد وضع الله هذا المعنى أكثر فقال تعالى:** ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف ١٦٥]، فالناجون هنا هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

**سادساً:** «ليس الاشتغال بهذه الفريضة ترفيعاً لبعض مظاهر الفساد، وتحصيلاً لمصالح جزئية لا قيمة لها، بل هو من أجل مهام سيد المرسلين ﷺ، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]»<sup>(١)</sup>.

**سابعاً:** خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فعن عدي بن عميرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوِيَ الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْكَرُوهُ فَلَا يَنْكَرُوهُ فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ)<sup>(٢)</sup>.

(١) معالم في أصول الدعوة ص ١٠٩.

(٢) مسند أحمد ٤/ ١٩٢ (١٧٧٦٥)، تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. وقال الهيثمي: رواه أحمد من طريقين إحداهما هذه والأخرى عن عدي بن عدي حدثني مولى لنا وهو الصواب وكذلك رواه الطبراني وفيه رجل لم يسم وبقيته رجال أحد الإسنادين ثقات. ينظر: مجمع الزوائد ٥/ ٥٢٧.





وقال النبي ﷺ أنه قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)<sup>(١)</sup>.

**ثامناً:** «والأمر المعروف والنهي عن المنكر شعار الجماعة الناجية، وإذا فقد من أمة من الأمم فقد منها صفات الخير، وهو واجب على كل واحد لكل أحد. وهو أثر من آثار الإيمان، وأثر من آثار حب الفضيلة، وأساس من أسس صلاح المجتمع، وهو يوقظ الشعور وينبه الضمير، ويخيف المقدم على المنكر، وإذا تضامن الناس في ذلك كما هو الواجب شرعاً ووجد تضامناً من الناس على الفضيلة - وهي فعل المعروف - فلا تضع الفضيلة بينهم، ووجد تضامناً على استنكار الرذيلة فلا توجد بينهم»<sup>(٢)</sup>.



## المطلب الثاني

### شروط إنكار المنكر

شروط إنكار المنكر أربعة، كالتالي<sup>(٣)</sup>:

➡ **أولاً: التحقق من كونه منكراً:**

والمنكر كل ما نهى عنه الشارع سواء كان محرماً أو مكروهاً، وكلمة المنكر في

(١) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٢٣٦١).

(٢) لقمان الحكيم وحكمه ص ١٦٤.

(٣) ينظر: رسالة القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبد العزيز الراجحي، وقواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة د. حمود الرحيلي.



باب الحسبة تطلق على كل فعل فيه مفسدة أو نهدت عنه الشريعة، وإن كان لا يعتبر معصية في حق فاعله إما لصغر سنه أو لعدم عقله، ولهذا إذا زنا المجنون أو هم بفعل الزنا، وإذا شرب الصبي الخمر كان ما فعله منكراً يستحق الإنكار، وإن لم يعتبر معصية في حقهما لفوات شرطي التكليف وهما البلوغ والعقل.

ويندرج في المنكر جميع المنكرات سواء من صغائر الذنوب أم من كبائرها، وسواء أكانت تتعلق بحق الله تعالى أم بحق خلقه، والذي يملك الحكم على الشيء بأنه منكر أو غير منكر هو الشرع.

### ﴿ ثانياً: أن يكون المنكر موجوداً في الحال: وله ثلاث حالات:﴾

**الحالة الأولى:** أن يكون المنكر متوقفاً كالذي يسأل بكثرة عن كيفية تصنيع الخمر وطريقة تركيبه. فعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الحالة الوعظ، والنصح، والإرشاد، والتخويف بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من عذابه وبطشه.

**الحالة الثانية:** أن يكون متلبساً بالمنكر كمن هو جالس وأمامه كأس الخمر يشرب منه، أو كمن أدخل امرأة أجنبية إلى داره وأغلق الباب عليهما ونحو ذلك، ففي هذه الحال يجب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإنكار عليه ونهيه عن ذلك طالما أنه قادر على إزالة المنكر ولم يخف على نفسه ضرراً أو أذى.

**الحالة الثالثة:** أن يكون فاعل المنكر قد فعله وانتهى منه ولم يبق إلا آثاره، كمن شرب الخمر وبقيت آثاره عليه، أو من عرف أنه ساكن أعزب وخرجت من عنده امرأة أجنبية عنه، ونحو ذلك. ففي هذه الحال فليس هناك وقت للنهي أو التغيير، وإنما هناك محل للعقاب والجزاء على فعل المعصية. وهذا الأمر وإنما هو من شأن ولي الأمر أو نائبه، فيرفع أمره للحاكم ليصدر فيه الحكم الموافق للشرع.



### ثالثاً: أن يكون ظاهراً من غير تجسس ما لم يكن مجاهراً:

وذلك أن الإسلام ضمن للإنسان أن يعيش في المجتمع آمناً مطمئناً محترماً موقراً طالما أنه سلك الطريق الصحيح المستقيم، أما إذا حاد عن الطريق فإن الإسلام جعل لكل أمر معوج ما يناسبه من الإصلاح والتقويم.

ومن الأمور التي شرعها الإسلام لاحترام الإنسان وأمنه: النهي عن التجسس عليه، فلا يجوز للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتسور الجدران أو يكسر الأبواب ليطلع على بيوت الناس ويتجسس عليهم ما لم يظهر لهم شيء من ذلك، لأن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر همه إصلاح الناس وليس تتبع عوراتهم وكشفها، وإصغاء الأذان لكل متكلم، وملاحقة الناس والتنقيب عن زلاتهم.

**قال أبو عبدالله المواق:** «وليس الأمر بالمعروف والبحث والتنقيب والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل إن عثر على منكر غيره جهده»<sup>(١)</sup>.

فوجب مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحرص على ستر عورات الناس وحفظ أسرارهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وهناك حالة واحدة يجوز له أن يتجسس فيها: وهي إذا خاف وقوع المنكر وفواته<sup>(٢)</sup>، قال الماوردي: «أن يكون في ترك التجسس انتهاك حرمة، يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث، حذراً من فوات ما لا يستدرك من

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل ٤/٥٣٩.

(٢) يمكن مراجعة الأدلة والتوسع في المسألة من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ: عبد العزيز بن أحمد المسعود ٢/٢٢٧-٢٤٦.



انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات»<sup>(١)</sup>.

﴿ رابعاً: أن يكون الإنكار في الأمور التي لا خلاف يعتبر فيها:

**أي:** لا إنكار في موارد الاجتهاد، فمن الأمور اللازمة لنجاح الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتسع صدره لقبول الخلاف فيما يسوغ فيه الخلاف. وهناك مسائل فرعية ليست من الأصول يختلف فيها الناس كثيراً، وتتباين أقوالهم فيها، وهي في الحقيقة مما يجوز فيه الخلاف، فمثل هذه المسائل لا يكفر من خالف فيها، ولا ينكر عليه، لأنها مما وسع الله فيها على عباده.



### المطلب الثالث

#### مراتب إنكار المنكر

لا بد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التغيير باليد والإنكار باللسان حسب الحاجة من غير تجاوز، لقول النبي ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٢)</sup>.  
وعلى ذلك فمراتب تغيير المنكر ثلاثٌ وهي<sup>(٣)</sup>:

#### المرتبة الأولى: الإنكار باليد:

وهي أقوى مراتب الإنكار وأعلاها، وذلك كإزالة الخمر، وكسر الأصنام

(١) الأحكام السلطانية (٢٥٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، حديث رقم (٤٩)

(٣) ينظر: رسالة القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبد العزيز الراجحي، وقواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة د. حمود الرحيلي.



المعبودة من دون الله، ومنع من أراد الشر بالناس وظلمهم من تنفيذ مراده، وإكزام الناس بالصلاة، وبحكم الله الواجب اتباعه ونحو ذلك.

وذلك لمن كان له ولاية على مرتكب المنكر كالسلطان أو من ينييه عنه كوالي الحسبة وموظفيه كل بحسب اختصاصه، وكذا المسلم مع أهله وولده، يلزمهم بأمر الله، ويمنعهم مما حرم الله، باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام، يقوم بهذا حسب الوسع والطاقة.

### فالتغيير باليد مشروط بـ:

- ١- حصول القدرة.
  - ٢- وألا يزول المنكر إلا باليد.
  - ٣- وألا يزول بيد فاعله لامتناعه ونحوه.
  - ٤- وألا يؤدي التغيير باليد إلى إثارة فتنة أو مفسدة أو منكر أعظم.
  - ٥- وألا يترتب عليه من الضرر ما لا يحتمل في النفس أو الغير.
  - ٦- وأن يقتصر في التغيير على القدر المحتاج إليه من غير زيادة.
- وتقدير ذلك عملياً من أمور الاجتهاد التي توكل لأهله دون غيرهم<sup>(١)</sup>.

### المرتبة الثانية: الإنكار باللسان:

وهذا عام لآحاد الناس في الأمور الظاهرة التي لا لبس فيها ولا اجتهاد، ولا تحتاج إلى عارف بدرجات المنكر ومآلاته.

**قال النووي:** «قال العلماء ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين قال إمام الحرمين والدليل عليه

(١) معالم في أصول الدعوة ص ١١٣، نقلاً عن: مختصر منهاج القاصدين ص ١٢٦، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢١٩/١، والتشريع الجنائي لعبدالقادر عودة ٥٠٦/١، والحسبة لابن تيمية ص ٢٥.



إجماع المسلمين فإن غير الولاية في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاية بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية والله أعلم<sup>(١)</sup>.

**وقال الغزالي:** «فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للأحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي اوردناها تدل على أن كل من رأى منكراً فسكت عليه عصى؛ إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له»<sup>(٢)</sup>.

### وله أربع خطوات كالتالي<sup>(٣)</sup>:

**١ - التعريف باللين واللطف:** وذلك بأن يعرف مرتكب المنكر - إما بالإشارة أو التعريض حسب الموقف - بأن هذا العمل لا ينبغي أو حرام، وأنت لست ممن يفعل ذلك بالقصد، فأنت أرفع من ذلك، فإن الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكراً، فإذا عرف أنه منكر تركه وأقلع عنه.

**٢ - النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى:** وهذه الخطوة تتعلق غالباً في مرتكب المنكر العارف بحكمه في الشرع بخلاف الخطوة الأولى، فهي في الغالب تستعمل للجاهل في الحكم.

وأما العارف بالحكم فيستعمل معه أسلوب الوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى، ويذكر له بعض النصوص من القرآن والسنة المشتملة على الترهيب والوعيد، كما يذكر له بعض أقوال السلف في ذلك، ويكون بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٢٣.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٣١٥.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٣١٥، وتنبية الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس. ص ٤٧ - ٥٤.



**٣- الغلظة بالقول:** وهذه الخطوة يلجأ إليها المنكر بعد عدم جدوى أسلوب اللطف واللين، فحينئذ يغلظ له القول، ويزجره مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك. وعليه ألا ينطق إلا بالصدق، ولا يطيل لسانه بما لا يحتاج إليه بل على قدر الحاجة.

**٤- التهديد والتخويف:** وهذه الخطوة هي آخر المحاولات في النهي باللسان، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل كأن يقال لمرتكب المنكر: إن لم تنته عن هذا الفعل لأفعلنَّ بك كذا وكذا، أو لأخبرن بك السلطات لتسجنك وتعاقبك على فعلك. ولكن ينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً وشرعاً حتى يعرف أن المنكر صادق في تهديده.

**وهنا مسألة يجدر الإشارة إليها وهي:** في حال عدم القدرة على الإنكار باللسان، هل يجوز له الانتقال إلى الإنكار بالقلب مباشرة وهو قادر على درجة بينهما؟

**قال ابن النحاس:** «مَنْ لم يقدر على الإنكار باللسان، وقدر على إظهار دلائل الإنكار مثل تعبير الوجه، والنظر شذراً، والتجهم، وإظهار الكراهة لفعله، والازدراء به، وهجره في الله تعالى لزمه ذلك، ولا يكفيه العدول إلى الإنكار بالقلب مع إمكان دلائل الإنكار الظاهرة»<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

وإذا علم أن إنكاره لن يفيد ولن يؤتي ثمرته فعليه أن ينكر وإن لم يتحقق المراد، لئلا تدرس معالم الشرع، ويبقى المنكر وأهله في ضعف وخوف، ولا يغتر بهم ضعاف النفوس فينتشر المنكر، وتقوى شوكة العاملين به.

**قال النووي:** «قال العلماء رضي الله عنهم: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله؛ فإن الذكرى تنفع المؤمنين،

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس ص ٥٢.



وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي، لا القبول، وكما قال الله ﷻ ما على الرسول إلا البلاغ»<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن المناصف القرطبي:** «والأظهر عندي في هذا الوجه: أنه يجب عليه القول، وإن كان يائساً من كفّ ذلك المنكر؛ لأن الإنكار أخصّ فريضةً، لا يسقطه عدم تأثر المنكر عليه، ألا ترى أن إنكار القلب حيث لا يستطاع الإنكار بالقول واجبٌ باتفاق، وهو لا أثر له في دفع ذلك المنكر! فكذلك يجب القول إذا أمكنه، وإن لم يؤثر، وأيضاً ففي إعلان الإنكار تقريرٌ معالم الشرع، فلو وقع التّمالؤ في مثل هذا على التّرك حيث لا يغني الكف والإفلاع، لأوشك دروسها. قال الله ﷻ: ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فالقول إذا قدر عليه واجب، أثر أو لم يؤثر»<sup>(٢)</sup>.

### المرتبة الثالثة: التغيير بالقلب:

«والتغيير بالقلب لا يسقط أبداً وهو الأصل لتغيير المنكر بمراتبه المختلفة، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. وأهميته ترجع إلى كونه سبب حفظ الإيمان في القلوب وصيانته أن يذوب، فهو فرقان بين المؤمن والمنافق»<sup>(٣)</sup>.

**مع التنبيه إلى أنه:** «يتعين التدرج في الإنكار، فمع تغير القلب يبدأ بالتعريف، ثم الوعظ والتخويف، ثم التفرّيع والتعنيف، ثم التغيير باليد.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٢٣.

(٢) الإنجاد في أبواب الجهاد ص ١٥.

(٣) معالم في أصول الدعوة ص ١١٢.





على أن الغالب في زمن الاستضعاف وغربة الدين عند الاحتساب باليد استنفار العامة ضد الدعاة والتشويش على قضية الدعوة برمتها، وإيجاد ذرائع البطش والتنكيل بالعاملين كافة، مع استنزاف كثير من الجهود وتبديد كثير من الطاقات في مواجهات على حساب التربية والتصفية والبلاغ، وهذا يؤكد أهمية الإحاطة بفقهاء النص وظروف الواقع وملايساته عند معالجة هذا الأمر الخطير.

وبقدر كثرة المنكرات وتعددتها تكثر وسائل الإنكار والتغيير، وتتنوع مجالات النصح والتعبير وآلياته، وذلك عبر مختلف وسائل الإعلام والتأثير المكتوبة والمسموعة والمرئية<sup>(١)</sup>.



## المطلب الرابع

### تنبيهات منهجية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٢)</sup>

مجموعة من التنبيهات المنهجية حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجملها في النقاط التالية:

#### ○ أولاً: الشرع هو الأصل في تقرير المعروف والمنكر:

إن الميزان في كون الشيء معروفاً أو منكراً هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله الثابتة عنه ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة، وليس المراد ما يتعارف عليه الناس أو يصطلحون عليه مما يخالف الشريعة الإسلامية.

(١) معالم في أصول الدعوة ص ١١٣.

(٢) ينظر: رسالة القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبد العزيز الراجحي، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة د. حمود الرحيلي.



قال الإمام الشوكاني واصفاً أفراد الأمة الإسلامية بقوله: «إنهم يأمرون بما هو معروف في هذه الشريعة، وينهون عما هو منكر، فالدليل على كون ذلك الشيء معروفاً أو منكراً هو الكتاب والسنة»<sup>(١)</sup>.

ومصلحة الداعية والدعوة معا في اتباع القرآن وأوامره والسنة وأحكامها، ومن ذلك، قال شيخ الإسلام: «الدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه وهذا هو الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر»<sup>(٢)</sup>.

### ○ ثانياً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأصل أن هذه الفريضة تجب على الفور وتتعين في مواضع، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قال شيخ الإسلام: «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية، كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضاً كذلك، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته»<sup>(٣)</sup>.

وقال القرافي: «قال العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الفور إجماعاً، فمن أمكنه أن يأمر بالمعروف وجب عليه»<sup>(٤)</sup>.

«فكل منكر موجود في الحال، ظاهر للمحتسب بغير تجسس، معلوم كونه منكراً

(١) إرشاد الفحول، ص ٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/١٦١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/١٢٦.

(٤) الفروق ٤/٢٥٧.



بغير اجتهاد، فالإنكار فيه واجب<sup>(١)</sup>، وحسمه بما ينحسم به حتم لازم، بما لا يؤدي إلى مفسدة أكبر أو تفويت مصلحة أعظم<sup>(٢)</sup>.

ووجوب هذه الشعيرة مرتبط بتحقيق القدرة وغلبة المصلحة، فيسقط بالعجز، وبخوف الضرر المحقق، لقول النبي ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٣)</sup>.

كما يسقط بخوف الضرر المحقق، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: (إن الله تبارك وتعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر تنكره؟ فإذا لقن الله عبداً حجته قال: يا رب وثقت بك وفرقت من الناس)<sup>(٤)</sup>.

فوجوب الإنكار يشمل كل منكر، والاشتغال بالتغيير كل بحسبه وكل منكر بقدره، «والتكليف الشرعي مشروط بالممكن من العلم مع القدرة»<sup>(٥)</sup>.

### ○ ثالثاً: العلم والبصيرة بحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

**أي:** أن يكون الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر عالمياً بما يأمر به وبما ينهى عنه،.. يعلم ما هو المنهي عنه شرعاً حتى ينهى عنه، ويعلم ما هو المأمور به شرعاً حتى يأمر الناس به، فإنه إن أمر ونهى بغير علم فإن ضرره يكون أكثر من نفعه، لأنه قد يأمر بما ليس بمشروع، وينهى عما كان مشروعاً وقد يحلل الحرام ويحرم الحلال وهو لا يعلم.

(١) ينظر: إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٨، والأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٥٣.

(٢) ينظر: معالم في أصول الدعوة ص ١١٠، نقلاً عن: إعلام الموقعين ٣/ ٤ - ٥، وتفسير القرآن العظيم ١٦٤/ ٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم (٤٩).

(٤) مسند أحمد ١٧/ ٣٤٥ (١١٢٤٥) وقال شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن.

(٥) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٤٤.



ولأهمية العلم النافع أمر الله به، وأوجه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿ فَأَعَلَّمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وقد بوب البخاري في صحيحه لهذه الآية بقوله: «باب العلم قبل القول والعمل».

### ○ رابعاً: تقديم الأهم على المهم:

إن البدء بالأهم فالمهم من القواعد التي تحكم القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بأن يبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإصلاح أصول العقيدة، فيأمر بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وينهى عن الشرك والبدع والشعوذة، ثم يأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم بقية الفرائض وترك المحرمات، ثم أداء السنن وترك المكروهات.

والبدء بالدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ﷻ هو منهج الرسل جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا الأمر واضح جداً في حديث معاذ رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال له: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله: فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا: فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها: فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة التدرج كذلك، كأن يدعو إنساناً لا يصلي ويغتاب، فهنا يبدأ بالصلاة

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تأخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١٣٨٩) واللفظ له. ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعوة إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).



أولاً، ثم يتبعها بالنهاي عن الغيبة، مع العلم أنه لو صلى لانتهى عن الغيبة غالباً، لأن صلواته تنهاه عن ذلك.

ويكون في التدرج بيان حكم معين، ولقد أنزلت آيات تحريم الخمر على ثلاث مراحل، وذلك مراعاة للتدرج مع المدعويين.

### ○ خامساً: اعتبار المصالح والمفاسد:

**أي:** «ينبغي ترك الإنكار واستعمال الحكمة والصبر إذا أدى الإنكار إلى مفسدة أكبر وفتنة أشد.

وتقدير المصالح والمفاسد العامة في هذا الباب والترجيح بينها عند التعارض إنما هو بميزان الشريعة، وهو موكول إلى أهل العلم الذين يوثق بهم فقهاً ووعياً، ودينياً وورعاً.

وإن تقديم الأهم على المهم، والتدرج في مراتب الإنكار، والنظر في المآلات في هذا الباب وزوال المنكر بالكلية أو تخفيفه مطلوب شرعاً.. أما زواله مع زوال مثله من المعروف أو حصول مثله من المنكر فموضع اجتهاد ونظر.. أما زوال المنكر وحصول ما هو أكبر من أو فوات ما هو أكبر منه من المعروف فممنوع شرعاً»<sup>(١)</sup>.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «قيل: ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد.. فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في

(١) معالم في أصول الدعوة ص ١٠٩.



عباده وليس عليه هداهم»<sup>(١)</sup>.

وعند تزامن المصالح والمفاسد في أمر ما أو تعارض المصالح أو تعارض المفاسد يطلب الترجيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقدم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة. وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة وإن سمي ذلك ترك واجب وسمي هذا فعل محرم باعتبار الإطلاق لم يضر»<sup>(٢)</sup>.

ولا بد من التنبيه إلى أنه «لا يسبب القيام بهذه الشعيرة - بالضرورة - فتنة ومحنة تعوق العمل الإسلامي، وتعجل بالمصادمة مع الأنظمة والحكومات، ولا يمكن أن يكون الإنكار بعلم وحلم وصبر سبباً لنفرة الناس من الداعية والدعوة»<sup>(٣)</sup>.

ومما يجدر التنبيه إليه في قضية المصالح والمفاسد «أن حاجة الدعوة اليوم إلى التأليف والمداراة، وتصحيح المفاهيم، واستفاضة البيان والبلاغ، وإقامة الحجّة، وبناء القاعدة الصلبة، وإنكار المنكرات العامة في الأمة بعلم وحلم أمس من حاجتها إلى قصر الاحتساب على طائفة من المنكرات الجزئية، في الوقت الذي تدرس فيه معالم الدين الكلية، وتلتبس أصوله ومعاقده الكبرى»<sup>(٤)</sup>.

### ○ سادساً: التثبت في الأمور وعدم العجلة :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا

عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَتَدَمَّرُونَ ﴿ [الحجرات: ٦].

(١) الاستقامة ٢/ ٢٢١.

(٢) الاستقامة ٢/ ٢٢١.

(٣) معالم في أصول الدعوة ص ١٠٨.

(٤) معالم في أصول الدعوة ص ١١٢.



**والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن الثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر.**

والدعاة إلى الله تعالى أولى بامثال أمر الله ﷻ بالتأني والثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق الجيد من مصدرها قبل الحكم عليها.

والداعية الحصيف إذا أبصر العاقبة أمن الندامة، ولا يكون ذلك إلا إذا تدبر جميع الأمور التي تعرض له ويواجهها، فإذا كانت حقاً وصواباً مضى، وإذا كانت غيياً، وضلالاً وظناً خاطئاً وقف حتى يتضح له الحق والصواب.

والمشاهد أن عدم الثبت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد في المجتمع.

### ○ سابعاً: مطابقة القول بالعمل:

يجب على الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أن يكون ما يأمر به وينهى عنه مطابقاً لحاله، فلا يأمر الناس بالمعروف ولا يأتية، وينهى الناس عن المنكر ويأتيه. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال ﷺ أنه قال: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فتندلق أفتابه<sup>(١)</sup>)، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار: فيقولون: يا فلان! مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن

(١) أي أمعاء بطنه.



## المنكر وآتيه<sup>(١)</sup>.

وليس المقصود من ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعاصين، لأن هذا من مداخل الشيطان على عباد الله، فإنه ما من إنسان إلا وله ذنوب، ولو أن الإنسان تقاعس حتى يتطهر من جميع الذنوب ما أمر أحد بالمعروف وما نهى أحد عن منكر. **يقول سعيد بن جبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** «لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء من المعاصي، ما أمر أحد بالمعروف ولا نهى أحد عن منكر»<sup>(٢)</sup>. ولكن المقصود الابتعاد عن تلك المعاصي؛ وإتيان الأوامر لكي يصدق الداعي مع نفسه ومع الناس، ولا يكون هذا الذي ينصح به حجة عليه يوم القيامة، وأن يكون العمل الذي يدعو الناس إليه بمثابة الحافز الذي يحفزه على فعل الخير.

## ○ ثامناً: الصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿يَبْنَئُ أَعْمَرُ الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، «علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر»<sup>(٣)</sup>.

فالصبر من أهم الصفات التي ينبغي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتصف بها، وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الله لا بد أن يتعرض إلى أنواع من الإيذاء والتكذيب والاستهزاء؛ فيجب عليه أن يتحلى بسلاح الصبر ليواجه به كل العقبات التي في طريق دعوته.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٧) ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٩١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٣٨.





### ○ تاسعاً: الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميعهما:

ولا يقتصر على النهي عن المنكر، أو الأمر بالمعروف فقط. لأن هناك من يظن أن الدعوة إلى الله هي النهي عن المنكر فقط، وهذا خطأ كبير في حق الدعوة، مع أن الله تعالى قدم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر في كل مواضع القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وذلك تنبيهاً على أهمية الأمر بالمعروف، وأنه إذا أمر بالمعروف زال منكر من المنكرات، كما قال النبي ﷺ: (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة)<sup>(١)</sup>، ومنه قول بعض السلف: «إذا أحييت سنه ماتت بدعة»<sup>(٢)</sup>.



(١) مسند أحمد ٤/ ١٠٥ (١٧٠١١)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٤٤٧، وسكت عنه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٥٤ والله أعلم.

(٢) لم أفق إلى من قال هذه المقولة، ولكن يعضدها ويقويها أحاديث وأقوال للصحابة وسائر السلف، وقد أشار إليها الأئمة؛ وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للآلكائي ١/ ٩٠، والاعتقاد للبيهقي ص ٢٢٧ والله أعلم.



## المبحث الثالث:

### رفع الظلم وكلمة الحق عند سلطان جائر

ويتضمن خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** الشريعة جاءت برفع الظلم والوعيد عليه.

**المطلب الثاني:** طبيعة الملك وفتنته وخطورته.

**المطلب الثالث:** مشروعية الإنكار على أئمة الجور.

**المطلب الرابع:** الواجب على الدعاة والعلماء تجاه أئمة الجور

لرفع الظلم.

**المطلب الخامس:** كلمة الحق أمام الحكام لا تعني الخروج عليهم.





## المبحث الثالث

### رفع الظلم وكلمة الحق عند سلطان جائر

من الواجبات الدعوية على الدعاة رفع الظلم الواقع على المدعويين، والصدع بكلمة الحق، وهذا أمرٌ في غاية الأهمية، ولكنه يحتاج لبيانٍ وضبطٍ حتى لا يقع الدعاة في الأفرط أو التفريط، وبيان ذلك من خلال خمسة مطالب:

#### المطلب الأول

#### الشريعة جاءت برفع الظلم والوعيد عليه

جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير من الظلم أشد تحذير والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

وتوعد الله تعالى فقال سبحانه حكاية عن ولد آدم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، وقال سبحانه حكاية عن قول إبليس حين يتبرأ في النار ممن اتبعوه: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وبين تعالى أن الخسران في الظلم: ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وقال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته



بينكم محرماً، فلا تظالموا<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>.

وظلم الولاية من جملة الظلم الذي نهى عنه الشرع، وجاء الوعيد على فعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، لا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور)<sup>(٣)</sup>.

وردت أحاديث في تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للظالم من دعوة تصيبه ممن ظلمه، وكيف أنّها ليس بينها وبين الله حجابٌ أو حاجزٌ، كما في رواية أنس بن مالك عنه رضي الله عنه أنّه قال: ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه (وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)<sup>(٤)</sup>. وقال: (ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعَهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَا نُصْرَتِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)<sup>(٥)</sup>.



- (١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧).
- (٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغيب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة (٢٤٤٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٩) واللفظ له.
- (٣) مسند أحمد ١٥ / ٣٥٢ (٩٥٧٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.
- (٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٤٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٢٧).
- (٥) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية (٣٥٩٨) وقال: هذا حديث حسن.



## المطلب الثاني

### طبيعة الملك وفتنته وخطورته

**قال شيخ الإسلام رحمه الله:** ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: «لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ قال: يُؤمَّن بها السبيل، ويقام به الحدود، ويجاهد به العدو، ويقسم بها الفيء»<sup>(١)</sup>.

إن الملك فتنة عظيمة، ومزلة أقدام، فقلَّ من يسلم من فتنة الملك، لأن الحاكم فيه يكون مطاع الكلمة، وتُفتح أمامه أبواب الدنيا بشهواتها، وملذاتها.

**قال ابن خلدون:** «ثمَّ إنَّ الملك منصب شريف ملذوذ، يشتمل على جميع الخيرات الدنيويَّة، والشَّهوات البدنيَّة، والملاذِّ النَّفْسائيَّة»<sup>(٢)</sup>. ولذا احتاج الحاكم إلى تذكير وزجر.

**وإن صلاح المسلمين في الجملة بصلاح حكامهم وأمرائهم،** فإذا صلح الحاكم صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت؛ وذلك لأن الله شرع للحاكم من الأمور ما لا يقوى عليها غيره، كحفظ دين المسلمين، والحكم بشريعة الله، وإقامة الحدود، وأداء الحقوق، وردع الطاعنين والمبتدعين والمنافقين.

لما دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة من أحمس، يقال لها زينب، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: «بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم». قالت: وما الأئمة؟ قال: «أما كان لقومك رؤوس وأشراف، يأمرونهم

(١) منهاج السنة النبوية ١/٥٤٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/١٩٣.



فيطيعونهم؟» قالت: بلى. قال: «فهم أولئك على الناس»<sup>(١)</sup>.

**قال ابن حجر:** «الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الأئمة عن الحال، مال وأمال»<sup>(٢)</sup>.

**ولذا جاء عن الفضيل بن عياض وغيره، قوله:** «لو أن لي دعوة مستجابة، ما جعلتها إلا في إمام، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد»<sup>(٣)</sup>.

**قال شيخ الإسلام:** «وحُمل مرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مال عظيم من الخمس: فقال: إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء. فقال له بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى، فأدوا إليك الأمانة، ولو رتعت لرتعوا.

وينبغي أن يُعرف أن أولي الأمر كالتسوق، ما نفق فيه جلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة، جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة، جلب إليه ذلك»<sup>(٤)</sup>.

«فالحكّام والأمرء والملوك هم معقد الإصلاح والعدل، فإذا قاموا بنشر المنكر وفعله، أو تركوا إنكاره بين الناس كان ذلك المنكر مضاعفاً؛ لأنهم المطاعون بين الخلق والرعية، وهم أصحاب القدرة والاستطاعة على قمع المنكر، وحمل الناس على المعروف»<sup>(٥)</sup>.

**يقول الإمام الغزالي:** «فساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء،

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية (٣٨٣٤).

(٢) فتح الباري ١٥١/٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٣٤/٨.

(٤) السياسة الشرعية ص ٢٦-٢٧.

(٥) السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي ص ٢١٢.





وفساد العلماء باستيلاء حبّ المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا؛ لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر<sup>(١)</sup>.



### المطلب الثالث

#### مشروعية الإنكار على أئمة الجور

من أجل ما سبق بيانه؛ وحتى لا يفسد ظلم أئمة الجور، فتنفسد الرعية، ويضيع مقصود الولاية، من إقامة الدين، وأداء الحقوق، ويظلم كل كبير من تحته وجب الإنكار عليهم بالحكم والموعظة الحسنة.

عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع)، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: (لا، ما صلوا)<sup>(٢)</sup>.

ولذا رغب الشرع في الإنكار على أئمة الجور، وجعله من أفضل الجهاد؛ لما فيه من صلاح الراعي والرعية، وانتشار النفع بين الناس.

فعن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أي الجهاد أفضل؟ قال: (كلمة حق عند إمام جائر)<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك (١٨٥٤).

(٣) مسند أحمد ٣١/ ١٢٦ (١٨٨٣٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.



سلطان جائر، أو أمير جائر<sup>(١)</sup>.

**قال المُظْهَرِيّ:** «لأنّ الجهاد هو قتل كافر، وقتل كافر نفعه أقلّ من نهي سلطان عن ظلم؛ لأنّ ظلم السلطان يتعلّق بجميع الرعية، والرعية في ملكه ربما تكون كثيرة، فإذا دفع سلطاننا عن ظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثير<sup>(٢)</sup>».

فالمُنكِر على الحاكم الظالم ظلّمه من أعلى درجات الشهداء قال **سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله<sup>(٣)</sup>.**

**وأخبار السلف في باب تذكير الولاة والإنكار عليهم كثيرة، من ذلك:**

**قال المروزي:** «سمعت أبا عبدالله، يقول: يجب علي إذا رأيتَه -يعني الخليفة- أن أمره وأنهاه<sup>(٤)</sup>».

**وعن أبي خالد الأحمر، قال:** «كنا في دار، فدخل سفيان في الدار الداخلة يتوضأ للصلاة، قال: فدخل الوالي عليه، فجعل يقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، فقال له سفيان: اتق الله في الرعية، أو في المسلمين<sup>(٥)</sup>».

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤٤) واللفظ له، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (٢١٧٤) وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب، وسنن النسائي كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر (٤٢٠٩)، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠١١)، ومسند أحمد ٥٤١/٣٦ (٢٢٢٠٧) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح ٣٠٧/٤.

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٣/٢١٥ (٤٨٨٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٠٨).

(٤) أخبار الشيوخ وأخلاقهم ص ٤٢.

(٥) أخبار الشيوخ وأخلاقهم ص ١٥٠.



فوجب على العلماء وغيرهم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وبالوسائل التي تؤدي إلى بعدهم عن المنكر، وقربهم من المعروف، من التلطف ولين القول والإسرار وغيره مما هو معلوم في بابه<sup>(١)</sup>.



### المطلب الرابع

#### الواجب على الدعاة والعلماء تجاه أئمة الجور لرفع الظلم

فإذا تقرر ما سبق، فالواجب على الدعاة والعلماء تجاه ظلم الحكام ما يلي:

﴿ أولاً: عدم إعاتهم على ظلمهم وتصديقهم في كذبهم:

وقد جاء الوعيد الشديد عن النبي ﷺ لمن فعل هذا.

**فعن كعب بن عجرة، قال:** خرج علينا رسول الله ﷺ، أو دخل، ونحن تسعة، وبيننا وسادة من آدم، فقال: (إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكُذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكُذِبِهِمْ، وَيُعِنَّهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضِ)<sup>(٢)</sup>. فقد بوب عليه النسائي بقوله: ذُكِرَ الوعيد لمن أعان أميراً على الظلم.

**وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه لقي ناساً خرجوا من عند مروان، فقال:** من أين جاء هؤلاء؟ قالوا: خرجنا من عند الأمير مروان، قال: وكل حق رأيتموه تكلمتم به، وأعتتم

(١) السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي ص ٢١٢.

(٢) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب ذُكِرَ الوعيد لمن أعان أميراً على الظلم (٤٢٠٧)، وجامع الترمذي، كتاب الفتن، باب رقم ٧٢ (٢٢٥٩) وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب، ومسنَد أحمد ٣٠ / ٥٠ (١٨١٢٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.



عليه، وكل منكر رأيتموه أنكرتموه ورددتموه عليه. قالوا: لا والله، بل يقول: ما ينكر، فنقول: قد أصبت، أصلحك الله، فإذا خرجنا من عنده قلنا قاتله الله، ما أظلمه وأفجره، قال عبد الله: « كنا بعهد رسول الله رسول الله ﷺ نعد هذا نفاقاً، لمن كان هكذا»<sup>(١)</sup>.

**قال الفضيل:** «ربما دخل العالم على الملك ومعه شيء من دينه، فيخرج وليس معه شيء، فقلنا: وكيف ذلك؟ قال: يصدقه في كذبه، ويمدحه في وجهه»<sup>(٢)</sup>.

**وقال شيخ الإسلام:** «فأما إذا كان ولي الأمر يستخرج من العمال ما يريد أن يختص به هو وذووه، فلا ينبغي إعانة واحد منهما، إذ كل منهما ظالم، كلص سرق من لص، وكالطائفتين المقتلتين على عصبية ورياسة؛ ولا يحل للرجل أن يكون عوناً على ظلم»<sup>(٣)</sup>.

### ◀ ثانياً: السعي في رفع الظلم ومنعهم منه، أو تخفيفه وتقليله ما أمكن:

الأصل في ذلك أنه على العالم والداعية متى رأى ظملاً سعى في رفعه بالطرق المشروعة، سواء كان ذلك من الحاكم أو من المحكوم، إن كان قادراً على ذلك.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**<sup>(٤)</sup>.

**قال شيخ الإسلام:** «وإنما الواجب كفّ الظلم عنهم - أي عن الرعية - بحسب القدرة، وقضاء حوائجهم التي لا تتم مصلحة الناس إلا بها»<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند أحمد ٩/ ٢٧٣ (٥٣٧٣)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخبار الشيوخ وأخلاقهم ص ٤٣.

(٣) السياسة الشرعية ص ٣٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإكراه بدون عنوان للباب (٦٩٥٢).

(٥) السياسة الشرعية ص ٣٨.



**قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ:** «مناصحة ولاة الأمر لم يختلف العلماء في وجوبها إذا كان السلطان يسمعها ويقبلها»<sup>(١)</sup>.

وأما إن كان عاجزاً عن رفع الظلم بالكلية، فإنه ينبغي عليه أن يسعى في تخفيفه وتقليله متى وجد سبيلاً إلى ذلك.

«فإن مدار الشريعة على قوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، المفسر لقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وعلى قول النبي ﷺ: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)<sup>(٢)</sup>. وعلى أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها»<sup>(٣)</sup>.

**قال شيخ الإسلام:** «والمعين على الإثم والعدوان من أعان الظالم على ظلمه، أما من أعان المظلوم على تخفيف الظلم عنه، أو على أداء المظلمة: فهو وكيل المظلوم؛ لا وكيل الظالم»<sup>(٤)</sup>.

◀ **ثالثاً: إعانة أئمة الجور والتعاون معهم في جوانب الخير التي تعم**

**مصلحتها دين المسلمين ودنياهم.**

**قال شيخ الإسلام:** «فإن التعاون نوعان: الأول تعاون على البر والتقوى: من الجهاد وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحقين؛ فهذا مما أمر الله به ورسوله، ومن أمسك عنه خشية أن يكون من أعوان الظلمة فقد ترك فرضاً على

(١) الاستذكار ٨/ ٥٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر. وفي الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه (١٣٣٧).

(٣) السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي ص ٤٠.

(٤) السياسة الشرعية ص ٤٠ - ٤١.



الأعيان، أو على الكفاية متوهماً أنه متورع. وما أكثر ما يشتبه الجبن والفشل بالورع؛ إذ كل منهما كف وإمساك»<sup>(١)</sup>.

### ﴿ رابعاً: إنفاق الأموال السلطانية التي أخذت ظلماً ولا يُعلم أصحابها في

#### مصالح المسلمين العامة :

**قال شيخ الإسلام:** «إذا كانت الأموال قد أخذت بغير حق، وقد تعذر ردها إلى أصحابها، فكثير من الأموال السلطانية؛ فالإعانة على صرف هذه الأموال في مصالح المسلمين كسداد الثغور، ونفقة المقاتلة، ونحو ذلك: من الإعانة على البر والتقوى؛ إذ الواجب على السلطان في هذه الأموال - إذا لم يمكن معرفة أصحابها وردها عليهم، ولا على ورثتهم - أن يصرفها مع التوبة - إن كان هو الظالم - إلى مصالح المسلمين. هذا هو قول جمهور العلماء، كمالك، وأبي حنيفة، وأحمد، وهو منقول عن غير واحد من الصحابة، وعلى ذلك دلَّت الأدلة الشرعية، كما هو منصوص في موضع آخر.

وإن كان غيره قد أخذها، فعليه هو أن يفعل بها ذلك، وكذلك لو امتنع السلطان من ردها: كانت الإعانة على إنفاقها في مصالح أصحابها أولى من تركها بيد من يضيعها على أصحابها، وعلى المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

### ﴿ خامساً: إخلاص النية في كل ما سبق، وأن يكون المراد هو إعلاء الدين،

#### وليس الجاه أو المنصب أو الشهرة أو إظهار الشجاعة :

فعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)<sup>(٣)</sup>.

(١) السياسة الشرعية ص ٣٩.

(٢) السياسة الشرعية ص ٤٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (١)، ومسلم، كتاب الإمارة بقوله قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) (١٩٠٧).



فينبغي على الدعاة والعلماء أن يكون مقصودهم من ذلك تحقيق مقاصد الولايات، وتكميل ذلك ما أمكن.

**قال شيخ الإسلام:** «المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرواً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا؛ وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم.

**وقال:** المقصود أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله العليا، وكلمة الله: اسم جامع لكلماته التي تضمنها كتابه»<sup>(١)</sup>.

**قال أبو حامد الغزالي:** «فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين؛ لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم، ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية، فليتها، وأزال قساوتها، وأما الآن فقد قيّدت الأطماع ألسن العلماء، فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر؟! والله المستعان على كل حال»<sup>(٢)</sup>.

### ◀ سادساً: مراعاة الآداب في مناصحة الأئمة عموماً:

فدعوة الناس جميعاً ومناصحتهم تكون سرّاً وتتأكد في حق ذوي السلطان، فعن عياض بن غنم رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا

(١) السياسة الشرعية ص ٢١-٢٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/٣٥٧.



بيده علانية، وليأخذ بيده، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: (من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية، وليأخذ بيده، وليخل به، فإن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له)<sup>(٢)</sup>.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قيل له ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه<sup>(٣)</sup>.

**قال النووي:** «يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملاء كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه وفيه الأدب مع الأمراء واللفظ بهم، ووعظهم سراً وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سراً والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق»<sup>(٤)</sup>.

**وقال ابن القيم:** «مخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعاً وعقلاً وعرفاً، ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه»<sup>(٥)</sup>.

**وقال ابن سعدي:** «على من رأى منهم ما لا يحل أن ينههم سراً لا علناً بلطف وعبرة تليق بالمقام»<sup>(٦)</sup>.

(١) مسند أحمد ٤٩/٢٤ (١٥٣٣٣) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/٣٢٩ (٥٢٦٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١٦٠.

(٥) بدائع الفوائد ٣/١٠٦١.

(٦) الرياض الناضرة ص ٥٠.





**وقال الشيخ ابن باز:** «الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به؛ حتى يوجه إلى الخير»<sup>(١)</sup>.

**وأخيراً:** «فعلى رجال الدعوة وجماعتها أن تسعى للتغيير والإصلاح بمنهجية قائمة على الكتاب والسنة، كما أنّ على الحكام وولاة الأمور أن يقتنعوا بأن الدعوة تنشد الخير والصالح للبلاد والعباد حكماً ومحكومين على السواء، فالأمة هي الخاسر الأكبر في جو لا تسوده الثقة أو عدم التناصح بين الحاكم والمحكوم.

وإنما وجدت الدعوة من أجل البناء والتنمية والتربية والتعليم والخدمة والإصلاح والإرشاد إلى ما هو أفضل، فينبغي ألا ينظر إليها على أنها قوة منافسة على المناصب متعطشة للسلطة، ساعية إلى الإطاحة بالحكام.

وعلى الدعوة أن تسعى إلى التعاون، فالمجابهة لا طائل وراءها عادة، والتعامل السمع البسيط الهادئ أدعى إلى جلب المنفعة كما علمنا ذلك رسول الله ﷺ.

وحين تدفع القوى الخارجية الأمور نحو العداوة بين جماهير المسلمين وحكامهم، يجب على الإسلاميين الواعين رصد مثل هذه الاتجاهات الخطرة عن كثب، والسعي إلى تفاديها ما أمكن ذلك.

**ويجب على الدعوة تمثّل مقولة:** « لا تخض معركة خاسرة » وأن يتجنبوا الاستدراج إلى مواجهات لم يستعدوا لها»<sup>(٢)</sup>.



(١) الشيخ بن باز - مسيرة العطاء ص ١٣٦.

(٢) دليل التدريب القيادي د. هشام الطالب ص ٣٨ بتصرف يسير.



## المطلب الخامس

### كلمة الحق أمام الحُكَّام لا تعني الخروج عليهم

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»<sup>(١)</sup>.

مع التأكيد على أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وعدم إعانتهم على ظلمهم - إن وقع - والسعي في نصحتهم وإرشادهم، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الدين النصيحة) فقال الصحابة رضي الله عنهم: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)<sup>(٢)</sup>.

قال أبو نعيم: «من نصح الولاة والأمرء اهتدى، ومن غشهم غوى واعتدى»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي رحمته الله: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رحمته الله: «ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب، كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمرء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٧٠٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥).

(٣) فضيلة العادلين ١٤٠.



بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح<sup>(١)</sup>.

والأحاديث في الإنكار على الحكام الجائرين ليس فيها دلالة على جواز الخروج عليهم فالذي في هذا الحديث النصّ على أنه أمره أو نهاه، وليس فيه أنه خرّج عليه وقاتله.

وقد نهى النبي ﷺ عن الخروج على أئمة الجور، بقوله ﷺ: **(مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فليصبر، فإنه مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)**<sup>(٢)</sup>، ولذلك فإن الحاكم إذا كان مُسْلِمًا وظهر منه جور، فإنه لا يجوز الخروج عليه وإنما الواجب مناصحته، يقول الإمام العيني: «قوله: من خرج من السلطان أي: من طاعته. قوله: فليصبر يعني فليصبر على ذلك المكروه، ولا يخرج عن طاعته لأن في ذلك حقن الدماء وتسكين الفتنة إلا أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام فلا طاعة لمخلوق عليه، وفيه دليل على أن السلطان لا ينزل بالفسق والظلم ولا تجوز منازعته في السلطنة بذلك. قوله: شبرا أي: قدر شبر وهو كناية عن خروجه، ولو كان بأدنى شيء. قال بعضهم: شبرا كناية عن معصية السلطان ومحاربتة، وقال صاحب التوضيح شبرا يعني في الفتنة التي يكون فيها بعض المكروه.. قوله: جاهلية أي: كموت أهل الجاهلية حيث لم يعرفوا إماما مطاعا، وليس المراد أنه يموت كافرا بل أنه يموت عاصيا»<sup>(٣)</sup>.

**قال شيخ الإسلام:** «فإذا أمكن لإنسان ألاّ يُقدّم مُظهِرًا للمُنكَر في الإمامة وجب ذلك، لكن إذا وُلّاه غيره ولم يمكنه صرّفه عن الإمامة أو كان هو لا يتمكن من صرّفه

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٣٨/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: **(سترون بعدي أمورا تنكرونها)** (٧٠٥٣).

(٣) عمدة القارئ ١٧٨/٢٤.



إلَّا بَشَرَّ أَعْظَمَ ضَرَرًا مِنْ ضَرَرِ مَا أَظْهَرَهُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَلَا يَجُوزُ دَفْعُ الْفَسَادِ الْقَلِيلِ بِالْفَسَادِ الْكَثِيرِ وَلَا دَفْعُ أَخْفِ الضَّرَرِينَ بِتَحْصِيلِ أَعْظَمِ الضَّرَرِينَ، فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَمَطْلُوبُهَا تَرْجِيحُ خَيْرِ الْخَيْرِينَ إِذَا لَمْ يُمْكِنَ أَنْ يَجْتَمِعَا جَمِيعًا، وَدَفْعُ شَرِّ الشَّرِّينَ إِذَا لَمْ يَنْدَفِعَا جَمِيعًا، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنَ مَنَعُ الْمَظْهَرِ لِلْبِدْعَةِ وَالْفُجُورِ إِلَّا بِضَرَرٍ زَائِدٍ عَلَى ضَرَرِ إِمَامَتِهِ لَمْ يَجْزِ ذَلِكَ بَلْ يُصَلِّي خَلْفَهُ مَا لَا يُمْكِنُ فَعَلُهَا إِلَّا خَلْفَهُ كَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ وَالْجَمَاعَةِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِمَامٌ غَيْرُهُ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْحِجَابِ وَالْمَخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ وَغَيْرُهُمَا الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ تَقْوِيَتِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ أَعْظَمُ فَسَادًا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ فِيهِمَا بِإِمَامٍ فَاجِرٍ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ التَّخَلُّفَ عَنْهُمَا لَا يَدْفَعُ فُجُورَهُ، فَيَبْقَى تَرْكُ الْمَصْلُحَةِ الشَّرْعِيَّةِ بَدُونِ دَفْعِ تِلْكَ الْمَفْسَدَةِ، وَلِهَذَا كَانَ التَّارِكُونَ لِلْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ خَلْفَ أُمَّةِ الْجُورِ مُطْلَقًا مَعْدُودِينَ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْأُمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ»<sup>(١)</sup>.



# المبحث الرابع: الجهاد وعلاقته بالدعوة

ويتضمن سبعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الجهاد.

المطلب الثاني: فضل الجهاد.

المطلب الثالث: أهمية الجهاد في الدعوة إلى الله.

المطلب الرابع: حكم الجهاد في سبيل الله.

المطلب الخامس: تنبيهات حول فقه الجهاد في الدعوة إلى الله.

المطلب السادس: هل انتشر الإسلام بالسيف.

المطلب السابع: مسألة إذن الإمام بالجهاد.





## المبحث الرابع الجهاد وعلاقته بالدعوة

الجهاد ذروة سنام الإسلام، وأصلٌ عظيمٌ من أصول الدعوة إلى الله تعالى، وبيعةٌ ماضيةٌ في أعناق المؤمنين؛ ولكن حصل فيه نوعٌ من الإفراط والتفريط في الفهم والتطبيق. نبين خلاصة فقه الجهاد وعلاقته بالدعوة من خلال سبعة مطالب<sup>(١)</sup>:

### المطلب الأول

### مفهوم الجهاد

**قال الراغب:** الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو<sup>(٢)</sup>.

**وقال الجرجاني:** هو الدعاء إلى الدين الحق<sup>(٣)</sup>.

وقد جمع ابن حجر بين هذين النوعين من الجهاد وأضاف غيرهما فقال: الجهاد بذل الجهد في قتال الكفار. ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشیطان والفساق والكفار. فأما مجاهدة النفس، فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها. وأما مجاهدة الشيطان، فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات.

(١) للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر: كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد لابن المناصف القرطبي، وكتاب مشارع الأشواق إلى مصراع العشاق لابن النحاس، كتاب الجهاد في كتب الفقه، وكتب الحديث وشرحها، وكذلك من المؤلفات المتخصصة في ذلك: الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع للشيخ صالح اللحيدان.

(٢) مفردات الراغب ص ١١٠.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٨٤.



وأما مجاهدة الكفار، فتقع باليد والمال واللسان والقلب.

وأما مجاهدة الفساق، فباليد ثم اللسان، ثم القلب<sup>(١)</sup>.

**قال ابن القيم:** «ولهذا كان الجهاد نوعين: **الأول:** جهاد باليد واللسان، وهذا المشارك فيه كثير! **والثاني:** الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه، قال الله تعالى في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين»<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن القيم أيضا:** «وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن تبليغ السهام إلى نحور العدو يفعله كثير من الناس وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه»<sup>(٣)</sup>.  
«فالمعنى العام للجهاد يتناول استفراغ كل وسع وبذل كل جهد في نصرة هذا الدين، سواء أكان بالسيف والسنان أم بالحجة والبيان، وبالدعوة والإرشاد»<sup>(٤)</sup>.

ومن أعظم أنواع جهاد الدعوة نصح زعماء المسلمين، لا سيما أهل الجور منهم، فإن في نصحتهم مخاطرة لا يقدم عليها إلا ذوو العزم من الرجال الذين بذلوا نفوسهم لله سبحانه، ففي الحديث: **(أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر)**<sup>(٥)</sup>.

فأول مراتب الجهاد إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر.

(١) فتح الباري ٥/٦.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/٢٧١.

(٣) جلاء الأفهام ص ٤١٥.

(٤) معالم في أصول الدعوة ص ١١٨.

(٥) تقدم تخريجه.





## المطلب الثاني

### فضل الجهاد

الجهاد هو الصفقة الرابعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وجعله الله سبيل النجاة فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِقٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وفضل الله المجاهدين على غيرهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: (تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرج به إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة)<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال: (إيمان بالله ورسوله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (بر الوالدين) قيل: ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في

(١) صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب قول النبي ﷺ: (أحلت لي الغنائم) (٣١٢٣)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب فضل الجاهد والخروج في سبيل الله (١٨٧٦).



سبيل الله<sup>(١)</sup>.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده، وذروة سنامه؟)، قلت: بلى يا رسول الله، قال: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)<sup>(٢)</sup>.



### المطلب الثالث

## أهمية الجهاد في الدعوة إلى الله<sup>(٣)</sup>

الجهاد من أعظم وسائل إزالة العقبات وفتح الطريق أمام الدعوة والدعاة، فإن أعداء الإسلام وشريعته لن يتنازلوا في الغالب عما اغتصبوه من الأوطان والحقوق إلا إذا حملوا عليه حملاً.

**فالجهاد سبيل من سبيل الدعوة، لأن الدعوة دعوتان: حجاجية، وقهرية.**

**قال الجويني:** «فأما ما ينشأ من أصل الدين، فالقيام بإدامة فرض دعوتين: حجاجية وقهرية، فأما الحجاجية، فعمادها العلم، والقهرية هي الجهاد في سبيل الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (٥١٩). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٥).

(٢) مسند أحمد ٣٦/٣٤٤ (٢٢٠١٦)، جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦) وصحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٦).

(٣) مادة هذا المطلب تم تلخيصها بتصريف من كتاب معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري من الأصل التاسع وهو الجهاد في سبيل الله.

(٤) نهاية المطلب في دراية المذهب ١٧/٣٩٢.



وإنه مهمٌ في تحقيق العمل السياسي لبعض المصالح أو دفع المفسد، فإن طريق تحرير المقدسات والأوطان وإقامة سلطان الشريعة يمر- ولا بد- ببذل الأنفس والأموال في سبيل الله، ليس له غاية ينتهي إليها إلا إحدى الحسنين النصر أو الشهادة. وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة من وسائل دعوة المؤمنين، فإن الجهاد وسيلة من وسائل الدفع عن المؤمنين، وطلب دعوة عموم الكفار والمشركين. **فهدف الجهاد الأعظم هو:** هداية الناس للإيمان وتعييدهم للواحد الديان، «وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

**ويدخل في هذا الهدف:** رد اعتداء المعتدين، وإزالة الفتنة عن المدعويين، وإرهاب أعداء الدين، وتقوية دولة المسلمين، وفضح المنافقين، وتطهير الصف من رجسهم وإفكهم، مع تمحيص المؤمنين وتربيتهم على الصبر والثبات. وترك الجهاد والنكوص عنه طريق الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، وسبب الذل والهوان، ومدعاة البلاء والعذاب، ومضيعة للمصالح العامة للأمة.

وانتشار الإسلام بالعنف من الشبهات التي يردُّها بعضُ المغرضين كثيراً<sup>(٢)</sup>؛ فالحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ يكذبان هذه الفرية، ويستأصلونها من جذورها، فقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. يمثل قاعدة أساسية صريحة بالنسبة للحريَّة الدينيَّة، فلم يأمر الرسول الله ﷺ والمسلمون من بعده- أحداً باعتناق الإسلام قسراً، كما لم يُلجئوا الناس للتظاهر به هرباً من الموت أو العذاب؛ إذ كيف

(١) هذه المقولة للصحابي ربعي بن عامر أمام رستم قبل معركة القادسية، ينظر: القصة بطولها في: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩ حوادث سنة خمسة عشر.

(٢) سيأتي الحديث عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف المطلب السادس.



يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المكره لا قيمة له في أحكام الآخرة، وهي التي يسعى إليها كل مسلم؟!!

وقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بإرادة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ<sup>وَهُوَ</sup> فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ<sup>٢٩</sup> ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولفت القرآنُ نظر رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة، ويبيّن له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، ومن ذلك يتّضح أن دستور المسلمين يرفض رفضاً قاطعاً إكراه أحد على اعتناق الإسلام<sup>(١)</sup>.

فالإسلام إذن إنما غزا القلوب وأسر النفوس.. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضاً، فليس بإمكانه أن يفتح قلباً!



## المطلب الرابع

### حكم الجهاد في سبيل الله<sup>(٢)</sup>

والجهاد بالنفس والمال ماضٍ إلى قيام الساعة، وإنكار وجوبه إنكارٌ لمعلوم من الدين بالضرورة، وادعاءٌ نسخه أو تخصيصه بجهاد الكلمة بدعة في الدين وضلالة، وغفلة عن الواقع وجهالة.

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زقزوق ص ٣٣.

(٢) مادة هذا المطلب تم تلخيصها وترتيبها بتصريف، من كتاب معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري من الأصل التاسع وهو الجهاد، مع بعض الزيادات من مراجع أخرى.



**والجهاد في سبيل الله باننفس واملال لدعوة الناس الى الاسلام وازالة كل الحواجز التي تحول دون الدخول فيه : فرض كفاية على مجموع الأمة، وقد يتعين في مواضع منها :**

- ١- تعيين الإمام لشخص بعينه.
  - ٢- إذا استنفر الإمام أهل محلةٍ.
  - ٣- عند حضور القتال، إذا التقى الزحفان وتقابل الصفيين.
  - ٤- استنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار.
  - ٥- «إذا أظلم العدو بلدًا، أو جانبًا من ثغور المسلمين مقاتلاً لهم، فيتعين فرض الجهاد حينئذ على كل واحدٍ ممن هنالك من المسلمين في خاصته، وعلى قدر طاقته، إلى أن تقع الكفاية ويحصل الاستقلال بقتال العدو ودفعه، فإن قصر عدد من هنالك، أو قوتهم عن دفاعهم؛ وجب على كل من قُربَ منهم من المسلمين إعانتهم والنفير إليهم، حتى يعم الفرض جميع المسلمين، أو يقع الاستغناء من دون ذلك بمقاومتهم ودفعهم»<sup>(١)</sup>.
- والخروج للجهاد في سبيل الله لطلب العدو يتطلب فيه إذن الإمام -وجوباً أو استحباباً- فلا يُفتات عليه، قال ابن قدامة: «وأمر الجهاد موكلٌ إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه في ذلك»<sup>(٢)</sup>.

فإن خلا عنه زمان أو مكان فيطلب إذن أهل الحل والعقد من كل صاحب منهجٍ علميٍّ سديدٍ، وعملٍ مباركٍ رشيدٍ، ومن ناصرهم من ذوي الشوكة والسلطان.

أما حين يتغلب عدو على بلدٍ من بلاد الإسلام فيقتطعه ويستلبه، أو يقهر أهله

(١) الإنجاد في أبواب الجهاد ص ٤٤ باختصار.

(٢) المغني ١٠/٣٦٨.



على الخضوع لغير شرع الله، فعندها يتعين الدفع على كل قادرٍ حاضرٍ من أهل تلك الدار بإطلاق، ثم على من يليهم من المسلمين في الآفاق، حتى تحمي بيضة المسلمين وتحفظ حوزة الدين.



## المطلب الخامس

### تنبيهات حول فقه الجهاد في الدعوة إلى الله<sup>(١)</sup>

لا بد في فقه الجهاد بالإضافة لما سبق من تنبيهات تضبطه، ومنها:

#### ♦ أولاً: السعي لترشيد الجهاد وتسديده:

إذا كان الجهاد في سبيل الله بهذه المنزلة، فلا بد من السعي في ترشيده وتسديده، ونصح أهله، وضبط أحكامه، وتقدير مصالحه، والفصل بين ثوابته التي لا يجوز التنازل عنها وبين موارد الاجتهاد التي لا مشاحة فيها لهو أمر في غاية الأهمية والخطورة، وبخاصة إذا أضيف إلى ذلك النظر في واقع البلاد والعباد نصحاً للأمة، واستثماراً لجهد أبنائها وتحقيقاً للمصالح العامة ودفعاً للشرور والمفاسد العامة.

فإذا كانت مشروعية جهاد من امتنع عن التزام الأحكام الواجبة والعمل بها مما اتفقت عليه كلمة السلف والأئمة، فإن استيفاء شرعية هذا العمل هو أهم ضابط ينضبط به، فلا بد من استيفاء حكم الجواز من الشرع، وعدم الإضرار بالأمة، وحصر الصراع مع أعدائها لا غير، وحسن ترتيب الأولويات في ذلك.

لا بد من وضوح الراية المجاهدة وسلامتها من ولاءات جاهلية، وشعارات عمّة.

(١) مادة هذا المطلب تم تلخيصها وترتيبها من كتاب معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري من الأصل التاسع وهو الجهاد، بتصرف وزيادة لبعض النقاط.



♦ **ثانياً: أن تتحقق المصلحة بإعزاز الدين، والدفع عن المستضعفين، وكف**

**بأس الكافرين؛**

وتترجح مصلحة المواجهة بأمور منها:

١- توقع الظفر بتحصيل أسبابه.

٢- وتوقع القبول من الأمة.

٣- سلامة التوقيت زماناً ومكاناً.

٤- القدرة على توظيف الحدث في خدمة الإسلام.

٥- بذل الجهد واستفراغ الوسع في اتخاذ الأسباب المادية.

٦- حساب النتائج في حدود البشر وقدرتهم.

وهذا كله مسلم به إلى أهل الحل والعقد، مع التوكل على الله من قبل ومن بعد.

♦ **ثالثاً: الموقف الصحيح عند عدم قدرة الأمة على الجهاد؛**

إذا أصبح الجهاد في سبيل الله بصورته الشرعية المطلوبة ليس في مقدور الأمة في

وقت من الأوقات، فإن الموقف الصحيح هو:

١- المضي في السعي للوصول إليه وتحقيقه.

٢- تربية الأمة الناشئة عليه وتأصيله.

لا إلغائه من قاموس الدعوة بالكلية، وإسقاطه من منهج الإصلاح بالجملة،

فإن وقع تخلف عن القيام به فإنما يكون بقدر العجز عنه، مع ضرورة الأخذ بلوازم

الوصول إليه، والإعداد له، لقوله ﷺ: **(من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه مات على**

**شعبة من نفاق)**<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو (١٩١٠).



**قال شيخ الإسلام:** «يجب الاستعداد للجهاد بالقوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»<sup>(١)</sup>.

#### ♦ رابعاً: الاستفادة من سيرة النبي ﷺ في فقه الجهاد:

فتحسن الاستفادة من مراحل تشريع الجهاد التي مر بها المسلمون الأوائل، ومن أحكام السياسة الشرعية التي تحدد بناء على رعايتها لمصلحة تفاوت الموقف من المشركين هدنة أو حرباً، فقد صالح النبي ﷺ قريشا عشرا وأخر قتالهم، وقاتل غيرهم حيث لا هدنة، وترك جهاد آخرين بغير هدنة، وفي كل ذلك النظر لمصلحة المسلمين وحسن التقدير لقدرتهم.

#### ♦ خامساً: الحذر من الاستعجال:

التأكيد على الحذر من استعجال مواجهة، أو استجابة لاستفزاز، أو الانطلاق من ردود أفعال قبل تهيئة مختلف الأسباب والقوى، وتحقيق الكفاية في العدة وعلى رأسها: استقامة الجنود والقادة بحسب الطاقة، وتحقيقهم بالإيمان وثقتهم بنصر الله حتى يستحقوا تنزل النصر عليهم.

#### ♦ سادساً: حسن التقدير لقوة العدو وقوة النفس:

الحذر من التقدير لقوة العدو، أو الاغترار بكثرة العدد، ومراعاة أن النفوس يتغير ثباتها حال المواجهة الفعلية والاضطرار عما قد يظهر منها حال السعة والأمن والاختيار، وهذا من أكد ما ينبغي العناية به في هذا الشأن، وذلك حتى لا ترجع هذه المواجهات بنقيض ما شرع الجهاد لتحقيقه من إعزاز الدين وتقوية شوكة المسلمين.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٥٩.





### ♦ سابعاً: اليقين بأن العقابة للمؤمنين عند تحقيق مقومات النصر:

إذا كانت المعارك بين أولياء الله وأعدائه سجالاً، لحكمة بالغة دل عليها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، فإن الجولة الختامية والدولة النهائية لحزب الله المؤمنين، ولجند الله الغالبيين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

### فالوعد المنشود والنصر الموعود إنما يتنزل على أمة مؤمنة مجاهدة تربي

#### أطفالها وشبابها ورجالها ونسائها تربية:

١- إيمانية عبادية: فمن فرط في حي على الصلاة، حقيق أن يخون حي على الجهاد.

٢- إيمانية سلوكية: فمن سقط أمام المعاصي وفي الموبقات جدير أن يسقط أمام

الأعداء وفي المواجهات.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنِيبَتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

[محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

### ♦ ثامناً: عدم تمني لقاء العدو وسؤال الله العافية:

كان الرسول يُعَلِّمُ أصحابه ويوجِّهُهُم فيقول لهم مريباً: (لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ،

وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ)<sup>(١)</sup>.

و«قد يشكل في هذا الموضوع أن يقال إذا كان الجهاد طاعة فتمني الطاعات حسن

فكيف يُنهي عنه قيل قد يكون المراد بهذا أن التمني ربّما أثار فتنة أو أدخل مضرة إذا

تُسهّل في ذلك واستخف به ومن استخف بعده فقد أضاع الحزم فيكون المراد بهذا

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى

تزول الشمس (٢٨٠٤) واللفظ له، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر

بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).



أي لا تستهينوا بالعدو فتركوا الحذر والتحفظ على أنفسكم وعلى المسلمين أو يكون لا تتمنوا لقاءه على حالة يشك في غلبته لكم أو يخاف منه أن يستبيح الحريم أو يذهب الأنفس والأموال أو يدرك منه ضرر»<sup>(١)</sup>.

«إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والالتكال على النفس والوثوق بالقوة وهو نوعبغي وقد ضمن الله تعالى لمن بغي عليه أن ينصره ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره وهذا يخالف الاحتياط والحزم وتأوله بعضهم على النهي عن التمني في صورة خاصة وهي إذا شك في المصلحة فيه وحصول ضرر وإلا فالقتال كله فضيلة وطاعة والصحيح الأول ولهذا تممه ﷺ بقوله: **(واسألوا الله العافية)** وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العافية العامة لي ولأحبائي ولجميع المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

فالمسلم بطبيعة تربيته الأخلاقية التي يتربى عليها من خلال القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ يكره القتل والدماء، ومن ثم فهو لا يبدأ أحداً بقتال، بل إنه يسعى بكل الطرق لتجنب القتال وسفك الدماء، مع الاستعداد أن تطلب الأمر ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] قد قيل: الذي يريد السلام فليتهجهز للحرب، وأعد جيشاً قوياً تتجنب الحرب<sup>(٣)</sup>.

(١) المعلم بفوائد مسلم ٩/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٤٥/١٢.

(٣) هذه العبارات نقلتها عن أ. فاضل سليمان في دورة له عن كيفية التعامل مع الشبهات حول الإسلام، وهو من الدعاة المشهورين في أمريكا والدول الغربية، وهو مؤسس ومدير مركز جسور للتعريف بالإسلام.

**♦ تاسعاً: مراعاة أخلاق الجهاد:**

لا بد من مراعاة أخلاق الإسلام في الجهاد، فالإسلام لم يترك الحرب هكذا دون قيود أو قانون، وإنما وضع لها ضوابط تحدُّ ممَّا يُصاحبها، وبهذا جعل الحروب مضبوطة بالأخلاق ولا تُسيِّرُهَا الشهوات، كما جعلها ضدَّ الطغاة والمعتدين لا ضدَّ البراء والمسالمة.

ومن تلك القيود الأخلاقية قبول السلم والهدنة إن طلب العدو المقاتل، وعدم قتل النساء والشيوخ والأطفال والأجراء، والعباد، وعدم الغدر، وعدم الإفساد في الأرض، وحسن التعامل مع الأسرى، وعدم التمثيل بالمقتولين.

فقد كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: **(اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا وليدًا...)**<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: **(لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً...)**<sup>(٢)</sup>.

وقال: **(لا تقتلن ذرية ولا عسيفا)**<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>، وفي رواية: **(وَلَا تَقْتُلُوا وِلِيدًا، أَوْ امْرَأَةً، وَلَا**

**كَبِيرًا فَانِيًا، وَلَا مُنْعَزِلًا بِصَوْمَعَةٍ)**<sup>(٥)</sup>. و«نهى رسول الله ﷺ عن المثلثة»<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث (١٧٣١).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء العدو (٢٦١٤)، ومصنف ابن أبي شيبة ٤٨٣/٦، والسنن الكبرى للبيهقي (١٧٩٣٢). وقال ابن الأثير في جامع الأصول ٥٩٦/٢: وفي سننه خالد بن الفرز الراوي عن أنس لم يوثقه غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقات، وله شواهد يتقوى بها.

(٣) العسيف: الأجير. ينظر: المصباح النير للفيومي ص ١٥٥.

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الغارة والبيات وقتل الصبيان (٢٨٣٢)، والحاكم في المستدرک ١٣٣/٢ (٢٥٦٥)، وقال الحاكم: الحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها (١٧٣١).

(٦) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب النهي من غير إذن صاحبه (٢٣٤٢).



وظهر ذلك واضحاً في كلمات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك عندما وصّى جيوشه المتجهة إلى فتح الشام، وكان مما جاء في هذه الوصية «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَلَا تَغْرِقَنَّ نَخْلًا وَلَا تَحْرِقْنَهَا، وَلَا تَعْفُرُوا بِهِمَةَ، وَلَا شَجَرَةً تُشْمِرُ، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْعَةً»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك تحرم النقض العهد والغدر، والخيانة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنَ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان بينه وبين قوم عهدٌ فلا يشدُّ عقده ولا يحلها حتى ينقضِي أمدّها أو ينبذ إليهم على سواء)<sup>(٢)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: (من آمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريءٌ من القاتل، وإن كان المقتول كافراً)<sup>(٣)</sup>.

#### ◆ عاشرًا: قبول السلم والهدنة إن طلب العدو المقاتل:

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].  
ومعنى الآية: «أجبههم إلى ما طلبوا متوكلاً على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك كان أولى لإجابتهم، ومنها: أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر إن احتيج لذلك، ومنها: أنكم إذا اصطلحتم وأمنَ بعضُكم بعضاً، وتمكن كلٌّ من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١٤٥/٩ (١٨١٢٥)، والطحاوي: شرح مشكل الآثار ١٤٤/٣ (١١١)، وابن عساكر: تاريخ دمشق ٧٥/٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه (٢٧٥٩)، وجامع الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر (١٥٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ٣/٣٢٢، واللفظ له، وصحيح ابن حبان ١٣/٣٢٠ (٥٩٨٢)، وحلية الأولياء ٩/٢٤ من طرق عن السدي عن رفاعة بن شداد. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٠٣).



إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان»<sup>(١)</sup>.

#### ♦ الحادي عشر: حسن معاملة الأسرى:

وفي قصة ثمامة بن أثال وكيف كان النبي ﷺ يعامله<sup>(٢)</sup> أروع النماذج في الاحسان للأسرى حتى إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**: **(أحسنوا إيساره)**<sup>(٣)</sup> ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: **(اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه، وأمر بلفحته)**<sup>(٤)</sup> **أن يغدى عليه بها ويراح)**<sup>(٥)</sup>. أي أن النبي ﷺ كان يطعمه من بيته ويسقيه من ناقته.

ومن الإحسان للأسرى ما ورد أنه **عندما رأى أسرى يهود بني قريظة موقوفين في العراء في ظهيرة يوم قائف، فقال مخاطباً المسلمين المكلفين بحراستهم: (لا تجتمعوا عليهم حرّ الشمسِ وحرّ السلاح، وقيلوهم<sup>(٦)</sup> واستقوهم حتى يبردوا)**<sup>(٧)</sup>.

ومن الإحسان للأسرى أن الإسلام يمنع تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات، وقد قيل للإمام مالك: **أيعذبُ الأسيرُ إن رُجِيَ أن يدلَّ على عورة العدو؟** قال: ما سمعت بذلك<sup>(٨)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضا في المسجد، وكان شريح يأمر الغريم أن يحبس إلى سارية المسجد (٤٦٢).

(٣) الإيسار بالكسر مصدر أسرته أسرا وإسارا. وهو أيضا الحبل والقدر الذي يشد به الأسير. ينظر: النهاية في غريب الحديث مادة (أسر) ٤٨/١ أي: عاملوه بإحسان وهو في القيد.

(٤) اللَّفْحَةُ واللَّفْحَةُ: النَّاقَةُ الحلوب الغزيرة اللبن. ينظر: كتاب العين مادة (لقح) ٤٧/٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٦٣٨/٢، والروض الأنف للسهيلى ٥٠١/٧.

(٦) قيلوهم: أي أريحوهم بالقيلولة، وهي راحة نصف النهار عند حر الشمس. ينظر: الموسوعة الفقهية ١٩٨/٤.

(٧) ينظر: مغازي الواقدي ٥١٤/٢، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٢٥٠/١، وسبل الهدى والرشاد للصالحى ١٣/٥.

(٨) التاج والإكليل لمختصر خليل لمحمد بن يوسف العبدري ٥٤٨/٤.



وهذا ما أنكره النبي ﷺ على بعض الصحابة عندما ضربوا غلامين من قريش وقعا أسيرين في أحداث بدر، فقال لهم: **(إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرْبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقَرِيشٍ...)**<sup>(١)</sup>.



## المطلب السادس

### هل انتشر الإسلام بالسيف<sup>(٢)</sup>

إن هدف الفتوحات الإسلامية نشر الإسلام من خلال إزالة العوائق التي تقف أمام الناس في حرية الاعتقاد، فهم لا يكرهون الناس على الدخول في الدين وإنما انطلقوا لينشروا الإسلام وليرفعوا الظلم عن المظلومين الذين حيل بينهم وبين معرفة الحق. فالحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ يكذبان هذه الفرية، ويستأصلانها من جذورها، فقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، يمثل قاعدة أساسية صريحة بالنسبة للحرية الدينية، فلم يأمر الرسول ﷺ والمسلمون من بعده أحداً باعتناق الإسلام قسراً، كما لم يلجؤوا الناس للتظاهر به هرباً من الموت أو العذاب؛ إذ كيف يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المكروه لا قيمة له في أحكام الآخرة، وهي التي يسعى إليها كل مسلم!؟

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٦١٧، وتاريخ الرسول والملوك للطبري ٢/٤٣٦، الروض الأنف، ٣/٥٨، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/٣٩٧، وعيون الأثر، لابن سيد الناس ١/٢٩١.

(٢) ينظر: التسامح في الإسلام بين المبدأ والتطبيق، د. شوقي أبو خليل، وحقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك د. محمود حمدي زقزوق، وحقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقائد، وموسوعة بيان الإسلام في الرد على الافتراءات والشبهات، وموسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام د. أحمد شوقي لإبراهيم.



فقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بإرادة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولفت القرآن نظر رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبين له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، ومن ذلك يتضح أن دستور المسلمين يرفض رفضاً قاطعاً إكراه أحد على اعتناق الإسلام<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما روي أن الصحابة أسروا ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، وقدموا به المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **(ماذا عندك يا ثمامة؟)** فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد فقال: **(ما عندك يا ثمامة؟)** فقال: عندي ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكِر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: **(ما عندك يا ثمامة؟)** فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك؛ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك؛ فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان بلد أبغض إليّ من بلدك؛ فأصبحت بلدك أحب البلاد إليّ... الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زفروق ص ٣٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد، وكان شريح يأمر الغريم أن يجلس إلى سارية المسجد (٤٦٢).



فقد أسلم ثمامة بن أثال دون ضغط أو إكراه، فقد تركه النبي ﷺ في المسجد ثلاثة أيام متتالية وهو مشرك؛ لكي يرى ويشهد المسلمين وهم يصلون، ويتعاملون مع بعضهم، ورسول الله ﷺ بينهم يعلمهم، فلما رأى ذلك أسلم، مع أن النبي ﷺ لم يكرهه على الإسلام.

**يقول المؤرّخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) وهو يتحدّث عن سرّ انتشار الإسلام في عهد رسول الله ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده:** «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوّة، ولم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قَهَرَتْ مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند - التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل - ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليونَ نفس فيها - هذا في زمنه -، ولم يكن الإسلام أقلّ انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أيّ جزءٍ منها قطُّ»<sup>(١)</sup>.

فالإسلام غزا القلوب وأسر النفوس، وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضاً، فليس بإمكانه أن يفتح قلباً!



(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون: ص ١٢٨، ١٢٩ نقلا عن كتاب البابا والإسلام ليويسف بن عبدالله.





## المطلب السابع

### مسألة إذن الإمام بالجهاد

**اتفق العلماء على مشروعية إذن الإمام بالجهاد، وأن لا جهاد بلا إمام، واختلف العلماء في درجة إذن الإمام وأحوالها<sup>(١)</sup> :**

فمنهم من قال بأنه لا يجوز الغزو بغير إذنه، ومنهم من قال الكراهة. ومنهم من جوز ذلك إذا دامهم العدو، أو خشي فوات نكاية فيه. «وهذا الراجح». ومنهم من جوز ذلك إذا كان الإمام غير عدل؛ لأنه قد ينهاهم على غير وجه صحيح لكونه غير عدل ومفرط في مسؤولياته.

**ومنهم من قال:** إن تسبب ذهابه للإذن في فوات المقصود، أو عطل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا، أو غلب على الظن عدم إذنه وكانت المصلحة في الإذن.

فقد سئل الإمام مالك عن العدو ينزل بساحل من سواحل المسلمين يقاتلونهم بغير استئمار الوالي؟ فقال: أرى إن كان الوالي قريباً منهم أن يستأذنه في قتالهم قبل أن يقاتلوهم، وإن كان بعيداً لم يتركوهم حتى يقعوا بهم، ف قيل له: بل الوالي بعيد منهم. فقال: كيف يصنعون أيدعوهم حتى يقعوا بهم أرى أن يقاتلوهم<sup>(٢)</sup>.

**و قال ابن قدامة:** «لا يخرجون إلا بإذن الأمير؛ لأن أمر الحرب موكول إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقتلهم، ومكان العدو وكيدهم، فينبغي أن يرجع إلى رأيه، لأنه

(١) ينظر: الإنجاد في أبواب الجهاد لابن المناصف القرطبي المالكي، والجهاد في الإسلام، للشيخ عبد السلام السحيمي، والجهاد أنواعه وأحكامه، للشيخ حمد العثمان، والجهاد ضوابطه وشروطه للشيخ صالح آل فوزان، وينظر المسألة في كتب الفقه عموماً.

(٢) مواهب الجليل ٣/ ٣٤٩.



أحوط للمسلمين؛ إلا أن يتعذر استئذانه لمفاجأة عدوهم لهم، فلا يجب استئذانه، لأن المصلحة تتعين في قتالهم والخروج إليه»<sup>(١)</sup>.

**قال ابن رشد:** «إن الإمام إذا كان غير عدل لم يلزمهم استئذانه في مبارزة ولا قتال، إذ قد ينهاهم عن غرة قد ثبتت له على غير وجه نظر يقصده لكونه غير عدل في أموره فيلزمه طاعته، وإنما يفترق العدل من غير العدل في الاستئذان له لا في طاعته إذا أمر بشيء أو نهى عنه؛ لأن الطاعة للإمام من فرائض الغزو فواجب على الرجل طاعة الإمام فيما أحب أو كره، وإن كان غير عدل ما لم يأمره بمعصية»<sup>(٢)</sup>.

**وقال الشافعي:** ولكننا نكره أن يخرج القليل إلى الكثير بغير إذن الإمام وسبيل ما أوجفوا عليه بغير إذن الإمام كسبيل ما أوجفوا عليه بإذن الإمام، ولو زعمنا أن من خرج بغير إذن الإمام كان في معنى السارق زعمنا أن جيوشاً لو خرجت بغير إذن الإمام كانت سراقاً وأن أهل حصن من المسلمين لو جاءهم العدو فحاربوهم بغير إذن الإمام كانوا سراقاً وليس هؤلاء بسراق بل هؤلاء المطيعون لله المجاهدون في سبيل الله المؤدون ما افترض عليهم من النفير والجهاد، والمتناولون نافلة الخير والفضل»<sup>(٣)</sup>.

**وقال المزني:** «وإن غزت طائفة بغير أمر الإمام كرهته لما في إذن الإمام من معرفته بغزوهم ومعرفتهم ويأتيه الخبر عنهم فيعينهم حيث يخاف هلاكهم فيقتلون ضيعة»<sup>(٤)</sup>.

**قال الماوردي:** «يكره أن يغزو قوم بغير إذن الإمام لأمرين:

**أحدهما:** أنه أعرف بجهاد العدو منهم.

(١) المغني ٢١٣/٩.

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ٣/٣٤٩.

(٣) الأم للشافعي ٧/٣٧٣.

(٤) الحاوي الكبير ١٤/٥٥٦.



**والثاني:** أنه إذا علم أعانهم وأمدهم، فعلى التعليل الأول يكره لهم ذلك في حق الله تعالى، وعلى التعليل الثاني يكره لهم ذلك في حقوق أنفسهم، إن غزوا بغير إذنه لم يحرم عليهم وسواء كانوا في منعة أو غير منعة.

**وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ:** يحرم عليهم إلا أن يكونوا في منعة، قال أبو يوسف: المنعة عشرة، وهذا فاسد لأمرين:

**أحدهما:** أن العدد ليس بشرط في الإباحة، قد أنفذ رسول الله عمرو بن أمية الضمري ورجلاً من الأنصار سرية وحدهما، وأنفذ عبد الله بن أنيس سرية وحده لقتال خالد بن سفيان الهذلي وهو في العدة والعدد، وأنفذ محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فقتله، وأنفذ نفرًا لقتل ابن أبي الحقيق فقتلوه.

**والثاني:** أنه ليس في القلة أكثر من بذل النفس، وجهاد العدو، وهذا غير محظور قد حث رسول الله ﷺ على القتال وذكر الجنة فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله إن قتلت صابراً محتسباً ما الذي لي؟ قال: الجنة، فانغمس في العدو حتى قتل<sup>(١)</sup>.

واستثنى البلقيني من الكراهة صوراً «**أحدها:** أن يفوته المقصود بذهابه للاستئذان. **ثانيها:** إذا عطل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا كما يُشاهد. **ثالثها:** إذا غلب على ظنه أنه إذا استأذنه لا يأذنه»<sup>(٢)</sup>.

**قال عبدالله بن أحمد:** قلت لأبي: إن خرجوا بغير إذن الإمام. قال: لا، إلا أن يأذن الإمام، إلا أن يكون يفاجئهم أمر من العدو، ولا يمكنهم أن يستأذنوا الإمام، فأرجو أن يكون ذلك دفعاً من المسلمين<sup>(٣)</sup>.

(١) الحاوي الكبير ١٤/٢٠٦.

(٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٩/٢٣٧.

(٣) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ص ٢٥٨.



**قال البهوتي:** ويحرم غزو بلا إذن الأمير لرجوع أمر الحرب إليه لعلمه بكثرة العدو وقتله ومكامنه وكيدة «إلا أن يفاجئهم عدو» كفار «يخافون كلبه» بفتح اللام أي شره وأذاه. فيجوز قتالهم بلا إذنه لتعين المصلحة فيه. ولذلك «لما أغار الكفار على لقاح أي نوق النبي ﷺ فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً عن المدينة تبعهم فقاتلهم بغير إذن فمدحه النبي ﷺ وقال: (كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة) وأعطاه سهم فارس وراجل»<sup>(١)</sup> وكذا إن عرضت لهم فرصة يخافون فوتها بتركه للاستئذان<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن عثيمين:** «لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر؛ لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور، وليس أفراد الناس، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد، فلا يجوز لأحد أن يغزو دون إذن الإمام إلا على سبيل الدفع، وإذا فاجأهم عدو يخافون كلبه، فحينئذ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم لتعين القتال إذن. وإنما لم يجز ذلك؛ لأن الأمر منوط بالإمام؛ فالغزو بلا إذنه افتيات وتعد على حدوده؛ ولأنه لو جاز للناس أن يغزوا بدون إذن الإمام لأصبحت المسألة فوضى كل من شاء ركب فرسه وغزا، ولأنه لو مكن الناس من ذلك لحصلت مفاصد عظيمة، فقد تتجهز طائفة من الناس على أنهم يريدون العدو، وهم يريدون الخروج على الإمام أو يريدون البغي على طائفة من الناس»<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق يتبين أن الجهاد فرض عين إذا هجم العدو على المسلمين، ففي هذه الحال يجب قتالهم على كل مسلم، ولا يشترط إذن الإمام حينئذ.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها (١٨٠٧).

(٢) شرح منتهى الإرادات دقائق أولي النهى لشرح المنتهى ١/٦٣٦.

(٣) الشرح الممتع ٨/٢٥.



أما الجهاد الذي يقصد منه الفتح، ودعوة الكفار إلى الإسلام، وقاتل من أبي الخضوع لحكم الله، فهذا لا بد فيه من إذن الإمام، وبذلك تنضبط الأمور. فإذا كان الإمام مانعاً من الفوضى التي يمكن أن تنشأ من إعلان بعض المسلمين الحرب على أعداء الله دون تقدير لظروفهم وقوتهم وقوة عدوهم.

**قال علماء اللجنة الدائمة:** «الجهاد لإعلاء كلمة الله وحماية دين الإسلام والتمكين من إبلاغه ونشره وحفظ حرمانه فريضة على من تمكن من ذلك وقدر عليه، ولكنه لا بد له من بعث الجيوش وتنظيمها خوفاً من الفوضى وحدث ما لا تحمد عقباه؛ ولذلك كان بدوّه والدخول فيه من شأن ولي أمر المسلمين»<sup>(١)</sup>.

واجتماع الناس من قبل الإمام يزيدهم قوة، فضلاً عن التزامهم بالواجب الشرعي في طاعته فيما لم يخالف فيه شرع الله، وبذلك يكون المسلمون المجاهدون صفّاً واحداً يجتمعون على نصرة الدين وحماية شرع الله.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٢/١٢.



# المبحث الخامس:

## الدعوة إلى الله بين السرية والجهرية

ويتضمن ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** تأصيل السرية في الدعوة إلى الله.

**المطلب الثاني:** بين السرية وأخذ الحيطة والحذر.

**المطلب الثالث:** قواعد منهجية في السرية في الدعوة.







## المبحث الخامس الدعوة إلى الله بين السرية والجهرية

الأصل في الدعوة إلى الله هو الجهر والعلانية، لقوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

ولأنها دعوة إلى عموم الخلق، فقد أرسل الله رسوله ﷺ رحمة للعالمين، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وعموم الدعوة يقتضي عموم البلاغ والبيان، وذلك يتنافى مع السرية. إلا أن الدعوة قد تمر عليها أحوال وتتعاقب عليها محنٌ تلجئ القائمين عليها إلى السرية، وهم في ذلك ليسوا مبتدعين ولا مفرطين. ولكن الأمر لا بد أن يؤخذ بوسطيةٍ وبمنهجيةٍ سليمةٍ بعيداً عن الإفراط والتفريط.. وبيان ذلك في ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول

#### تأصيل السرية في الدعوة إلى الله

من الناحية التاريخية فقد كانت السرية مرحلة أساسية في تاريخ الدعوة منذ بدايتها؛ فهذا نوح عليه السلام أول رسول لأهل الأرض يقول: ﴿ تَمَّ إِنِّي أَغَلْتُ لَكُمْ وَأَسْرَرْتُ لَكُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٨، ٩].

«وفي دعوة موسى عليه السلام؛ نشأت ضرورة السرية فيها منذ اللحظة التي ولد فيها،



ففرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل وأن موسى ولد في تلك الظروف فكان لا بد من حمايته كابن من أبناء بني إسرائيل الذين يُذبحون، فدبر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حماية موسى والتي بدأت بوحي الله إلى أمه: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَكَلِمَتِهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص: ٧].

والتقييم لهذه العملية يبرز الدقة المتناهية التي تمت بها، فقد أمر الله أم موسى أن ترضعه لأن الله سبحانه بعد ذلك حرم عليه المراضع كلها، حتى تكون رضاعة أمه سبباً في شبعه وقت تحريم المراضع عليه، كما أن الله سبحانه جعل اليمِّ يشارك في تنفيذ هذه العملية حتى تنقطع كل الخيوط التي قد يتوصل بها آل فرعون إلى معرفة المكان الذي جاء منه موسى ومعرفة حقيقته فكان أمر الله إلى اليمِّ.

ثم كانت المتابعة سرّاً لموقف موسى بواسطة أخته، ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [القصص: ١١].

وتكلمت مع آل فرعون دون أن تخبرهم أنها أخته: ﴿ **فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** ﴾ [القصص: ١٢] دون أن تخبرهم أن البيت المقصود هو بيته، ويعود موسى إلى أمه بالأمان والحماية بعد عملية دقيقة.

فقد بلغ الأمر أن يسلم موسى إلى آل فرعون ليتحقق له النجاة منهم وقد كان هذا تأكيداً لأهمية السرية في حماية موسى بواقعه الفردي.

أما أهمية السرية في حماية واقع الدعوة فتكشفه لنا آيات القرآن ونكتشف بتلك الآيات وجود عمل دعوي سري دقيق في دعوة موسى ووجود الدلائل المادية عليه.

ومن ذلك إيمان رجل من آل فرعون: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ [غافر: ٢٨]. فقد



كان الرجل من آل فرعون واستطاع أن يكتفم إيمانه مما يدل على أصالة هذا الإنسان وقوة هذا التنظيم.

ويزداد قرب الآيات القرآنية من واقع فرعون لتكشف لنا إيمان زوجة فرعون نفسه، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١].

وذلك دون أن يدري فرعون رغم ما في العلاقة الزوجية من خطورة على الأسرار إذ أنها علاقة إفشاء بالمشاعر والأفكار، ولنا أن نؤكد دقة وقوة هذا التنظيم الذي كان في عهد موسى من خلال امتداده سرّاً إلى آل فرعون وامرأة فرعون، ومن خلال التوقيت الذي كشف فيه الرجل المؤمن عن إيمانه، إذ إنه كان الوقت الذي تقرر فيه قتل موسى<sup>(١)</sup>.

ودعوة رسول الله ﷺ من الشواهد على ذلك، خصوصاً في أول مراحل الدعوة عندما اشتد إيداء قريش على النبي ﷺ.

**فقد ذكر ابن كثير عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:** «ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت فاصدع بما تؤمر، فخرج هو وأصحابه»<sup>(٢)</sup>.

**وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:** أتيت رسول الله ﷺ، في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخف. فقلت: ما أنت؟ قال: (أنا نبي) فمن معك على هذا؟ قال: (حرٌّ وعبد)، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن معه، فقلت: إني متبعك. قال: (إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟! ولكن

(١) قصة أصحاب الأخدود دفاعي سرور ٢٥-٢٦ باختصار.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٧٣.



ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: (اكنم هذا الأمر، وارجع إلى قومك فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن إسحاق: «وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه»<sup>(٣)</sup>.

وقال: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير، فشجّه، فكان أول دم أريق في الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

استمر النبي ﷺ في دعوته السرية، يستقطب عدداً من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من ضمهم في سرية تامة، بعد إقناعهم بالإسلام، وهؤلاء كانوا نعم العون والسند للرسول ﷺ لتوسيع دائرة الدعوة في نطاق السرية، وهذه المرحلة العصبية من حياة دعوة الرسول ﷺ ظهرت فيها الصعوبة والمشقة، في تحرك الرسول ﷺ ومن آمن معه بالدعوة، فهم لا يخاطبون إلا من يأمنوا شره، ويثقون به، وهذا يعني أن الدعوة خطواتها بطيئة وحذرة.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً مألماً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصره، باب إسلام عمرو بن عبسة (٨٣٢).

(٢) إمتاع الأسماع ٤/٣٧٢، فتح الباري ٧/١٧٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٦٢.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٦٣.



قريشٍ لقريشٍ، وأعلم قريشٍ بها، وبما كان فيها من خيرٍ وشرٍ، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلقٍ ومعروفٍ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه<sup>(١)</sup>.



## المطلب الثاني

### بين السرية وأخذ الحيطة والحذر

#### □ أولاً: السرية في الدعوة منهجية استثنائية :

من خلال دعوة النبي ﷺ يمكن بيان معالم منهجية في الدعوة السرية والجهرية في النقاط التالية، تبين أن السرية في الدعوة إلى الله كانت وضعاً استثنائياً في ظروف معينة ولها حكم محددة، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- «الترث ريثما تتكون لبنات قوية المزج، شديدة التماسك في جو بعيد عن إثارة المعوقات في طريق سير الدعوة؛ لأن هذه اللبنة هي القوة الدافعة التي سيعتمد عليها بناء المجتمع الإيماني الجديد في مواجهة قوى الظلم والبغي المتربصة بهذا الدين في صبرٍ لا يعرف الوهن، وجهاد لا يعرف اليأس.

٢- نهج المسالمة المؤقتة في البداية؛ لأن مهاجمة هذا المجتمع الغارق في شروره ومواجهته بضلاله وساق الدعوة لم يستو بعد، يؤذن بتحريك دوافع المقاومة للدعوة في نفوس المستكبرين، والدعوة لا تزال في أول خطواتها، فتتعرث في سيرها، وهي لا تزال وليدة طرية.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٠/١.



٣- أثر النبي ﷺ الاستمرار بدعوته وتبليغ رسالته؛ حرصاً منه أن يكون سيرها مطرداً وئيداً هادئاً، تسير إلى القلوب بخطاً ثابتة، حتى تتمكن من الإعلان عن نفسها في الوقت المناسب<sup>(١)</sup>، بعد أن يؤمن بها عدد من الناس يضحون في سبيله بالغالي والنفيس، مما يضمن استمرارها وبقائها.

٤- إتاحة الفرصة للدعوة حتى تصل إلى مسامع العرب في مواسمهم ومحافلهم وأسواقهم ومضارب منازلهم، فأنت هذه الخطوة أكملها؛ حيث أقبل إلى مكة فريق منهم، يتحسس أخبارها، ويتعرف مكانها في خفية وحذر، حتى إذا بلغوا مأمنا في مقرها «دار الأرقم» أسلموا لله تعالى، واتبعوا رسوله ﷺ، واهتدوا بهديه، وآمنوا بما جاء به من الحق<sup>(٢)</sup>.

فقد كانت في الدعوة في بدايتها تواجه تحديات كثيرة، وهذه التحديات كانت تحتاج لأفراد يقومون بحمل راية الدعوة، يتم الحفاظ عليهم وعدم تعريضهم للبلاء، حتى يتعلموا ويتربوا على ما يشتهم ويعينهم على حمل راية الدين وتبليغ دعوة الإسلام.. ولذا فقد كانت مرحلة الدعوة السرية مرحلة بناء وتربية، لا جبن وهروب حسب ما تقتضيه التدبيرات.

### □ ثانياً: أخذ الحيطة والحذر منهجية دعوية :

هذا الأمر من المنهجيات المهمة الأصيلة في الدعوة بينه الله في القرآن بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

قال ابن كثير: «يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم»<sup>(٣)</sup>، قال الشيخ

(١) محمد رسول الله، محمد صادق عرجون ١/٦٠٥.

(٢) الحكمة من الدعوة السرية د: محمد أمحزون، مقال منشور على موقع قصة الإسلام.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٥٧.



السعدي: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم»<sup>(١)</sup>.  
ومن هنا كان لا بد للدعاة وللمن يقوم على الدعوة تحصين أنفسهم والمدعوين من المخاطر على أنفسهم ودينهم، وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في رعايته لأصحابه واهتمامه بهم في هذه الناحية وتأخذ في ذلك نموذجين:

### • النموذج الأول: أخذ الحيطة والحذر في دار الأرقم:

عندما أراد النبي ﷺ أن يختار مكاناً آمناً للدعوة يجتمع فيه مع أصحابه يعلمهم ويزكيهم، وقع الاختيار على دار الأرقم بن أبي الأرقم، وتم اختيار هذا المكان بعناية شديدة وبإلهام رباني تجلى فيه جانب أخذ الحيطة والحذر حفاظاً على الدعوة والمدعوين:

### ولذا كان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

- ١- أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره.
- ٢- أن الأرقم بن الأرقم رضي الله عنه من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم. فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.
- ٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه رضي الله عنه.

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٨٦.



فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في دور بني هاشم، أو في بيت أبي بكر رضي الله عنه أو غيره، ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبداً أن قريشاً داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء<sup>(١)</sup>.

### • النموذج الثاني: أخذ الحيطه والحذر في هجرته للمدينة :

إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب وأخذ الحيطه والحذر من ابتدائها إلى انتهائها، يدرك أن مدى عناية إمام الدعوة صلى الله عليه وسلم بأخذ الحيطه والحذر.

وظهر هذا في مواقف كثيرة في هذه الحادثة منها: وجود التنظيم الدقيق للهجرة وظهور الحس والوعي الأمني لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى سبيل المثال<sup>(٢)</sup>:

١- جاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه في وقت شديد الحر- الوقت الذي لا يخرج فيه أحد- بل من عادته لم يكن يأتي فيه، لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

٢- أمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يخرج من عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

٣- إخفاء شخصيته صلى الله عليه وسلم أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق متلثماً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم<sup>(٣)</sup>.

٤- وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المنهج الحركي للغضبان ١/ ٤٩.

(٢) ينظر: أحداث الهجرة والروايات الخاصة بها في سيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير.

(٣) ينظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية لإبراهيم على محمد، ص ١٤١.

(٤) ينظر: معين السيرة لصالح الشامي، ص ١٤٧.





٥- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية ومسارب الصحراء، ولو كان ذلك الخبير مشركاً ما دام على خلق وورزانة<sup>(١)</sup>.

٦- انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شؤون الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات كلها تتربط برباط القرابة، أو برباط العمل الواحد، مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

٧- فكرة نوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكان الرسول، فكرة ناجحة، قد ضللت القوم وخذعتهم، وصرفتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

٨- وعامر بن فهيرة رضي الله عنه: الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه، كيلا يتفرسها القوم<sup>(٢)</sup>.



### المطلب الثالث

#### قواعد منهجية في السرية في الدعوة

من خلال موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بدء الدعوة بسرية يمكن أن نخرج بمجموعة من القواعد المنهجية المهمة في هذا الأمر وهي:

أولاً: «التحذير من قضايا التأويل والسرية والباطنية في الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، والتأكيد على أن الإسلام دين كامل واضح، وكل مبادئه وأفكاره علنية،

(١) ينظر: الهجرة في القرآن الكريم لأحزمي سامعون، ص ٣٦١.

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٢٨٠-٢٨١، وأضواء على الهجرة، لتوفيق محمد، ص ٣٩٣-٣٩٧.



وأنه لا سر فيها، ولا إضافة عليها، إن علانية العقائد قوّة لها؛ لأن الإنسان يعلن ما يعتزُّ به.

**ثانياً:** التأكيد على أن الناس يستجيبون بفطرتهم للدعوات الواضحة العلنية المفهومة السوية، وينفرون بفطرتهم من الأفكار المبهمة السرية المائعة المشوّهة.

**ثالثاً:** الانتباه لأخطاء الدعوة السرية فهي تضر بأصحابها أكثر مما تضرُّ بأعدائها، كما أن سريتها تجعلها تتفاقم لأنها في الظلام فلا تُرى، خلافاً لأخطاء العلن التي يمكن تداركها لأنها في النور»<sup>(١)</sup>.

**رابعاً:** «على الدعوة أن تكون مفتوحة على الناس كلما سمحت الظروف المحيطة بذلك، وليس للعمل السري أفضلية أو قدسية إذا ما سُمح بالعمل المعلن. واعتبار العمل العلني القاعدة الأساسية، ولا يلجأ إلى العمل السري إلا استثناءً، وحينئذ تطبّق عليه قاعدة الضرورات تقدر بقدرها أو أن الضرورات تبيح المحظورات.

فلا بد للنظر للسرية والعلنية في الدعوة أنها قضية تنظيمية بحثية، ولكلا الأسلوبين أصل في الإسلام، وإنما تحدد الظروف والمعطيات الواقعية مدى صلاحية أحدهما للحركة على المدى البعيد»<sup>(٢)</sup>.

**خامساً:** فكرة السرية في منهج الدعوة لا بد أن تكون هادفة إلى أن يعطي الدعاة أنفسهم فرصة تجميع الطاقات وحشد الإمكانيات، ولا يصح أن تصير غاية ووسيلة مستمرة.

وبهذا تكون السرية من الناحية العملية ضرورة تنشؤها ظروف الدعوة وتتحدد

(١) ميثاق الشرف الدعوي - د. هشام الطالب ص ٣٩.

(٢) دليل التدريب القيادي - د. هشام الطالب ص ١٠.



ضرورتها بمنهجية الفكر وواقعية الأسلوب الشجاع<sup>(١)</sup>.

**سادساً:** الدعوة مطالبون بالحفاظ على أنفسهم وعلى جماعتهم، لا لخوفهم من الموت؛ ولكن حفاظاً على الدين، وعلى استمرار المسيرة.

**سابعاً:** من عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الوعي بفقده المرحلة وما تحتاجه من إمكانات ورجال، وكذلك ما يحتاجه الرجال من تربية وتعليم وتثبيت.

**ثامناً:** «ولا شك أن تقدير الحاجة إلى السرية من موارد الاجتهاد، ومسائل السياسة الشرعية، التي تختلف فيها الفتوى باختلاف الزمان والمكان والأحوال»<sup>(٢)</sup>.

**تاسعاً:** الأمر في قضية السرية في الدعوة راجع إلى علو الدين وظهوره، فإن كان كذلك تحتم أن تكون الدعوة جهرية، وعمل المسلمون بآيات التمكين، وأما إن كان الأمر على خلاف ذلك فليعمل المسلمون بآيات الصبر، ويدعون سراً بحسب الحال.

**قال شيخ الإسلام:** «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله؛ من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»<sup>(٣)</sup>.

**عاشراً:** وإذا تقرر أن الحاجة إلى الدعوة السرية تختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال؛ فإنه قد تلجئ الحاجة أن تكون الدعوة إلى الإسلام وتعليم الناس مبادئه من أولها لآخرها سرية، ويختص بذلك من يوثق به، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه في أول الأمر.

(١) قصة أصحاب الأخدود ص ٢٤.

(٢) الثواب والتمغيرات، د. صلاح الصاوي ص ٣٢٦.

(٣) الصارم المسلول ص ٢٢١.



**الحادي عشر:** قد يكون الإسلام في ظهور نسبي، بحيث تكون بعض شعائره ظاهرة وبعضها الآخر غير ظاهر، ويحتاج أهل الدعوة إلى المداراة في بعضه، فينبغي على الداعية حينئذ أن يختص من يثق به بالدعوة السرية لهذه الشعائر التي لا يستطيع الداعية أن يجهر بها علناً<sup>(١)</sup>.

**الثاني عشر:** الحذر من اندراس معالم الدين بحجة السرية في الدعوة؛ فإنه إذا طالت انتقلت إلى الأجيال التالية، وربما تنشأ أجيال تنكر إظهار الدعوة والشعائر الدينية لأنها لم تسمع عنها من أسلافهم، فتظن أنها ليست من الإسلام، أو تفهمها على غير مراد الله ورسوله ﷺ.

**الثالث عشر:** «أنه في بعض الأحيان يمكن التداخل بين الدعوة السرية والدعوة العلنية؛ إذ تفيد رواية إسلام أبي ذر رضي الله عنه.

فهذا علي رضي الله عنه يتخذ تدابير اليقظة والحذر، وهو يمهد الطريق لإدخال أبي ذر رضي الله عنه على النبي ﷺ ولما قابله ﷺ واستمع إلى قوله فأسلم، قال له: **(ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري)**<sup>(٢)</sup>، فقال: والذي نفسي بيده، لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد، فأعلن إسلامه أمام الملاء من قريش، إذ نادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وهذا يفيد أنه ليس لكل مرحلة من المرحلتين السرية والعلنية معالمها المحددة، وإنما قد توأكب إحداهما الأخرى تبعاً لما تقتضيه مصلحة الدعوة الناشئة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: الثوابت والمتغيرات ص ٣٢٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر (٣٨٦١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر (٢٤٧٤).

(٣) الحكمة من الدعوة السرية د: محمد أمحزون، مقال منشور على موقع قصة الإسلام.

# المبحث السادس: الدعوة إلى الله والعمل السياسي

ويتضمن خمسة مطالب:

- المطلب الأول:** الكلام على قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد.
- المطلب الثاني:** تنبيهات للدعاة خاصة في المشاركة السياسية.
- المطلب الثالث:** كفاية من يشارك في العمل السياسي.
- المطلب الرابع:** ضرورة التمييز بين العمل الدعوي والسياسي.
- المطلب الخامس:** مبررات التمييز بين العمل الدعوي والعمل السياسي.





## المبحث السادس الدعوة إلى الله والعمل السياسي

أخبر الصادق المصدوق عليه السلام أن أول عرى الإسلام نقضاً: الحكم، وآخرها الصلاة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكَلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً: الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ: الصَّلَاةُ)<sup>(١)</sup>.

ومصدقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث هذا في بلاد المسلمين في الجملة إلا من رحم الله بعد سقوط الدولة العثمانية، وتتابع الاحتلال الصليبي على ديار الإسلام، حتى علا نجم الأعداء، وفُرضت أنظمة غير إسلامية على المسلمين وغيرهم، فكان هذا الحدث نازلة أمت بالمسلمين، وترتب على ذلك الحكم بالقانون الوضعي، وتنحية الشريعة وفصل الدين عن الحياة.

واختلف العلماء في جواز المشاركة في هذه الأنظمة، بين مانع ومجوز وثالث يسلك سبيلاً وسطاً؛ فيقول بالجواز ولكن مع اشتراط بعض الضوابط لهذه المشاركة. والذي يظهر أن القول بالجواز مع اشتراط ضوابط لذلك إن كانت متحققة، هو القول الأقرب إلى الصواب وقواعد الشريعة العامة<sup>(٢)</sup>.

(١) مسند أحمد ٣٦/٤٨٥ (٢٢١٦٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) ينظر: فتوى اللجنة الدائمة رقم: (٤٠٢٩)، ورقم (١٤٦٧٦)، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٨، والكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر ص ٤٠ للشيخ أحمد شاکر، سؤال مجلة الإصلاح السودانية للشيخ ابن باز عن حكم المشاركة، العدد ٢٤١، لقاء الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين شريط رقم ٢١١، فتوى الشيخ ابن جبرين على موقعه برقم (١٠٢٥٤).



وبيان ذلك من خلال خمسة مطالب<sup>(١)</sup>:

## المطلب الأول

### الكلام على قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد

إن من كمال شريعة الله ﷻ وشمولها وعظمتها أنها لم تكلف العبد إلا بما يطيقه، وجعلت له قواعد كلية يرجع إليها عند اشتباه الأمور عليه، ونزول أمر جديد بالمسلمين، ومن ذلك: قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد.

#### وتطبيق هذه القاعدة في العمل السياسي يتطلب النظر إلى أمور:

**أولاً:** الأصل أنه يجب على المسلمين الحكم في بلادهم بشريعة الله ﷻ والتحاكم إليها، وأن يكون لها السيادة المطلقة على أنظمة بلادهم، وطرق سياستها.

فإن كان الواقع على خلاف ذلك، فيجب عليهم السعي إلى ذلك بكل الطرق المشروعة الممكنة، كل بما يقدر عليه.

**ثانياً:** إن عجزوا أو تأخر تحقيق ذلك، فعلى كل صاحب قدرة أن يتقي الله ما استطاع، وأن يسعى لتحصيل المصالح ما أمكن، وتعطيل المفاسد ما أمكن.

(١) ينظر: هذه المسألة بتوسع في: فصل في تعارض الحسنات أو السيئات في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨/٢٠) وفصل في اجتماع المصالح مع المفاسد في قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعزيز بن عبدالسلام ٩٨/١.

السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي: لأحمد محيي الدين، والموازنة بين المصالح والمفاسد وأثرها في الشأن المصري العام بعد الثورة: لمحمد عبدالواحد، ومشروعية الدخول في المجالس التشريعية وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة: لعبدالرحمن عبدالخالق، رسالة علمية بعنوان: المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة؛ دراسة فقهية مقارنة: لمشير عمر خميس، والمشاركات السياسية المعاصرة د. محمد يسري، ويوجد بحث بعنوان: مشاركة الدعاة في العمل السياسي د. صلاح الصاوي وهو متخصص في فقه بلاد الغرب.





**قال شيخ الإسلام:** «فإن مدار الشريعة على قوله تعالى: ﴿فَأَنْقُضِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وعلى قول النبي ﷺ: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)<sup>(١)</sup> وعلى أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها»<sup>(٢)</sup>.

**ثالثاً:** لا يختلف العلماء في أن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأن مطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً، ودفع شر الشرين إذا لم يمكن أن يندفعا جميعاً، فأعلى المصلحتين تُحصل ولو فات أدناهما، وأعلى المفسدتين تُدفع بارتكاب أدناهما.

**قال شيخ الإسلام:** «فتبين أن السيئة تُحتمل في موضعين: دفع ما هو أسوأ منها إذا لم تُدفع إلا بها، وتحصل بما هو أنفع من تركها إذا لم تحصل إلا بها. **والحسنة تترك في موضعين:** إذا كانت مفوتة لما هو أحسن منها، أو مستلزمة لسيئة تزيد مضرتها على منفعة الحسنة هذا فيما يتعلق بالموازنات الدينية»<sup>(٣)</sup>.

**ثم قال:** «بل ذلك ثابت في العقل كما يُقال: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين، وشر الشرين، ويُنشد:

**إِنَّ اللَّيْبَ إِذَا بَدَأَ مِنْ جِسْمِهِ مَرَضَانٌ مُخْتَلِفَانِ دَاوَى الْأَخْطَرَا**

وهذا ثابت في سائر الأمور؛ فإن الطيب مثلاً يحتاج إلى تقوية القوة ودفع المرض؛ والفساد أداة تزيدهما معاً؛ فإنه يرجح عند وفور القوة تركه إضعافاً للمرض، وعند ضعف القوة فعلة لأن منفعة إبقاء القوة والمرض أولى من إذهابهما جميعاً؛ فإن

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٨)، ومسلم كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧).

(٢) السياسة الشرعية ص ٤٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٥٣/٢٠.



ذهاب القوة مستلزم للهلاك؛ ولهذا استقر في عقول الناس أنه عند الجذب يكون نزول المطر لهم رحمة، وإن كان يتقوى بما ينبته أقوام على ظلمهم، لكن عدمه أشد ضرراً عليهم<sup>(١)</sup>.

فتبين مما سبق أنه عند دفع مفسدة كبرى بارتكاب مفسدة أقل منها فإن هذا جائز، وعند تحقيق مصلحة كبرى يستلزم منه فعل سيئة أقل منها فإنه جائز أيضاً، وكل ذلك في حال الضرورة.

**رابعاً:** بناء على تأصيل هذه القاعدة السابقة رجَّح بعض العلماء جواز المشاركة في الأنظمة غير الإسلامية من أجل تقليل المفساد ما أمكن، وجلب المصالح ما أمكن، ولو بارتكاب بعض المفساد التي تنتج عن المشاركة في نظام غير إسلامي.

وهذا من باب تولي بعض الولايات من أجل تحقيق ما يمكن تحقيقه من العدل، ودفع ما يمكن دفعه من الظلم، وإبعاد أهل الفسق ومن يكثرون منه الظلم والبغي والتعدي على حقوق الله وحقوق العباد إذا تولى مثل هذه المناصب.

وفي ذلك سئل شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ «عن رجل متول ولاية، ومقطع إقطاعات، وعليها من الكلف السلطانية ما جرت به العادة، وهو يختار أن يسقط الظلم كله، ويجتهد في ذلك بحسب ما قدر عليه، وهو يعلم أنه إن ترك ذلك وأقطعها غيره وولى غيره فإن الظلم لا يُترك منه شيء؛ بل ربما يزداد، وهو يمكنه أن يخفف تلك المكوس التي في إقطاعه، فيسقط النصف والنصف الآخر جهة مصارف لا يمكنه إسقاطه.

**فأجاب:** الحمد لله، نعم إذا كان مجتهداً في العدل ورفع الظلم بحسب إمكانه، وولايته خير وأصلح للمسلمين من ولاية غيره، واستيلائه على الإقطاع خير من

(١) مجموع الفتاوى ٢٠ / ٥٤.



استيلاء غيره كما قد ذكر: فإنه يجوز له البقاء على الولاية والإقطاع ولا إثم عليه في ذلك؛ بل بقاءه على ذلك أفضل من تركه؛ إذا لم يشتغل إذا تركه بما هو أفضل منه، وقد يكون ذلك عليه واجباً إذا لم يقيم به غيره<sup>(١)</sup>.

**وقال رَحِمَهُ اللهُ:** «بل لو كانت الولاية غير واجبة وهي مشتملة على ظلم؛ ومن تولاها أقام الظلم، حتى تولاها شخص قصده بذلك تخفيف الظلم فيها، ودفع أكثره باحتمال أيسره: كان ذلك حسناً مع هذه النية، وكان فعله لما يفعله من السيئة بنية دفع ما هو أشد منها جيداً. وهذا باب يختلف باختلاف النيات والمقاصد. فمن طلب منه ظالم قادر وألزمه مالاً فتوسط رجل بينهم؛ لا يدفع عن المظلوم كثرة الظلم، وأخذ منه وأعطى الظالم مع اختياره أن لا يظلم، ودفعه ذلك لو أمكن: كان محسناً، ولو توسط إعانة للظالم كان مسيئاً»<sup>(٢)</sup>.

**وقال:** «ومن هذا الباب تولي يوسف الصديق على خزائن الأرض لملك مصر، بل ومسألته أن يجعله على خزائن الأرض، وكان هو وقومه كفاراً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [غافر: ٣٤] الآية، وقال تعالى عنه: ﴿يَصْخَبِي السِّجْنِ ۚ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٣)</sup> مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ ۖ وَءَابَاؤُكُمْ ۖ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠] الآية، ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين الله؛ فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان، ونال بالسلطان من

(١) مجموع الفتاوى ٣٠/٣٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٥٥.



إكرام المؤمنين من أهل بيته ما لم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل في قوله: ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]»<sup>(١)</sup>.

وفعل هذا من باب الضرورة كما سبق، ومن باب تقوى الله بحسب الإمكان والقدرة، وفاعل مثل هذا اجتهاداً بقصد حسن ونية صالحة معذور عذره الشرع، بل مثاب على فعله إن أحسن النية والعمل.

**قال العز بن عبد السلام:** «وقد يجوز في حال الاضطرار ما لا يجوز في حال الاختيار»<sup>(٢)</sup>.

**وقال شيخ الإسلام:** «إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقدم أو كدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة. وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة، وإن سُمي ذلك: ترك واجب، وسُمي هذا: فعل محرّم، باعتبار الإطلاق لم يضر.

**ويقال في مثل هذا:** تَرَكَ الْوَاجِبَ لِعَذْرٍ، وَفَعَلَ الْمَحْرَمَ لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ، أَوْ لِلضَّرُورَةِ، أَوْ لِدَفْعِ مَا هُوَ أَحْرَمُ»<sup>(٣)</sup>.

**خامساً:** إذا تقرر مما سبق أن الأمر راجع إلى النظر في المصالح والمفاسد والموازنة بينهما، وأن المشارك في مثل هذه الأنظمة كالماشى على شوك يحذر ما يرى، وأنه يعمل بالأحكام الاستثنائية وليس الأصلية، فإنه ينبغي مراعاة الضوابط الشرعية في المشاركة سواء كانت مشاركة من الدعاة أو من غيرهم.

(١) مجموع الفتاوى ٥٦/٢٠.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٨٧/١.

(٣) مجموع الفتاوى ٥٧/٢٠.



فينبغي أن يغلب الظن بنفع متحقق يعلو على تلك المفسد التي ستتحقق بسبب هذه المشاركة، فمتى كانت المفسدة أكبر، أو لم تتحقق المصلحة المرجوة؛ تعين الترك.

ومع ذلك لا بد من التأكيد على أنه لا يجوز أبداً بحال من الأحوال أن يسهم المشارك في تشريع مادة أو قانون يخالف شريعة الله ﷻ، فإن مفسدة هذا لا يوازيها مفسدة، بل هو محادة لله ﷻ ومنازعة له في أمره سبحانه.



## المطلب الثاني

### تنبيهات للدعاة خاصة في المشاركة السياسية<sup>(١)</sup>

#### أولاً؛ وجوب الاعتقاد بفساد الأنظمة الوضعية؛

فينبغي على المشارك في العمل السياسي القائم أن يعلم يقيناً أن النظام غير الإسلامي نظام يمثل قيم المجتمع الغربي، وأنه قائم على النظرة المادية لدى الغربيين، وأن من مبادئه المنفعة الذاتية للأفراد، وأنه نظام متولد عن ثورة على الكنيسة وتحكم الباباوات في أمور السياسية، فهو نظام جذوره الأساسية: فصل الدين وتحييد العقائد عن الدولة؛ ولذا جعل السيادة المطلقة للشعوب، وليس للمعتقدات والشرائع.

فلا يمكن لعاقل أن يتصور أن تطبيق الشريعة وعلو الدين سيتحقق عن طريق مثل هذه الأنظمة أو المشاركة فيها وحدها - إلا أن يشاء ربي شيئاً - بل غاية الأمر أنه سبيل

(١) ينظر: مقال بعنوان: دعاة وساسة، د. عبد الكريم البكار، والتمييز بين الدعوي والسياسي ضرورة أم انحراف د. مصطفى النجار، والتمييز بين السياسي والدعوي.. خطوة نحو التخصص، د. كمال ناجي.



من السبيل التي نقلل بها المفاسد، ونرفع بها الظلم ما أمكن؛ لأن هذا فرض من فروض الكفايات كما سيأتي بيانه في النقطة التالية.

### ﴿ ثانياً: لا بد للعلماء من تخصيص من يقوم بالعمل السياسي: ﴾

من كمال هذا الدين وشموليته أن شرع أبواباً مختلفة من فروض الكفايات، كالدعوة والجهاد وطلب العلم ونصب الولاة... إلخ، فهي بمثابة ثغور للمسلمين، ينبغي على كل طائفة أن تملأ ثغراً من هذه الثغور، وتكفي بقية أخوانهم سد هذا الثغر على الوجه الذي ينبغي، وبهذا يتحقق التكامل والتكاتف ويعلو صرح هذا الدين العظيم، ومن هذه الكفايات: نشر العدل ورفع الظلم بحسب الإمكان.

**قال شيخ الإسلام:** «فنشر العدل بحسب الإمكان ورفع الظلم بحسب الإمكان فرض على الكفاية، يقوم كل إنسان بما يقدر عليه من ذلك؛ إذا لم يقم غيره في ذلك مقامه»<sup>(١)</sup>..

فإن علم هذا فلا ينبغي أن تستنفر جميع الأمة، وجميع علمائها ودعاتها ومصلحيها للمشاركة السياسية في مثل هذه الأنظمة، بل يبقى كل على ثغره، وينفر أقوام منهم لسد هذا الثغر والقيام بكفايته بشرط أن يكونوا أهلاً لذلك.

### ﴿ ثالثاً: وجوب صدع الدعاة بالحق فيما ينبغي في القضايا السياسية: ﴾

ينبغي على الدعاة والعلماء من غير المشاركين في هذه العملية السياسية أن يصدعوا بالحق، ويبينوا مخالفة هذه الأنظمة للشريعة الإسلامية، وما ينبغي أن يكون عليه المسلمون في سياسة بلدانهم، وأن السيادة إنما تكون للشرع، وليس للشعب... إلى غير ذلك من متطلبات البيان؛ وذلك حتى لا يلتبس على عوام المسلمين الحق بالباطل،

(١) مجموع الفتاوى ٣٠/٣٥٧.



ويغتر بعضهم بمشاركة بعض الصالحين أو المصلحين، فإن التقية والمداهنة إذا طالت تسربت إلى الذرية، ونشأ جيل يظن المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فيلتبس عليه الحق بالباطل، ويظن أن هذه الأنظمة الديمقراطية تمثل الشريعة الإسلامية وما ينبغي أن يكون عليه المسلمون، فيصعب الإصلاح على المصلحين، وتتعقد الأمور، ويثقل التغيير على عوام المسلمين.

### رابعاً: موقف العاملين للإسلام من بعضهم في العمل السياسي:

من الخطأ أن ينشغل الدعوة بالكلية بالعمل السياسي دون غيره، بل إن ذلك من علامات الفشل والانكسار، ومن يتابع مسرح العمل الدعوي في البلاد التي انشغل فيها الدعوة والمصلحون بالعمل السياسي يشهد تراجعاً حاداً في المجالات الدعوية الأخرى مما أثر سلباً على الإرث التاريخي للعمل الدعوي في هذه البلدان، والأدهى من ذلك أن يحدث التراشق والتناوب بين فصائل العمل الدعوي بعضهم بعضاً، بحيث يسفه بعضهم بعضاً وينعى بعضهم على بعض.

لهذا كان لا بد من التأكيد على أن التعدد القائم في ساحة العمل الإسلامي ينبغي أن يكون تعدد تنوع وتخصص، وأن عمل فصيل منه في مجال من المجالات لا يلغي عمل الفصائل الأخرى في باقي المجالات، ولا بد أن يعمل الجميع في تكامل وتعاضد وتناصر، وأن تتبادل التسديد والتناصح.

ومن ثم نحذر في هذا المقام من مزلق خطير يقع فيه عادة المشتغلين بالعمل السياسي، وهو إدانة بقية الفصائل العاملة بالعمل الدعوي، خاصة وأن أصل فكرة اشتغال الإسلاميين بالعمل السياسي موضع خلاف مازال قائماً بين الفصائل الدعوية، والعديد منهم ما زال يرى حرمة الاشتغال بالعمل السياسي مادامت العلمانية هي



الحاكمة والمنظمة للمؤسسات السياسية في معظم البلاد، وكما قلنا من قبل خصوم الدعوة يبحثون دائماً على سبل اختراق العمل الدعوي وبث الفرقة بين العاملين لله ﷻ، وتقسيمه لفصيل متشدد وآخر متطرف وثالث رجعي متخلف ورابع إرهابي وهكذا حتى ينفروا الناس من المشروع الإسلامي برمته.

### ﴿ خامساً : وجوب التخطيط الجيد للإصلاح السياسي وترتيب أولوياته :

ينبغي على أهل فروض الكفايات جميعاً من أهل العلم والدعوة والسياسة الشرعية، ومن يعرفون سبل مكر الأعداء، وأهل علوم النفس والاجتماع وغير ذلك من فروض الكفايات، ينبغي عليهم أن يجتمعوا جميعاً لإعداد صورة لما ينبغي أن تكون عليه الدول الإسلامية من هيكل وآليات للحكم والإدارة بما يوافق شريعة الله ﷻ ويتناسب مع الواقع والمستجدات المعاصرة. فإن ذلك من أعظم الأعمال في هذا الوقت، بل هو من باب الإعداد لتمكين الدين وتحكيم الشرع واستبدال هذه الأنظمة المخالفة لشريعة الله ﷻ، ومتى سمحت لهم الفرصة وتمكنوا من تطبيق ذلك كانوا على أتم الاستعداد وأكملته.

فالأعمال المطلوب تحقيقها من المشتغلين بالعمل السياسي كثيرة ومتعددة، وعليهم تنعقد آمال كثير من الجماهير، ومن هذه الأعمال جعل قضية تطبيق الشريعة مطلباً عاماً لسائر المشتغلين بالسياسية، ومنها تقنين القوانين والتشريعات المخالفة للشريعة بحيث تصبح موافقة لها، ومنها القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها مواجهة التحديات والأخطار التي تحيط بالأمة من كل مكان، خاصة كشف الفساد والمفسدين، إلا آخر هذه الأعمال، ولاشك أن ترتيب هذه الأعمال على سلم الأولويات يعد من موارد الاجتهاد ومسائل السياسة الشرعية، مع مراعاة أن





الخلل في التوقيت تقديماً وتأخيراً قد يؤدي لمفاسد كثيرة، لذلك كان لابد من ضبط هذه الاجتهادات كلها.



### المطلب الثالث

#### كفاية من يشارك في العمل السياسي

متى جازت المشاركة فلا يدخل إلا من كان مأموناً عارفاً ثقة في دينه، شجاعاً قادراً على قول الحق ودحر الباطل وإنكار المنكر، أما أن يُفتح الباب على مصراعيه فيدخل فيه كل أحد مستغلاً الفتوى بالجواز؛ فهذه فوضى لا تحقق الهدف من الدخول، بل تعوقه.

ينبغي على المشارك أن يصحح نيته ويتعاهدها، ويكون على صلة دائمة بالعلماء وأهل الصلاح والخير ولو سراً إن كان يضره فعل ذلك جهراً، فإن كثيراً ممن يشارك في مثل هذه الولايات إما أن تكون نيته في البداية غير سليمة أو يطرأ عليها الفساد.

**قال شيخ الإسلام:** «وإنما الغالب في هذه الأشياء فساد النية والعمل، أما النية فبقصده السلطان والمال، وأما العمل فبفعل المحرمات وبترك الواجبات، لا لأجل التعارض، ولا لقصد الأنفع والأصلح»<sup>(١)</sup>.

وينبغي على المشارك أن يكون على درجة من الفطنة، وسرعة البديهة، وأن يكون حسن التصرف، وعالماً بالخير والشر وسبيل كل منهما، حتى لا يخدعه خصومه وأعداؤه، ويلعبون به فيتنازل عن دينه وثوابته شيئاً فشيئاً، فيضيع المقصود ولا يتحقق المراد من المشاركة.

(١) مجموع الفتاوى ٥٦/٢٠.



ومعرفة سبل الشر وأهله، وطرق مكرهم بدين الله وشرعه من فروض الكفايات التي ينبغي على طائفة من المسلمين أن تعرفها، وتكفي فيها المسلمين عامة والمشاركين خاصة في مثل هذه الأنظمة، فإذا تم ذلك للمشارك كان تحقيقه لمصلحة المشاركة أرجى.

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم أكثر توفيقاً ممن جاء بعدهم في حفظ الدين والتمكين لشريعة رب العالمين؛ وذلك لكمال معرفتهم بالخير والشر بعد كمال إيمانهم بالله عز وجل وحسن توكلهم عليه.

**فعن حذيفة رضي الله عنه قال:** كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني <sup>(١)</sup>.

**وقال شيخ الإسلام:** «إن كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتماثل ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم؛ ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه - إذا كان حسن القصد - عنده من الاحتراس عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره. ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر» <sup>(٢)</sup>.

نعم ينبغي للمؤمن أن يكون هيناً ليناً كريماً سمحاً، لكن لا ينبغي أن يكون ساذجاً مغفلاً، يلعب به أعداء الدين وخصومه، فليس هو باللئيم، ولا يخدعه اللئيم.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠١/١٠.



ومما يعين المشارك أيضاً على تحقيق مقصوده: أن يعرف مداخل ومخارج هذه الأنظمة، ومواطن الخلل والتناقض فيها حتى يتمكن من استغلالها، وتقليل الشر وتكثير الخير متى وجد إلى ذلك سبيلاً.



## المطلب الرابع

### ضرورة التمييز بين العمل الدعوي والسياسي

كثر من يطرح أنه لا بد من التمييز بين العمل الدعوي والعمل السياسي، وهذا الأمر لا بد وأن يتم فهمه ضمن النقاط التالية<sup>(١)</sup>:

#### ☑ أولاً: لا يعني التمييز بين الدعوة والسياسة فصل الدين عن الدولة:

من الأمور الأولية والبديهية أن الإسلام دين شامل والإسلام نظام حياة شامل لكل مناحي الحياة أفراداً وجماعات ولم يترك جانباً من جوانب اهتمامات الجنس البشري إلا اهتم به ووضع له أحكاماً مفصلة أو توجيهات أو آداباً، وفي إطار هذه الرؤية المسلم بها عند كل العلماء وفي كل العصور يأتي الحكم والسياسة والقضاء والإمارة كل هذه الأمور وكل تلك المفردات موجودة في القرآن الكريم وموجودة في الأحاديث النبوية، موجودة في التطبيق النبوي العملي، موجودة في عمل الخلفاء الراشدين، فالأصل في الدين أنه شامل وجامع.

(١) هذا مطلب تم تلخيصه من بحث قيم بعنوان: التمييز بين الدعوي والسياسي قراءة في المفهوم أ. أحمد عمرو منشور على موقع المركز العربي للدراسات والأبحاث، وينظر: مقال بعنوان: دعاة وساسة، د. عبد الكريم البكار، منشور على موقع الإسلام اليوم، التمييز بين الدعوي والسياسي.. ضرورة أم انحراف؟ د. مصطفى النجار، والتمييز بين السياسي والدعوي.. خطوة نحو التخصص. كمال ناجي.



لكن مع مرور الوقت ظهرت التخصصات ليس فقط الآن ولا مع سقوط الخلافة، بل قبل ذلك بكثير فتخصص بعض العلماء أو الدعاة في هذا المجال أو ذاك صحيح أنه لم يظهر أمر التمييز بين الدعوي والسياسي بهذا الوضوح وهذه الحدية كما هو الحال في الفترة الحالية، لكن من قديم تخصص العلماء في الفقه والأصول وفي الحديث، فظهور التخصصات كان قديماً.

فشمولية الإسلام تنعكس على شمولية الأهداف وشمولية الأهداف تنعكس على شمولية وتعدد مجالات العمل التي ينبغي للحركة الإسلامية أن تعمل بها كالعمل السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الفكري... إلخ.

فلا يعني التمييز الفصل لأن هناك توحيد والتقاء في المرجعية الإسلامية الأساسية وفي المنطلق الأساسي وهو شمولية الإسلام. والفرق بين التمييز والفصل كبير جداً. فالفصل معناه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين بالمنطق العلماني البحت.

☑ **ثانياً: نعي بالتمييز بين الدعوي والسياسي التمييز العملي التنظيمي**

### **التخصصي:**

من المعلوم أن العمل السياسي يتجه بالأساس إلى فروض الكفاية والعمل الدعوي يركز على فرض العين وفرض العين يلزم الجميع، لكن الداعية يشرحها ويركز عليها ويربي الناس عليها، والسياسي يضع الحلول لإقامة فروض الكفايات لكن في النهاية لا بد للجميع من مرجعية واحدة هي مرجعية الإسلام.

حيث إنه من الأنجح والأصح للأفراد والجماعات أن يعملوا، وينشطوا في مجالات محددة يملكون فيها ما يكفي من المعرفة والخبرة، وإذا رغبت جماعة إسلامية ما في



الانخراط في العمل السياسي، فإن المصلحة تقتضي أن تحفز بعض أبنائها على دراسة العلوم السياسية، لكن لا ينبغي للسياسي الانغماس في النشاط الدعوي، كما لا ينبغي للداعية الانغماس في النشاط السياسي.

ويتفرغ الدعاة والدعوة للعمل الدعوي والفكري والتربوي، وتبقى في خلفية المجتمع تشكل وعيه وتحافظ على هوية الأمة، وتنطلق بها نحو نهضة جديدة تعيد لها سابق عهدها.

وتظل الدعوة في علاقة دائمة مع العمل السياسي المنضبط بالشرع بإمداده بالكوادر ودعمه شعبياً وجماهيرياً.

مع التنبيه إلى أن الداعية والعالم الشرعي لا يحجر عليهما الخوض في الشأن السياسي أو إبداء رأيهما، لأن هذا هو واجب عليه شرعاً، لكن قبل ذلك ينبغي العمل على ترسيخ الفصل بين الرموز الدعوية والرموز الحزبية فيقع موقع الداعية موقع الدعوة والدين بعيداً عن الشأن الحزبي أو التبني السياسي.



## المطلب الخامس

### مبررات التمييز بين العمل الدعوي والعمل السياسي<sup>(١)</sup>

**ضرورة التمييز بين العمل الدعوي والسياسي لها عدة مبررات، أهمها:**

١- **تنوع قابليات البشر:** وأن القادرين على الجمع بين الفريضتين باقتدار وتمكّن قليل في البشر، وقد أدرك النبي ﷺ التفاوت النسبي بين الصحابة فوجههم للتخصص

(١) هذه الفقرة تم تلخيصها من مقال بعنوان: التمييز بين السياسي والدعوي خطوة نحو التخصص، كمال ناجي.



مع احتفاظ بمسحة شمولية تحافظ على الحد الأدنى من الواجبات الجماعية، فأبو هريرة تميّز في الحفظ ونقل السنة، وفي نفس الوقت كانت له مشاركاته الجهادية إلا أنها لم تكن بمستوى خالد بن الوليد الذي سجل رقماً قياسياً في القيادة العسكرية، إلا أنه في نفس الوقت كان يحفظ القليل من القرآن ويقول لهم: شغلني الجهاد عن تعلم القرآن. وقد لاحظ د. عبد الكريم بكار أن الخلط يؤثر على جودة الأداء فقال: «الخلط بين الممارستين يجعل كلاً منهما عبثاً على الأخرى، ومن النادر أن يكون للشخص الواحد فتوحات روحية وسياسية في آن واحد».

**٢- إن طبيعة الخطاب الدعوي قائم على غرس القيم والمثاليات:** بينما يركز الخطاب السياسي على الهموم اليومية، والمطالب الفئوية، فالخطاب الدعوي قائم على الكسب، بينما السياسي يقوم على الكسر والغلبة كما عبر عنه د. محمد الشنقيطي.

**٣- إن جوعه التدين لدى الناس لا تعني قبولهم بمشروعك السياسي،** فقد يقبلون بك واعظاً ومريباً لأبنائهم، أما أن تزاحمهم على مصالحهم السياسية فهذا ما ينفرون منه.

**٤- معالجة التضخم السياسي،** فقد لاحظ المفكر المغربي الراحل فريد الأنصاري حالة من التضخم السياسي في صفوف الدعوة، فردها لانشغال الدعاة بمتابعة المجريات السياسية فطفق يدبج الكتب محذراً من هذه الحالة، فألف كتابه «البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي» ومن قبله حذر البشير الإبراهيمي من هذه الظاهرة فقال: «شغلوهم بالسفاسف الحزبية حتى أصبح المقهى أحب إليهم من الجامع، والجريدة أحب إليهم من الكتاب، والمناقشات الحزبية أشهى إليهم من المذاكرات العلمية».



إن سياسة التمييز بين الدعوي والسياسي ستدفع بالطاقات الإسلامية والدعوية إلى خطوط الإنتاج الخلفية، التي تبني المجتمع على أسس الأخلاق وقيم الدين، ومعاني الإيمان، وحينها نكون قد أنجزنا الجزء الأكبر من المهمة الإصلاحية، ويأتي دور السياسي الموهوب المتفرغ، المليء بالقيم، الراسخ في الوعي ليناوش المشاريع الأخرى مستنداً إلى أرضية صالحة وشعب يغلب الموازين الوطنية، والمصالح الحقيقية على موازين المصلحة الآنية الضيقة.

**٥- التمييز يجنب الدعوي كمائن العمل السياسي:** فالتمييز يعزل العمل الدعوي عن المواجهة مع الأنظمة، التي ما فتئت تجرف المشروع الإسلامي برمته كونه يشكل قلقاً وجودياً لها، فإذا ما عزل الدعوي عن السياسي فلعله يجنبه الملاحقات والتضييق.

#### **٦- «وجود محاذير تمنع من مشاركة الدعوة في العمل السياسي:**

**من أبرز هذه المحاذير:** الصلة المباشرة واليومية التي تجمع القائمين على هذا العمل مع غلاة العلمانيين والاشتراكيين والشيوعيين والليبراليين ممن يرفضون بل يعادون الفكرة الإسلامية، وأيضاً اللقاء مع الطغاة وما يصاحب ذلك من ضغوط قد تؤدي إلى سلسلة من التنازلات قد تصل أحياناً إلى تنازلات حاسمة تقوض الفكرة الإسلامية من أساسها.

**ومن المحاذير أيضاً** أن الحضور الرسمي للاتجاه الإسلامي في هذا العمل يعتبر واجهة للتيار الإسلامي كله بشتى تياراته وفصائله، بل واجهة للإسلام نفسه، وبالتالي فأى تقصير يقع عند التطبيق والممارسة فسوف ينسب للتيار الإسلامي كله، وعادة ما يصبوب العلمانيون سهامهم للإسلام نفسه عند أدنى تقصير أو خلل في أداء التيار الإسلامي المشتغل بالسياسة.



**ومن المحاذير** أيضا تأسيس العمل السياسي المعاصر على أسس وأفكار ومبادئ علمانية صرفة لا تعترف بالأخلاق والقيم، وبها كثير من الخداع والمكر وتعتمد على المكائد والمؤامرات وصفقات الغرف المغلقة، فوجب على الدعاة الاحتراز والتنزه عن المشاركة حتى لا يلبسوا على الناس دينهم خصوصاً وأن التيار العلماني ما زال الأقوى داخل المؤسسات السياسية في البلاد الإسلامية، ويمتلك من أدوات التأثير والتشويش على ممثلي التيار الإسلامي داخل العمل السياسي ما يفقده القدرة على التركيز والانجاز<sup>(١)</sup>.



---

(١) هذه النقطة من مقال: الدعاة والعمل السياسي أ. شريف عبدالعزيز منشور على موقع ملتقى الخطباء.



# المبحث السابع:

## فقه التعامل مع الشبهات

ويتضمن ستة مطالب:

**المطلب الأول:** مقدمات حول فقه التعامل مع الشبهات.

**المطلب الثاني:** خطر الشبهات.

**المطلب الثالث:** قواعد للداعية في التعامل مع الشبهات

وقاية وعلاج.

**المطلب الرابع:** أخلاق الداعية الرَّادِّ على الشبهات.

**المطلب الخامس:** قواعد منهجية في الرد على الشبهات.

**المطلب السادس:** حسن الأسلوب في الرد على الشبهات.





## المبحث السابع فقه التعامل مع الشبهات

إن قضية فقه التعامل مع الشبهات من القضايا المهمة والضرورية للداعي، فهو عندما يبدأ بمهمته الدعوية لإبلاغ رسالة الإسلام - خصوصاً في هذا الزمن - تواجهه شبهات مختلفة الأنواع، موجهة إليه وإلى ما يدعو إليه، تثير الشك والارتياب حول صدقه وصدق ما يدعو إليه لمنع المدعويين من الاستجابة له فيما يدعو إليه.

وإثارة الشبهات سلاح ذو تأثير قوي يستخدمه خصوم الدعوة الإسلامية وأعداؤها من قديم الزمان، وتاريخ دعوات الأنبياء وسير الدعاة خير شاهد على ذلك، فلا بد وأن يستعد الداعي لمواجهةها بالدليل والبرهان وبقاية لنفسه، ولإزالتها عن نفوس المدعويين وإفحام المخالفين المعاندين.

ويمكن إبراز هذا الموضوع من خلال ستة مطالب<sup>(١)</sup>:

(١) مادة هذا المبحث تم تلخيصها وجمعها من: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات، رسالة دكتورة، د. شميم بن أحمد عبدالكريم، في جامعة الإمام محمد بن سعود، بكلية أصول الدين، وقواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، وموسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات لنخبة من كبار العلماء، وخلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات، د. محمد عطا سعيد رمضان، وأصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، فقد خصص مبحثاً للحديث عن أسلوب إزالة الشبهات، ومنهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها، مقال منشور على موقع منتدى التوحيد، في قفص الاتهام منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها د. علي الحمادي، ومنهج القرآن في التعامل مع الشبهات، د. سعيد عمر دحجاج، وقواعد عامة في الرد على شبهات النصارى، د. رفاعي سرور، مقال منشور على موقع طريق الإسلام، ومدافعة الشبهات د. عبدالعزيز آل عبداللطيف، مقال منشور على موقع إسلام ويب، ومنهج السلف في التعامل مع الشبهات، محاضرة مفرغة للشيخ عبدالكريم الخضير منشورة على موقعه.



## المطلب الأول

### مقدمات حول فقه التعامل مع الشبهات

#### أولاً: معنى الشبهة:

**وجمعُ الشُّبهة:** شُبُهَةٌ وهو اسم من الأشتباهِ، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبتت لإشباه بعضها بعضاً، ومن علوم القرآن المحكم والمتشابه، وشبه عليه الأمر: لبس عليه، وإيالك والمشتبهات: الأمور المشكلات<sup>(١)</sup>.

**قال الجرجاني:** «والشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبهة فيه كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه.

ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فسادة فإذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحجة على صحة ما أدى من الحكم قيل هذا ظاهر كالشمس أي ليس ههنا مانع عن العلم به ولا للتوقف»<sup>(٢)</sup>.

**ويقول ابن القيم:** «وإنما سميت الشبهة شبهة، لأنها تشبه الحق والباطل، ليست بحق واضح، ولا باطل لا شك فيه. هي بين ذلك.. فالشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له»<sup>(٣)</sup>.

«الشبهة الظن المشتبه بالعلم ذكره أبو البقاء، وقال بعضهم الشبهة: مشابهة الحق

(١) ينظر: لسان العرب ٥/ ٥٠٥، أساس البلاغة ١/ ٤٩٣، والقاموس المحيط ص ١٢٤٧، وتاج العروس ٤١١/٣٦.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان ص ٧١.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١٤٠.



للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب»<sup>(١)</sup>.

**فالشبهة هي:** محاولة إحداث خلل في فهم وتناول النصوص، من خلال التأثير على النص الأصلي لاختلاق تناقض في المعنى بأساليب متعددة<sup>(٢)</sup>.

### ◀ ثانياً: أقسام الشبهات:

تنقسم الشبه إلى قسمين:

**الأول:** ينشأ بسبب لبس أو خطأ أو عدم فهم أو فهم غير سليم، ويهدف لإزالة الشبهة فإذا وقف على الجواب زال ما به وانكشفت عنه الظلمة.

**الثاني:** يورده المخالفون من الزنادقة والملاحدة والنصارى واليهود، وأعدائهم من أعداء الله تعالى، وهو في الأصل كذب مختلق يصحح أن يطلق عليه فرية أو تخرساً أو إفكاً.

### ◀ ثالثاً: أساليب ووسائل صناعة الشبهة:

- انتزاع النص وبتره من سياقه الأصلي.
- الزيادة أو النقصان من ألفاظ النص.
- إفقاد النص مقوماته الأساسية وتحويره واستباقه بمقدمات مصطنعة لدفع الفهم باتجاه مُعيّن.
- تحريف معنى النص وإخراجه من إطار الأحكام المنهجي الإسلامي.
- حشد وتجميع النصوص المدسوسة وتقديمها على أنها نصوص قطعية.
- إلزام النص بما ليس من لوازمه..

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٠١.

(٢) قواعد عامة في الرد على شبهات النصارى، د. رفاعي سرور، مقال: منشور على موقع طريق الإسلام.



### ﴿ رابعاً: أسباب ظهور الشبهات: ﴾

١- قلة العلم، وغلبة الجهل.

٢- شيوع الفواحش والكبائر.

وأعداؤنا بما يوحي الشيطان إليهم يعلمون ذلك فلم يحدثوا موجة الشبهات إلا بعد أن أحدثوا موجة الشهوات في جو يسوده الجهل بدين الله تعالى.

### ﴿ خامساً: وجوب الرد على الشبهات: ﴾

إن أعداء الدين لا يدخرون جهداً في إثارة الافتراءات والشبهات حول الإسلام، وهم يعملون عملاً منظماً من خلال دراساتٍ وخططٍ وتجاربٍ وبحوثٍ، حتى صار للافتراء على الإسلام مراكز أبحاث، وعلمٌ يُدرّس في كليات اللاهوت ومراكز التنصير، ويحظى المنصّرون بتدريب مدروس في كيفية طرح الافتراء وإثارة الشبهات.

لذلك فمن الواجب أن يكون الردُّ على افتراءات أولئك المرجفينِ علماً يدرّسه المختصون وطلاب العلم والدعاة؛ لا سيما المهتمون منهم بمقارنة الأديان والفرق، بحيث تخرج الردود على قدر كبير من الإجادة والإتقان، وتحقق المقصود منها؛ وهو إجهاض الفرية والقضاء على كل أثر لها.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. قال

الإمام أحمد: «لو تدبّر إنسان القرآن كان فيه ما يردُّ على كل مبتدع وبدعته»<sup>(١)</sup>.

كما أن أهل السنّة يجزمون أن أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية أو عقلية إلا وهي عند التأمل حجة عليهم<sup>(٢)</sup>.

(١) السنة للخلال ١/ ٥٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٥٤.



**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:** «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصَّل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»<sup>(١)</sup>.  
ومن هنا يدخل في واجب محاربة الشبهات فلا بد من طرح الردود على الشبهات بكثافة إعلامية عالية بحيث تزاخم الإثارة الإعلامية التي تحدثها الشبهات، وتتغلب عليها فتشاع الردود بين المسلمين لتحميمهم من الشبهات ويجب التفريق بين البحث الفكري والمواجهة وبذل أكبر قدر من الإثارة العاطفية عند المسلمين ناحية إسلامهم باعتبار أن هذه العاطفة هي التي تقاوم الإغراء والمال والشهوات والربط بين الشبهات واطهار الإسلام حتى لا تؤثر دراسة الشبهات على القلوب.

#### ◀ **سادساً: تنبيهات أساسية في التعامل مع الشبهات:**

- ١- الحذر من سماع الشبهات، والبحث عنها والقراءة فيها عموماً حتى لا يتأثر الداعية، خصوصاً من زاده في العلم والإيمان قليل.
- ٢- عدم الدخول في معترك الشبهات والردود عليها إلا بعد تقوى الله ومعرفة أحكام الإسلام وشرائعه، واليقين بها، وليس هذا من باب الاستحباب بل هو الواجب في حق كل من يدخل في معترك الشبهات والردود على أهل البدع والضلال والأديان المحرّفة.
- ٣- دراسة الشبهات الواردة في مجتمعه، وزمانه.
- ٤- عدم عرض الشبهات التي كانت موجودة في حقبة تاريخية أو في مكان ما وانقرضت ولا حاجة لعرضها، فالشبهات المغمورة، والاعتراضات المطمورة لا يُلتفت إليها بدعوى الرد والمناقشة؛ إذ في ردّها إظهارٌ لها بعد اندراسها، وإحياءٌ

(١) درء تعارض العقل والنقل / ١ / ٣٧٥.



لريمها، ولكن الشبهات التي استفحلت وأوقعت حيرة ولبساً عند فتام من المسلمين، فالمتعین مدافعاتها ومناظرة أربابها ومجادلتهم.

٥- اليقظة للشبهات التي تثار بين الحين والآخر في هذا الزمان، وأن يكون على وعي متجدد للشبهات الحديثة وطرق الرد عليها.

٦- يقع بعض الأحيان انغلاق باب الفهم وعجز عن معرفة كيفية البداية فضلاً عن معرفة الختم ففي هذه الحالة يجب التروي والبحث وسؤال أهل العلم والتخصص. أو يمكن البحث عن منفذ آخر للموضوع أو طريقة تيسر أمر البدء في تفنيده.

٧- الانتباه لتداخل الشبه وكثرتها بحيث إن طارح الموضوع من النصارى مثلاً يكتب موضوعاً أو ردّاً فيحشر فيه العشرات من الشبه والافتراءات، فعلى الداعية أن يكون لديه من الإمكانيات المهارية والعلمية ما ينقذ به الموقف.

٨- التوسط مع الشبهات أثناء سماعها من الآخرين، أو ورودها من المخاطبين: فلا يزر كل سائل تعرض له شبهة، ولا يُهمَل كل من وقع في حيرة أو اشتباه؛ فهذا الإعراض والإهمال قد أفضى ببعضهم إلى زندقة، وخروج عن الإسلام والسنة.

٩- الحذر من تقصُّد الشبهات، أو دعوة الناشئة إلى إثارة أي شبهة أو إشكال، فإن تتبَّع الشبهات وحصرها ليس مقدوراً ولا مشروعاً؛ فالشبهات لا تنقضي، ويستحيل حصرها. ولا يكلف الله نفساً إلا وُسْعها؛ «فالمعارضات الفاسدة التي يمكن أن يوردها بعض الناس على الأدلة لا نهاية لها؛ فإن هذا من باب الخواطر الفاسدة، ولا يحصيه أحد إلا الله... فالخواطر الفاسدة التي تقدح في المعلومات لا نهاية لها، ولا يمكن استقصاء ما يرد على النفوس من وساوس الشيطان»<sup>(١)</sup>، «والقرآن لا يُذكر فيه مخاطبة

(١) درء التعارض بين العقل والنقل ٣/ ١٦٢، ٢٦٢.





كل مبطل بكل طريق، ولا ذَكَرَ كُلَّ ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها؛ فإن هذا لا نهاية له ولا ينضب»<sup>(١)</sup>.

١٠- كما لا تُذكر الشبهة ابتداءً واستقلالاً، بل يقرر الحق، ويبيّن الهدى بأدلته وبراهينه النقلية والعقلية، ثم يجيء بالجواب عن الشبهات الواردة عَقِبَ هذا التقرير والتأصيل.

### سابعاً: فوائد الرد على الشبهات:

من فوائد الرد على الشبهات:

١- تحقيق اليقين، وترسيخ الإيمان؛ فإذا انشرح القلب بالإيمان وخالط بشاشة القلوب؛ فلا يقع انتكاس أو ارتداد. قال ابن القيم: «ومتى وصل اليقين إلى القلب، امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهمّ وغمّ، فامتلاً محبة لله، وخوفاً منه، ورضاً به»<sup>(٢)</sup>.

٢- إغاظة أعداء الدين ونسبتهم إلى العجز والتقصير لأن الرد عليهم هو محق لشبههم ودحضها وهو بذلك هزيمة نكراء ينزلها المسلمون بهم.

٣- زيادة إيمان المسلم لأنه يرى أن دين الإسلام منزّه عن كل نقص وعيب.

٤- تطهير التاريخ من نتن وعفن الافتراء على الله ورسوله ثم على الرسل والأنبياء والصحابة والأخيار.

٥- الرد على الشبهات نوع من أنواع الجهاد، والجهاد جزاؤه عند الله عظيم، فهو دفاع عن رسول الله ﷺ، ودفاع عن عقيدة المسلمين وشريعتهم، ورد لمكر أعداء الدين ومحاولتهم للقضاء عليه.

(١) درء التعارض بين العقل والنقل ٨/ ٨٨.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٩٨.



- ٦- صيانة الدين من الدخيل الذي يراد إلصاقه بالدين زوراً وظلماً.
- ٧- الحفاظ على دين الله وشريعته من المتحمسين الذين ليس عندهم زاد علمي، ممن يقومون بالرد على الشبه بطريقة تقوي الباطل وتضعف الحق.
- ٨- الحفاظ على المسلمين من الانجراف وراء الشبهة وأهلها.
- ٩- تربية الأمة على الاستعلاء بالإيمان، والاعتزاز بالإسلام ولزوم السنة، ليُحقق مَنعة وسلامة من الشبهات؛ فالشبهات تعلق بالقلوب الضعيفة والنفوس المنهزمة؛ فهي محل قابل لتلك الشبهات، وكم جرّت الهزيمة النفسية من ضعف وخور، وانسياق مع الشبهات، وانصياح للاعتراضات!



## المطلب الثاني

### خطر الشبهات

**قال ابن القيم:** «قال لي شيخ الاسلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا تجعل قلبك للايرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فاذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات - أو كما-، قال: فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك وأنا سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما البسته من اللباس فيعتقد صحتها وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل



يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فيكشف له حقيقتها»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

**يقول الإمام ابن القيم:** «وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره.. ولهذا يفسر المرض الذي يعرض له تارة بالشك والريب، كما قال مجاهد وقتادة في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] أي: شك، وتارة بشهوة الزنا، كما فسر به قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فالأول مرض الشبهة، والثاني مرض الشهوة».

**ومرض القلب نوعان: الأول:** نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، **والنوع الثاني:** مرض مؤلم له في الحال.. كالهَم والغم والغيظ.

وكما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن - فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقى ما يشقى به، وكذلك الشاكُّ في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين<sup>(٢)</sup>.

**ونقل الإمام الذهبي عن سفيان الثوري قوله:** «من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم» فعَلَّقَ عليه بقوله قلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يروْنَ أن القلوب ضعيفة، والشَّبَهُ خطَافَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٤٠.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٧-١٩ باختصار.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.



### ويمكن إجمال خطر الشبهات في النقاط التالية :

- ١- تنفير الناس عامة والمسلمين خاصة من الإسلام.
- ٢- إلحاق العيب والنقص بدين الله.
- ٣- تهوين الدين في النفوس واستخفاف الناس به إذ القدسية من عظمة الدين عقيدة وشريعة والشبهات تضرب العقيدة في مقتل وتؤدي إلى ازدراء الناس وما خاب وخسر النصارى وابتعدوا عن الدين إلا لما وقفوا عليه من الفضائح في كتابهم الذي يقدسون فهان ذلك الكتاب في أعينهم وسقطت هيئته وقدسيته في قلوبهم.
- ٤- الأعداء يعززون أنفسهم ويحاولون مساواة عقائدهم المهترئة الوثنية بدين الإسلام.
- ٥- الهيمنة على الناس والتأثير عليهم، فترك الرد معناه غزو واستكانة وذل ومهانة ولاشك. أما الرد فيقطع دابر الكافرين.
- ٦- الشبهات حرب فكرية ومن أشد الحروب فتكاً ما تعلق بحروب الأفكار وهزيمة الأفكار والعقول فالردود القاطعة تحصن الفكر والعقل من الهزيمة والذل وتجعل المسلم فخوراً بدينه.
- ٧- الشبهات افتراء على الله ورسوله ثم على التاريخ لما فيها من تشويه الحقائق، إنها نفايات سامة يجب تخلص العالم منها.
- ٨- إن الشبهة تؤدي إلى الشك والشك يؤثر في درجة إيمان العبد، ولذلك علم الأعداء خطورة الشبهات والافتراءات فجددوا جنود الظلام لا هم لهم سوى تتبع النصوص والتنقير عما عساه يكون زلزلة شديدة للمسلمين وهذا نوع آخر من إعلان الحرب على المسلمين والأنواع لا حصر لها منها مثلاً تلك الحملة الشعواء من حملات الدس والوضع في الحديث.



٩- إن الشبهات مُضِرَّةٌ، لأنها تجعل صورة الدين باهتة في القلوب، ويتضعع إيمان المسلم ويضطرب ويخجل من أمورٍ في دينه قد صورها له أولئك الكفرة تصويراً شنيعاً.



### المطلب الثالث

#### قواعد للداعية في التعامل مع الشبهات للوقاية والعلاج<sup>(١)</sup>

##### أولاً: قواعد وقائية للدعاة من الشبهات:

ما سُمِّيَ القلبُ قلباً إلا لكثرة القلب، فكيف به هذا القلب في غمار الحرب دونما درعٍ أو سيف، تُعرض عليه الشبهات، تحوم حوله الفتن، يموج ملتجئاً إلى حصنه فيجده متهاوياً! فما لنا سوى إقامة بنیان هذا القلب، وتعزيزه بمصادر اليقين، ودلالات وبراهين صحة مسلكه وعقيدته في قلوب الدعاة إلى الله تعالى وذلك من خلال النقاط التالية:

##### ١- تعزيز اليقين بأصول الإسلام:

ولما كان منشأ الفتن ضعفُ الإيمان؛ لا بد أن يولي الدعاة جهدهم صوب قلوبهم، يربط القلب بالقرآن وتدبر آياته ودلالاته، وترميم جدرانه بعبادات القلوب وأعمالها، وتعليق النفس بخالقها، والقراءة في كتب بيان دلائل صحة أصول الإسلام، ومطالعة قصص المسلمين الجدد وما تحوي من رقائق وكأنهم يتحدثون عن دين غير الدين الذي قُتِلَتْ رُوْحُهُ في قلوبنا بإحالتة إلى عادات وطقوس.

(١) مبنی مادة هذا المطلب من كتاب سابغات د. أحمد السيد، ص ٥٥-٨٨.



## ٢- تكوين العقل الناقد:

لا بد للدعاة لهذا الدين من تفحص الحجج والبراهين والدلالات بعقل ناقد تُورَدُ عليه الشبهات فيُفكِّكها ويردّها إلى مصدرها، لا تمر عليهم المغالطات مرور الكرام، ومما يساعد في تكوين هذا العقل أن يكون على دراية بطرق البحث العلمي وامتلاك مهاراته وأدواته، والقراءة في كتب آداب البحث والمناظرة وعلم الجدل؛ فيميز المقبول من المردود، والسمين من الغث.

## ٣- التأصيل الشرعي:

لا يستقيم بيان معرفي دونما قاعدة معرفية بأصول الفنون الشرعية من عقيدة وفقه ومصطلح وعلوم لغة وقرآن. فهذا هو مرد الأمر كله، لا حراك بدونه ولا محاكمة لشبهة إلا وإليه المآل.

## ٤- تحديد مصادر التلقي والمعرفة والموقف من كل مصدر:

بين العقل والنقل اصطنعوا لنا المصادمات؛ فحارت عقولنا أيهما يقدم أو يُؤخَّر، وكيف السبيل وأين المورد! فكيف تكون هذه الحيرة ومصادرنا غاية في الإحكام والاتزان، إذ لا تعارض بين قَطْعِي عقل ونقل، فخالق العقل هو مُسْرِعُ النقل، وإجماع العلماء حُجَّة، وأخبار الآحاد يُنظَرُ فيها ولا تُسَفَّه، منظومة معرفية متكاملة، إحكام معرفتها من أوجب وسائل الوقاية المحتاج إليها في هذا الوقت.

## ٥- عدم التعرض لخطاب الشبهات من غير المتخصص:

الشُّبُهَةُ خَطَافَةٌ والقلوب ضعيفة؛ فلا يكون لغير المختص أن يحوم حول كتابات المشكِّكين بُغْيَةَ الثقافة العامة، ومعرفة ما عند الآخر.



### ٦- القراءة الوقائية في كتب الردود على الشبهات:

ومما يعزز اليقين ويثبت الفؤاد أن يجد من الأدلة العقلية والنقلية ما يدحض قول المعاند مثير الشبهة، ويرد عليه قوله، وهنا يجب اختيار الكتب بعناية، إذ أن كتب الوقاية من الشبهات يجب أن تكون مما يُجْمَلُ في عرض الشبهة ويُفصّل في الرد عليها، وأن تكون قوية الحجّة والبرهان.

### ٧- الدعاء والابتهاال:

وأخوف ما نخاف عليه هو إيماننا، فليس أوجب من أن نسأل الله الثبات، ونستعيذه من أن يصرف قلوبنا عن دينه، ونسأله ما سأله إياه رسولنا ﷺ: **(يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)**<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، «فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها»<sup>(٢)</sup>.

فما لم يكن بالله لا يكون، وكما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «لكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبياناته، فلا تخف ولا تحزن، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]»<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣٤)، جامع الترمذي، في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٢١٤٠) وقال الترمذي: وهذا حديث حسن.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٢٥.

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- الرسائل الشخصية ١٥٦/٧.



### ﴿ ثانياً: قواعد للتعامل مع الإشكالات والشبهات بعد ورودها :

جولة في أروقة الفكر نتفقد معها ما نُقش على جدران الذاكرة مما يعلوه الغبار، أو أُرسِل إلى تلك المتاهات لنخفيه عنا، فنخرج منها بمزيد إعراضٍ عن تلك النقوش وكتمانٍ لتلك الصِّراعات والشبهات ونظن أننا نسيناها كأن لم تكن!

**مُحالٌ أن تكون إشكالاتنا هذه بلا جواب، وحالنا تلك بلا علاج، لذا وفي غمرة الشبهات هذه التي تأتينا من كل حذب وصوب، وكثرة الواقعين فيها فإننا بحاجة إلى :**

- ١- استعمال التفكير الناقد والتوثيق العلمي في التعامل مع المعلومات والأفكار.
- ٢- سؤال المتخصصين عما يُعرض لنا ويجول بخاطرنا، لتطمئن قلوبنا.
- ٣- مراجعة الجهود السابقة في الرد على نفس القضية المستشكلة.
- ٤- التماسك أمام الشبهة التي لم نعرف جواباً لها، فليس معنى ورود شبهة أنها صحيحة، وليس عدم علمنا بالجواب دليلٌ على عدم وجوده. ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].
- ٥- دراسة سلبيات الانتقال إلى القبول بالشبهة وما يترتب عليه.







## المطلب الرابع

### أخلاق الداعية الرادِّ على الشبهات

هناك جملة من الأخلاق التي لا بد للداعية الذي سيتصدى للرد على الشبهات من استكمالها في نفسه عموماً، وعند الرد على الشبهات خصوصاً، نجملها في النقاط التالية :

- ١- **الإخلاص**: لنيل رضى الله، ولكي لا تكون الحسرة والندامة من الرد، فمتى كان الرد مطلوباً به الوجاهة وثناء الناس كان ذلك وبالاً وخسراً على صاحبه.
- ٢- **الصدق**: لتحقيق الغاية من الرد فمتى كان الراد صادقاً كان رده بليغاً لأن الكلام متى خرج من صميم القلب أسرع إلى القلوب والأذهان والعقول.
- ٣- **الصبر**: وبه يحقق المسلم الأمل والرجاء وهو أنيس البحث في دروب المعرفة والسلاح في وجه الأخلاق السيئة والطباع الشرسة للمخالفين.
- ٤- **الأناة والتروي**: فمتى تعجل الراد زلت قدمه وفضح نفسه. فمن طرحت عليه شبهة تروى وتأنى حتى يحيط بجوانب الموضوع ويعطي لنفسه فرصة استجماع قواه للبحث والاستزادة حتى إذا ضرب ضرب في مقتل.
- ٥- **الذكاء**: وهو منة من الله تنمو بالمران، فمتى كان الراد ذكياً استطاع أن يأخذ بزمام الأمر ويعالج الشبهة علاج الطبيب المحنك، وكان له أن يضرب عصافير بحجر واحد.
- ٦- **العقل والتذكر**: وأقصد بالعقل معناه اللغوي فالراد يجب أن يعقل ويتذكر كي يستطيع جمع مادة البحث بنجاح وفي ظرف وجيز.



**٧- الإقدام والإقبال:** الذي يرد على الشبهات لا يكون جباناً بل يكون مقداماً سلاحه الكتاب والسنة والعلم ومتى قلَّ الإقبال والإقدام فلا يعني أن الراد على الشبهات يقول على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ما لا يعلم.

**٨- الشجاعة:** والقصد أن الراد لا يرهبه النصارى ولا اليهود ولا الزنادقة والملاحدة والمخالفين عموماً ولو قالوا ما قالوا، لأن بعض المسلمين عندما يسمع النصارى يتحدثون ويلقون عليه بشبهاتهم يخاف ويقول هم أعلم مني بديني فيستسلم ويفر، ولو تسلح بالقرآن والسنة والعلم كان النصر حليفاً له.

**٩- استجماع قوة الفكر أو ضغطه:** وهو ما يقال له خطأ التركيز، وأقصد أن الراد يجب أن يخلص نفسه للرد لأن الرد عبادة وصدقة جارية فمتى أصابه تشوش وفتور كان الرد بارداً.

**١٠- سرعة الاستجابة:** وهي من حيوية الراد وعلو همته وهي أن يعد لكل شبهة ما يناسب مقام الرد، وهذا الشرط خاص بالبرامج التلفزيونية والمناظرات الصوتية التي لا يستطيع فيها الراد أن يرجع إلى المصادر والمراجع بحال.

**١١- اليقظة والحذر:** فاليقظة والحذر تجعلان الراد في منأى عن السقوط في أحابيل ومكائد ومصائد المخالفين بل هو يوقع بهم.

**١٢- المناورة:** بقدر المناورة يستطيع الراد أن يتعرف على عقلية صاحب الشبهة ومستواه ومراميه وقدراته. وهذا أيضاً خاص بالمناظرة الشفوية والإذاعية ويتعلق بالمناظرة الكتابية.

**١٣- خفة الروح والدم:** تلك الخاصية تجعل الرد يكتسب طابع القبول من جهة ومن جهة أخرى يخوض حرباً نفسية مع طارح الشبهة وقارئها من المخالفين.



- ١٤- **الشدّة:** والقصد أن يكون الأسلوب قوياً شديداً لا يماري ولا يداري، والمصدر كتاب الله تعالى كيف أنه يرد على المخالفين بقوة ويكشف عوارهم دون مدهانة.
- ١٥- **قوة النفس وعلو الهمة:** ومتى كان الراد كذلك أمكنه أن ينظر إلى الشبهة شيئاً يسيراً يفتح الله بالجواب عنها فيهون في قلبه صاحب الشبهة وشبهته. وعلو الهمة وقوة النفس يدفعان إلى المضي قُدماً نحو اكتساب المعالي والاستزادة من العلم والمعرفة.
- ١٦- **المحبة للعمل الذي يقوم به:** فمتى قام الراد بالرد على مضض أو فرض عليه كان الرد باهتاً واصل المسألة أن الحب يدفع إلى إرضاء المحبوب ومن أحب إلى قلوب العباد من الله ثم رسوله. وما أعظم علماً يسخر للدفاع عن الدين والذود عنه.
- ١٧- **التفرس:** لمعرفة الأهداف وتوقع توابع الشبهات والإعداد لها بما يكفي ويقصم.



## المطلب الخامس

### قواعد منهجية في الرد على الشبهات

#### ○ أولاً: النظر في صحة مقدمات السؤال لهدم النتائج:

فكثيراً ما يُلقى المفتري افتراءه في صيغة سؤال مشتمل على مغالطة؛ كقوله مثلاً: ما الحكمة من زواج الرسول ﷺ من عائشة رضي الله عنها وهي طفلة؟ والمغالطة هنا هي قول المفتري «وهي طفلة»، فهي رضي الله عنها لم تكن طفلة وقت زواجها من الرسول ﷺ؛ بل كانت امرأة بلغت مبلغ النساء.

فإذا شرع المسلم في رده ببيان الحكمة من زواج الرسول من عائشة رضي الله عنها دون بيان ما في السؤال من مغالطة، ربما ظن البعض أن ذلك إقرار ضمنى بصحة مقدمة السؤال.

### ○ ثانياً: النظر في صحة الدليل:

إذا اشتمل الافتراء على دليل فلا بد من التحقق من صحة الدليل متناً وسنداً قبل الشروع في الرد، فلو كان الدليل، مثلاً، آية من القرآن، فينظر في صحة نقل لفظ الآية، فقد يخطئ المفتري، عن عمد أو جهل، في نقل نص الآية، وكم أكثر النصارى من التحريف وقولوا القرآن ما لم يقل.

وإذا كان الدليل حديثاً فيبحث أولاً في صحة الحديث وثبوتته، ثم يبحث في صحة نقل المتن، وكم صدع المرجفون رؤوسنا بالأحاديث الموضوعية والواهية، وأرادوا إقامة الحجة علينا بتلك الأحاديث الشنيعة والضعيفة.

وإذا كان هذا الدليل تاريخياً أو علمياً فيجب النظر في صحته في المصادر المعتمدة، ومطالعة أقوال أهل الاختصاص لمعرفة مدى ثبوته، فكم من مرة حاول المرجفون إقامة الحجة على المسلمين بالإسرائيليات والأحداث الخرافية، وليس لها من مسوغ سوى ورودها في كتب المسلمين، ونسي هؤلاء أن مصدراً التشريع عندنا هما القرآن والسنة الصحيحة، ولا تقام علينا الحجة بآراء العلماء وأقوالهم إلا إذا وافقت القرآن والسنة.

### ○ ثالثاً: النظر في صحة الاستدلال:

من أبرز طرق المفتريين الإتيان بنصوص صحيحة، والاستدلال بها على معانٍ فاسدة لا يحتملها النص، وربما جمعوا بين سوائتي ضعف الدليل وفساد الاستدلال؛ ولذلك ينبغي، بعد النظر في صحة الدليل، أن نبحث في مدى صحة الاستدلال، وهل تحتمل دلالة النصّ المعنى الذي يقصده المفتري أو لا؟



### ○ رابعاً: تحديد موطن الشبهة:

من الضروري فهم موطن الشبهة، وتحديد ما يرمي إليه المفترى من طرح فريته بالضبط؛ حتى يكون الرد موجهاً لأصل الافتراء، وموظفاً في إزالة أي شبهة قد تقع من جراء طرح الفرية.

**مثلاً:** حين يطرح المفترى موضوع رضاع الكبير في الإسلام، فإن ما يرمي إليه هو تصوير أحكام الإسلام بالإباحية، وأنها تجيز لأي امرأة مسلمة أن تلتم ثديها لأي رجل. لذلك يجب أن يتجه الرد في الأساس إلى بيان عدم جواز التقام الشدي في رضاع الكبير، ثم بيان عدم شمول الحكم لكل رجل، أما إذا ارتكز الرد على مناقشة الخلاف في اختصاص حكم رضاع الكبير بسالم مولى أبي حذيفة، فهذا خروج عن المطلوب، وعدم توفيق في إصابة موطن الفرية.

### ○ خامساً: اختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء:

الرد على الشبهات بالحجة والبرهان، مؤيداً بالدليل الصحيح، وفق ضوابط وآداب الحوار والمجادلة التي هي أحسن.

**ومما يجب الإشارة إليه أن هناك عدة عوامل تتحكم في اختيار الأسلوب**

**المناسب للرد على الافتراء، منها:**

١- **مستوى الشخص المخاطب بالرد:** فينظر إلى مستواه الثقافي والفكري، ومنزلته بين قومه وحاله النفسي، فأسلوب مخاطبة المسلم بالرد يختلف عن أسلوب مخاطبة الكافر...

٢- **طبيعة الافتراء نفسه:** فيصنف بحسب ما أسلفنا، وما مدى درجة التمكن من الرد وعدمه، وهل يقتضي المقام مقدمات أو لا يحتاج الأمر إلا لجملة واحدة تنهي



الموضوع، فطبيعة الفرية تحكم على اختيار التطويل والإيجاز، وله علاقة بمستوى المردود عليه ...

**٣- المقام الذي سيتم فيه الرد:** هل لدى الرادِّ على ما يكفي من الأدلة، وهل هو واثق من معلوماته؛ لأنه بتسرع قد يفتح على نفسه باباً آخر من أبواب التضييق وتحكم الخصم فيه بإيراده لمعلومة خاطئة أو ما شابه، والأساليب تختلف بحسب المقام، فالمناظرة ليست هي المحاضرة، والتعقيب ليس هو السؤال، والرد الكتابي يختلف عن الرد الشفوي، وهكذا.

فقد تجد من يحسن الرد الكتابي، وإذا تعلق الأمر بالشفوي لم يستطع إلى ذلك سبيلاً، وقد تجد الخطيب المفوه لا يستطيع أن يكتب رداً واحداً، وكل بحسب مجاله وميدانه.

لكن، والحق يقال، إن التوفيق والنجاح - بعد توفيق الله وعونه - يكونان في اختيار الأسلوب الأمثل والمناسب، المراعي لظروف الزمان والمكان.

### ○ سادساً: تفنيد الافتراء بقوة مع الاهتمام بإزالة موطن الشبهة:

إذا عُرِضَ الافتراءُ أو الشبهة فيجب أن يكون همك الأول هو المسارعة إلى القضاء على هذا الافتراء، واجتثائه من أصوله بكل طريق ممكن، وإذا تعددت الردود على الفرية الواحدة، فالأولى أن تبدأ بأقوى هذه الردود، وهو الرد الذي تشعر أنه سيقضي على الفرية من الوهلة الأولى، بحيث يكون ما تبقى من الرد نافلة تؤكد تهافت الفرية، ويجب الحرص على خلو الرد من أي ثغرة يمكن للمفتري اصطيادها، والنفاد من خلالها إلى إعادة إثارة الافتراء نفسه مرة أخرى، أو إثارة افتراء غيره.



### ○ سابعاً: مكان القوة في رد الشبه:

١- أن يكون موجهاً لموطن الافتراء وأصل الشبهة، لكي لا يعتبر الخصم ذلك هروباً وتركاً للموضوع الأصلي، وتشبثاً بأهداب الفرار.

٢- قوة الدليل ووضوحه، مع حسن الاستدلال به، فقوة الدليل تقضي على أحلام الخصم، وتكون سبباً في اقتناع الآخرين، والتعجيل بهزيمة المخالف؛ إذ الحق لا يُعلى عليه.

٣- دقة وضبط العبارات والألفاظ؛ لكي لا يدع المسلم مجالاً للخصم ليناور أو يراوغ أو يلعب بالعبارة العامة التي أوردها المسلم، فيحملها معان أخرى، فيسقط المسلم.

٤- أن يظهر ما في الفرية من ثغرات وأخطاء ومغالطات؛ إذ الإظهار جزء من المعركة، فمن لم يستطع الوقوف على مكانم الأخطاء والثغرات صعب عليه أن يهزم خصمه، أما من وقف عليها كان ذلك سبباً في إرباك خصمه؛ مما يؤدي إلى هزيمته.

### ○ ثامناً: حسن الاستدلال على الردود:

من الضروري أن يشتمل الرد على أدلة واضحة تبين صدقه من جهة، وتبين بطلان الفرية وتهافتها من جهة أخرى، وتتنوع هذه الأدلة بين شرعية وعلمية وعقلية ولغوية وتاريخية وغير ذلك، بحسب نوع الفرية وموضوعها.

ومن المهم أن نحشد مجموعة الأدلة المتعلقة بالموضوع، ثم نقوم بترتيبها وتنظيمها، ونختار أقوى هذه الأدلة ثبوتاً، وأظهرها دلالة، وأكثرها تعلقاً بالموضوع، ونقدمها على غيرها، مع توثيق هذه الأدلة بعزوها إلى مصادرها.



ومن المفيد إظهار موضع الشاهد من الدليل ووجه الدلالة منه، وتأييد ذلك بالنقل عن أهل الاختصاص من الكتب المعتمدة.

### ○ تاسعاً: بيان تهافت الافتراء وتفاوته:

يجب على المؤمن الذي يتصدى للرد على افتراء ضد الإسلام أن يكون على يقين من تهافت هذا الافتراء وبطلانه، وعليه أن يظهر هذا التهافت من خلال البحث عن ثغرات في مقدمة الافتراء، وفي أدلته، وفي صحة الاستدلال بها، وفي نتائج هذا الاستدلال. وعليه أن يقوم بحصر جميع نقاط الضعف في الافتراء، ثم تنظيمها وترتيبها، ومن ثم يشرع في بيان كل نقطة منها بجلاء، مع موازنتها بعناصر القوة في الرد.

مثال هذه الطريقة: قول المفتري: لماذا خالف النبي ﷺ شرع الإسلام بأن زوج نفسه من زينب بنت جحش، زوجة ابنه زيد بن حارثة؟

### فقد اشتمل الافتراء على مقدمات فاسدة، هي:

- ١- أن زيد بن حارثة كان ابناً للنبي ﷺ.
- ٢- أن زينب بنت جحش كانت زوجته حين تزوجها النبي ﷺ.
- ٣- أن النبي ﷺ زوج نفسه بها.
- ٤- أن النبي ﷺ بذلك قد خالف الشرع الذي جاء به.

### والرد عليها كما يلي:

- ١- زيد بن حارثة ليس ابن النبي ﷺ ولكنه كان دعيه؛ أي: ابنه بالتبني، ثم ألغى الله التبني، فلم يعد زيد ابنه بأي وجه؛ قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۗ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].





٢- زينب بنت جحش رضي الله عنها لم تكن زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنه حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل كانت مطلقة.

٣- النبي صلى الله عليه وسلم لم يزوج نفسه من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وإنما زوجها الله تعالى له؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكُمَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٤- النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخالف شرع الله؛ لأنه الذي يبلغ هذا الشرع، والشرع إنما يُعرف من جهته، وفعله صلى الله عليه وسلم دليل على المشروعية؛ ولذلك جاء زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها ليزيل أي حرج في قلوب المؤمنين من الزواج من مطلقات ادعيائهم؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكُمَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فالأسلوب الأمثل في مواجهة هذه الطريقة التدقيق في مفردات السؤال، مع المطالبة بالدليل على كل جزئية.

### ○ عاشرًا: بيان أن ما أراد المفتري إظهاره كنقيصة هو من المحامد والمحاسن:

إن كل أحكام الله كاملة لا نقص فيها، ولا يمكن لأي شخص مهما بلغ من علم وذكاء أن يثبت شيئاً من النقص في حكم من الأحكام الشرعية.

وكثيراً ما يحاول المفتري قلب الحقائق وتزويرها، وتصوير المحاسن والمحامد كأنها نقائص وعيوب في الشريعة الإسلامية، ولذلك ينبغي على من يتصدى للرد على الافتراءات أن يظهر محاسن ما أراد المفتري إثبات قبحه، وأن يبين كمال ما ادعى المفتري نقصه.

**على سبيل المثال:** يصور المفترون الجهاد على أنه إرهاب وقهر واعتداء على الحريات؛ ولذلك يجب أن يُظهر الردُّ على هذه الفرية -فوق إظهار كذبها وزيفها-



تعدّد محاسن الجهاد ومحامده، وأنه وسيلة لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وأن من مكارم هذه الأمة أنها تضحى بالنفس والمال في سبيل هداية البشرية إلى الدين الحق، وتوضيح أخلاقيات الحرب في الإسلام ونهيه عن الاعتداء على الأبرياء والفساد في الأرض.

### ○ الحادي عشر: افتراض الإيرادات على الرد وإبطالها:

قد يحاول المفتري إيراد بعض الاعتراضات على الرد للتشكيك فيه وإظهار ضعفه، ومن المفيد أن يفترض من يتصدى للرد هذه الإيرادات ويتوقعها، ثم يقوم بالرد عليها قبل أن تُطرح، فهذا يعطي للرد قوة زائدة وتحصيناً من الاستدراكات والإيرادات.

**على سبيل المثال:** إذا استدل المفتري بحديث ضعيف، وجاء الرد عليه ببيان ضعف هذا الحديث، وغلب على الظن أن المفترى سيورد إيراداً مفاده أن عالماً معيناً قد صحح الحديث، فمن المفيد هاهنا التعرض لهذا الإيراد والرد عليه، قبل أن يطرحه المفترى.

**كأن نقول:** وقد يقول قائل: إن فلاناً من أهل العلم صحح الحديث، فكيف تقولون

بضعفه؟

**ونجيبه مثلاً:** بأن هذا العالم معروف عنه التساهل في تصحيح الأحاديث، وقد استدرك عليه كثير من العلماء المحققين تصحيحه لهذا الحديث وبينوا خطأه فيه من عدة وجوه.

### ○ الثاني عشر: إلزام المفترى بما يعتقدُه والرد عليه من دينه:

إن الافتراءات التي يحاول المفترىون إلصاقها بالإسلام كثيراً ما تكون موجودة لديهم في كتبهم ودينهم وعقائدهم، ويكون رميهم للإسلام بها على طريقة: رميتي بدائها وانسلت.



ومن النافع جداً في هذه الحالات إلزام الخصوم بما وجد في كتبهم والاحتجاج عليهم بما تقرره مصادرهم، على أن يأتي ذلك بعد استيفاء الرد من الناحية الإسلامية. **على سبيل المثال:** يحاول المنصرون تصوير النسخ في الإسلام على أنه مما يقدح في تمام علم الله وحكمته؛ لأنه يلزم من الإقرار بوجوده القول بالبداء على الله، ويقصد بالبداء أن الله ﷻ ظهر له من العلم ما لم يكن ظاهراً من قبل ولذلك تم تغيير الحكم، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عما يقول الظالمون.

والرد على ذلك يجب أن يكون بنفي وجود هذا التلازم، وتوضيح أن المسلمين لا ينسبون لله ﷻ البداء بل يعدون القول بذلك من الكفر، وأن ما يعتقدوه المسلمون هو أن الله حكم منذ الأزل بوضع الحكم المنسوخ لمدة معينة، ثم نسّخه بالحكم الآخر بعد ذلك لحكمة أرادها سبحانه.

فإذا تم استيفاء الرد من الناحية الإسلامية كان من النافع تقرير وجود النسخ في كتب النصارى وعلى الوجه الذي يحمل انتقاصاً لمعبودهم.

**فقد جاء في كتاب النصارى في:** رسالة إلى العبرانيين، الإصحاح: ٧، العدد: ١٨، بحسب الترجمة اليسوعية: «وهكذا نسخت الوصية السابقة لضعفها وعدم فائدتها» وهذا النص يثبت وجود النسخ من جهة، ويبين حدوث النسخ بضعف الوصية وعدم فائدتها من جهة أخرى، وهذا انتقاص لمشروع الوصية وقده في علمه وحكمته.

### ○ الثالث عشر: ختام الرد بتلخيص أهم ما جاء فيه من نقاط:

الأصل في الردود أن تكون مختصرة وموجزة على قدر الإمكان، ولكن قد يقتضي المقام إطالة بعض الردود لكثرة جزئياتها وتعدد عناصرها وتنوع الأدلة فيها، وربما تذهل أذهان البعض عن استيعاب كل هذه العناصر والربط بينها، فالكلام قد ينسي



بعضه بعضاً، ولذلك فإن من المفيد أن نختم مثل هذه الردود بتلخيص أهم محاورها في نقاط مركزة مرتبة توضح المقصود.

### ○ الرابع عشر: عدم الخوض في الرد بدون تمكن وعلم:

**قال الشيخ العثيمين:** «لا يجوز للإنسان أن يقرأ كتاباً مضلاً من كتب اليهود، أو النصارى، أو المشركين، أو أهل البدع؛ إلا إذا كان عنده رصيد قوي يمكن أن يتحصن به، وأما إذا كان مبتدئاً في القراءة: فلا يجوز له أن يبدأ بقراءة هذه الكتب الباطلة؛ لأنه ربما تأثر بما فيها من الباطل، فهو لاء ننصحهم بأن يتركوا هذه الكتب، حتى يحصنوا أنفسهم بالعلوم الشرعية الصحيحة قبل أن يدخلوا في هذه الكتب المضلة، فالإنسان إذا أراد أن يتحصن من السيل: أخذ في بناء السدود والمصارف قبل مجيء السيل، لا يفعل ذلك بعد مجيئه، فنقول: أولاً: حصنوا أنفسكم بمعرفة الشريعة، واغرسوها في قلوبكم، حتى إذا تمكنتكم: فلا بأس أن تقرءوا، لتردوا على شبهات القوم وأباطيلهم»<sup>(١)</sup>.

فبعض الدعاة يُنصبون أنفسهم حماة لدعوتهم ومذهبهم، وهم لا يملكون الأسلحة التي يدافعون بها عن دينهم وعقيدتهم، أو ربما عن دعوتهم وجماعتهم.

فلا تجد عندهم علماً ولا فقهاً ولا تجربة ولا دراية بواقعهم، وهم مع ذلك يريدون التصدي للشبهات ودحضها بكلمات جوفاء وصراخ وعويل، واتهام للطرف الآخر بالتعدي والظلم، دون أن يفندوا هذه الشبهات تفنيداً علمياً ومنهجياً، والسبب في ذلك هو جهلهم.

لذلك من لا يحسن العلم فلا أقل من أن يحسن الاعتراف بقلة العلم، إذ من قال لا أعلم فقد أفتى، ونجا من مواقف حرجة هو في غنى عن الوقوع فيها. «إن الصواب

(١) لقاءات الباب المفتوح ٤٧ / السؤال رقم ٧.



والنجاة في ألا يقحم الداعية نفسه في مجادلة أصحاب الشبهات ومحاورتهم وهو غير مستعد لذلك علمياً ومنطقياً؛ لأنه إن فعل ذلك، لا سيما أمام محفل من الناس، فإنه سيهزم لا محالة وإن كان الحق معه، وسيبدو للناس أن زعم أصحاب الشبهات والانتهاكات صحيح، فيقتنعون بذلك، ويظهر الباطل على حساب الحق، فمن يكون السبب حينئذ؟ إن السبب هو ذلك الذي أقحم نفسه فيما لا طاقة له به ولا علم.

إن الحل سهل ويسير، وهو أن يعترف أنه لا علم له في هذه الجزئية، وأنه يحتاج أن يبحث فيها أو يسأل عنها ثم يجيب، أو أنه يحول مثير الشبهة إلى من هو أعلم منه وأكثر قدرة على الإجابة والرد، مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

نعم، إذا واجهت الداعية في المناقشة أو المناظرة شيء لا يعرفه فلا يخجل من السؤال والاستيضاح حتى يتكلم بعلم وثقة.

ومن يتصدر لتفنيد شبهات المخالفين ينبغي أن يكون راسخ العلم، واسع الاطلاع، فبعد دراسة مسائل العقيدة والفقه والتفسير والحديث، مع ما يلزم لذلك من علوم الآلة، ينبغي الاستفادة من الكتب المتخصصة في بيان الشبهات ودحضها وبيان زيفها، وذلك ليكون المتصدر لذلك عنده معرفة بالحق تفصيلاً، ودراية بالباطل ووجه بطلانه تفصيلاً أيضاً<sup>(١)</sup>.

(١) من الكتب المفيدة والمهمة في هذا الباب، كتاب: الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، عرض وتفنيده ونقض للدكتور عبد العظيم المطعني، وكتاب: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، للأستاذ الدكتور محمود مزروعة، وكتاب: شبهات حول السنة، للشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي، وغيرها من الكتب المشار لها في بداية المبحث.



### ○ الخامس عشر: رد المتشابه إلى المحكم:

وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧].

**فمثلاً:** فإذا اشتبه علينا معنى «كلمة الله» و«روح منه» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١] عدنا إلى محكم قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] فنفهم أن عيسى خُلِقَ بكلمة الله «كن» تماماً مثلما خلق بها آدم. وكذلك عدنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣] لنفهم أن الإضافة بـ«منه» إضافة ربوبية وخلق، لا إضافة تبعيض وتركيب، وهكذا يُفسَّرُ المتشابه بالمحكم.

### ○ السادس عشر: رد الشبهة لعدم معقوليتها:

كزعيمهم بوجود أخطاء نحوية في القرآن، وذلك لأن علم النحو الذي يحاكمون القرآن إليه إنما وضعه علماء اللغة بناءً على كلام العرب وأشعارهم في الحواضر والبوادي، ومحمد ﷺ هو واحد من هؤلاء الذين تربوا في البوادي وكانوا مرجعاً لعلماء النحو في تقعيد قواعده، والذين تلقوا القرآن لأول مرة هم أيضاً من هؤلاء، فيصير من غير المعقول أن يتلقى هؤلاء جميعاً خطأ ما في الكلام دون أن ينتبهوا إليه، وهم الحجة الطبيعية لعلماء النحو واللغة..! فتصير الشبهة منطقاً معكوساً ومتناقضاً مع ذاته.



### ○ السابع عشر: إظهار التناقضات بجوارد الشبهات:

لأن إظهار التناقضات يخرج المسلم من دائرة الإحساس بالاتهام والدفاع في مواجهة الآخر، وما يترتب على ذلك من الهزيمة النفسية للمدافع، وشعور الانتصار عند المهاجم..

### ○ الثامن عشر: التفريق بين نص الوحي وفهم المسلمين:

لأن الأول: معصوم يحدد إطار الإسلام وقيمه، والثاني: عمل بشري خاضع لاحتمال الصواب والخطأ. فبينما تقتصر الحجية في الجانب الإسلامي على كلام الله وما صحت نسبته إلى رسوله نجد أن النصارى يؤمنون بعصمة باباواتهم، وأنهم لا يتكلمون إلا بقوة «روح القدس».

### ○ التاسع عشر: مراعاة الفرق بين الطرح العلمي وطرح المواجهة:

فعند تفنيد الشبهات والرد عليها ينبغي أن يتصف الرد بالاختصار والإحكام والبساطة والتلقائية، الأمر الذي يختلف عن الطرح العلمي التفصيلي دون مراعاة لعقول المخاطبين، فقد بوب البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باب في: من خص قوماً بالعلم دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وذكر تحته قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله» وذكر ابن حجر<sup>(١)</sup> تحته قول عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في صحيح مسلم: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»<sup>(٢)</sup>. فعندما تثار شبهة كيف أن الله يضل من يشاء.. لا يمكن أن يكون الرد هو شرح قضية القدر والمشيئة في الإسلام، ولكن أسأل سؤالاً: هل يكون شيء بغير مشيئة الله؟

(١) فتح الباري ١/ ٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٥).



لا بد أن تكون الإجابة: لا. هل هناك من الناس من يضل؟ لا بد أن تكون الإجابة: نعم. إذن لا يكون هذا الذي يضل إلا بمشيئة الله.

### ○ العشرون: تنبيهات إلى سلبيات لا بد من اجتنابها:

لا بد من الإشارة إلى سلبيات قد تقع في بعض الردود رغبة في اجتنابها وتحذيراً من الوقوع فيها، وهذه السلبيات هي:

- ١- الدخول في جزئيات وتفريعات بعيدة عن موطن الشبهة وأصل الافتراء.
- ٢- التطويل الزائد والإسهاب الممل في الرد على الافتراء.
- ٣- اختصار الرد اختصاراً مخللاً يجعله غير كافٍ.
- ٤- الانتقال إلى بحث عنصر قبل الانتهاء من بحث العنصر السابق له.
- ٥- استخدام ألفاظ واصطلاحات غريبة تخفى على جمهور المستمعين.
- ٦- الرد من دين الخصم وكتبه قبل استيفاء الرد من الناحية الإسلامية.
- ٧- غلبة الجانب العاطفي والخطابي في الرد على الجانب العلمي المنهجي.
- ٨- استخدام عبارات التعميم والإطلاق في الرد دون التوثق من ذلك بالبحث والاستقراء التام، كقول القائل: «لم تأت هذه اللفظة في أي حديث» أو «لم يقل بذلك أي عالم قط» أو «لا ينكر ذلك أي شخص في العالم» أو «لم يحدث مثل ذلك في التاريخ كله».
- ٩- تحوّل الرد إلى مناقشة أمور شخصية لا يبني على ثبوتها أو عدم ثبوتها حكم أو ثمرة.





١٠- الوقوع في التناقض والاضطراب في الرد، كإثبات شيء ثم نفيه، أو قبوله ثم رفضه، ومن ذلك قول القائل في موضع من إجابته إن كلمة النكاح لا تأتي إلا بمعنى الزواج فقط، ثم يعود فيذكر في موضع آخر من الإجابة أنها تكون بمعنى الوطء، وهذا يَسِمُ كلامه بالتعارض والتناقض، وكان الأولى به من البداية أن يذكر أن النكاح يعني في الأصل الزواج، ولكن يُكْنَى به عن الوطء.

١١- ردود الأفعال العنيفة المؤسسة على الانفعال والغضب والارتجال والحماس العاطفي، لأن ذلك من صور التسرع والعجلة. والصحيح أن الحُجَّة تُقَرَّعُ بالحُجَّة، والدليل يواجهه بدليل مثله، فبعض الدعاة بدافع الحماسة للدفاع عن الدين يكتبون أو يقولون ردوداً تصل في كثير من الأحيان إلى حد الاستعطاف والذل والهوان أما إذا كانت الحجة ناصعة بددت أو هام المتخرفين.



## المطلب السادس

### حسن الأسلوب في الرد على الشبهات

مما ينبغي مراعاته عند التعامل مع الشبهات وأصحابها، النظر في أحوال أرباب الشبهات، ومدافعتهم بالأسلوب الأقوم والملائم، والذي يحقق دفع الشبهة وإظهار السُّنة، قال شيخ الإسلام: «والألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدو المسلمين - في تحصُّنهم وتسلُّحهم - على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي



مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع»<sup>(١)</sup>.

«كما يُحذَّر من السَّبَاب والشَّتائم وبذاءة القلم واللسان أثناء معالجة الشبهات، فإن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد والكلام البذيء يدل على انقطاع صاحبه وقلة علمه»<sup>(٢)</sup>.

وعليه أن يجانب البغي والعدوان، ويتحرى العدل والإنصاف؛ «فالإنسان إذا اتبع العدل نُصِر على خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمه»<sup>(٣)</sup>.  
وليحرص على مطالعة أحوال السلف وآدابهم في التعامل مع الشبهات، وجدال المخالفين ومناظرتهم.

فالداعية طالب آخرة لا طالب دنيا، وهو مع الحق أينما كان؛ لذا فهو على استعداد أن يتخلى عن حظوظ النفس من أجل إعزاز الحق وإظهاره.  
وإظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به ودحض شبهاتهم وأباطيلهم يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها.

ومن أهم سمات هذه النفس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام والتحدي؛ إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها استطاع أن يقودها وأن يسيرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلو من بعد ذلك إلا نفسه.

لذا من أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنب العنف والشدة والتحدي، وذلك مصداقاً لقول

(١) مجموع الفتاوى ٤/١٠٧.

(٢) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار د. يحيى العمراني ١/٩١.

(٣) درء التعارض بين العقل والنقل ٨/٤٠٩..



الله تعالى: ﴿ **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويقول جل ذكره مخاطباً نبيه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ **أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

إن الداعية يناقش بالتلطف والأناة والهدوء، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، وتفعل فيها فعل السحر أن تقول لصاحبك في بدء حديثك: اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع، قد أكون مخطئاً، وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطئي.

و﴿ **بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ تقتضي ألا تسفه آراء صاحبك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك؛ لذا يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

نعم، في بعض الأحيان لا ينفع المنطق والبرهان، إنما يجدي التودد والإحسان، حينذاك ألق عصا المنطق، واحمل راية الحنان؛ لتفوز في الميدان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)<sup>(١)</sup>؛ أي: عابه، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)<sup>(٢)</sup>.

وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: ٣٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (٢٥٩٣).



ودفع الإساءة بالإحسان ليس سهلاً يقدر عليه كل إنسان؛ بل يحتاج إلى تدريب نفسي، وصبر، ومجاهدة، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

إن أسلوب التحدي، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، يُبغض صاحبه للآخرين، فلا تلجأ إليه؛ لأن كسب القلوب أهم من كسب المواقف. ثم إنك قد تفحم الخصم، وتعجزه عن الجواب ولكنك لا تقنعه! أو تسكته بقوة حجتك، ومع ذلك يسلم لك لأنك أخرجته، فيرفض التسليم لك بعاطفته، حتى وإن كان عقله معك.

أما إذا تلطفت معه فسوف يقتنع بوجهة نظرك، إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا أنهيت ما تريد قوله، وأدليت بدليلك، فاترك صاحبك، وإن لم يوافقك، فهو مع مرور الزمن سيقنع برأيك، بل ربما يتبناه ويدافع عنه بعد حين، فالوقت هنا له قيمته، وهو جزء من علاج الأفكار والنفوس.

ولنفرض أنك خرجت من المعركة منتصراً، فليكن انتصاراً مملوءاً بالتواضع حتى لا تجرح مشاعر صاحبك وتذله، إذ يكفيه ذلاً أنه هزم أمامك في عقله وعلمه، وراقب نيتك مراقبة شديدة؛ حتى لا يعتريك العجب والزهو، فيضيع أجرك ويحبط عملك. والداعية الحكيم عليه أن يحاول استلال ما في قلوب الآخرين من غيظ وكرامية، وأن يقودهم إلى الهداية ليسعدوا بها كما سعد هو بها من قبل.

على أن هناك حالات تستثنى من ذلك، يحسن بالداعية أن يلجأ فيها إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر، وعلى سبيل المثال يمكن افتراض الحالة التالية: رجل فاسد النية والطوية، يعادي الحق وهو يعرفه، ولا يبتغي الوصول إلى الحقيقة والوقوف عند



الحجة واحترام الدليل، جمع عدداً من الشبان الصغار وأخذ يثير أمامهم مجموعة من الشبهات والأكاذيب، فهذا قد يكون الأفضل أن يوقعه الداعية في تناقض فكري أمام الآخرين، بحيث يخرجه ويفحمه ويسكته، ويهون من قدره لديهم؛ فيقطع عليه طريق إفسادهم.

إذن، ففي بعض الأحيان يكون الهجوم الحاد المركز على الخصم، وإحراجه وتسفيه رأيه، ضمن حدود الآداب الإسلامية، مطلباً مقصوداً من المناقشة أو المناظرة، وذلك إذا أساء إلى الفكرة وأهانها، أو تجاوز حدود الأدب، أو إذا اقتضت المصلحة إحراجه، فيكون إفحامه عقوبة له.

ومن الأساليب المهمة كذلك الفصل بين الشبهة وقائلها، وهي قاعدة جليلة لا يدركها كثير من الناس، كما أنها دقيقة لدرجة أنه قد لا يجيدها إلا العقلاء من أصحاب الفطنة والذكاء.

إن الهدف الرئيس، الذي تسعى إليه الدعوة، هو دحض الشبهة التي أثرت حولها، وليس هدفها القضاء على مثيرها؛ بل إن الدعوة الحققة هي التي تسأل الله تعالى الهداية لمثير هذه الشبهة، وتتمنى لو أن الله يشرح صدره إلى الحق فينجو من سخط الله وغضبه.

إن الحرب ليست حرب أشخاص بالدرجة الأولى؛ وإنما هي حرب أفكار وقناعات وآراء ومعتقدات، من هذا المنطلق فإنه ينبغي التمييز في التعامل بين الشبهة وبين قائلها.

ففي أغلب المناقشات يحسن تناول الشبهة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض، بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها



الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص.

وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق، لا النوازع الشخصية، تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه.

ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي على ضوء النصوص الواضحة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: لا يطعن بعضكم في بعض، ولا يدعو أحد أخاه باسم أو وصف يكرهه.

وقال ﷺ: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)<sup>(١)</sup>.

قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. قال ابن القيم: «فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين - مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلهتهم - لكونه ذريعة إلى سبهم الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لثلاثي يكون سبباً في فعل ما لا يجوز»<sup>(٢)</sup>.

إن الذين يثيرون الشبهات هم بشر مثلنا، يتأثرون كما نتأثر، فتشيرهم العبارة الفجة، وتغيظهم الكلمة الجارحة، كما يأسرهم الشاء اللطيف، ويقربهم الإحسان إلى أشخاصهم؛ لذا ينبغي أن نرفع من قدرهم ونكرمهم كأشخاص ولكننا في الوقت ذاته نبين خطأ اتهاماتهم وفساد شبهتهم، ونشعرهم أن الخلاف الذي بيننا وبينهم ليس خلافاً شخصياً، وإنما هو خلاف في الأفكار والقناعات.

(١) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (١٩٧٧) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٠).

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ١١٠.

# الفصل الخامس

## قضايا منهجية في التعامل مع المتغيرات الدعوية

ويتضمن ستة مباحث:

**المبحث الأول:** فقه الهجرة.

**المبحث الثاني:** فقه الفتن والموقف منها.

**المبحث الثالث:** سنن النصر والتمكين ومناهجه.

**المبحث الرابع:** فقه التميز والتمايز في الدعوة.

**المبحث الخامس:** فقه السنن الإلهية.

**المبحث السادس:** التجديد الدعوي.





# المبحث الأول:

## فقه الهجرة

ويتضمن خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** مفهوم الهجرة وأنواعها.

**المطلب الثاني:** أحكام الهجرة.

**المطلب الثالث:** مفهوم دار الإسلام ودار الكفر.

**المطلب الرابع:** خطورة بقاء المسلم في بلد لا يقيم فيها دينه

ولا دعوته.

**المطلب الخامس:** معالم منهجية من خلال هجرة الحبشة.





## المبحث الأول فقه الهجرة

يقع لبعض الدعاة والصالحين في بعض البلدان وفي بعض الأزمان مضايقات مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلِتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران: ١٨٦] وفي أثناء تلك الابتلاءات تأتي فكرة الهجرة في سبيل الله تعالى حفاظا على الدين ونشرا للدعوة إلى الله.. وهذه القضية حصل فيها نوع من الإفراط والتفريط في حياة الدعاة. وسنعرض في خمسة مطالب أحكام الهجرة في الإسلام، وما يخص الداعية فيها على وجه التركيز<sup>(١)</sup>.

### المطلب الأول

#### مفهوم الهجرة وأنواعها

✦ **أولاً: تعريف الهجرة لغة وشرعاً:**

**لغة:** الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إما بالبدن؛ أو باللسان؛ أو بالقلب.

قال تعالى: ﴿ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ [النساء: ٣٤] كناية عن عدم قربهم.

(١) ينظر: كتاب المفصل في أحكام الهجرة د. علي الشحود، وكتاب أحكام الهجر والهجرة في الإسلام للبدراني. والهجرة في ضوء الكتاب والسنة لعبدالله الشويمان. والفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين للعوايشة.



وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقَرْيَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]  
فهذا هجر بالقلب، أو بالقلب واللسان.

وقوله: ﴿ وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠] يحتمل الثلاثة، ومدعو إلى أن يتحرى أي الثلاثة إن أمكنه مع تحري المجاملة.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَأَهْجَرَنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٥]، فحث على المفارقة بالوجه كلها<sup>(١)</sup>.

«وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن؛ يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك؛ وكذلك كل مغل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه. وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشؤوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة؛ فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر، فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة. قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾<sup>(٢)</sup>.

**شرعا:** هي الخروج في سبيل الله من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دارٍ شديد الفتنة إلى دارٍ أقل منه فتنة<sup>(٣)</sup>.

**فالهجرة تعني:** تلمس مواطن الرضى والحط عندها، وتلمس مواطن السخط والغضب والهروب إلى الله منها<sup>(٤)</sup>.

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ١/٥٣٦.

(٢) لسان العرب ٥/٢٥١.

(٣) ينظر: الهجرة في ضوء الكتاب والسنة ص ٥.

(٤) ينظر: الهجرة إلى بلاد غير المسلمين حكمها وآثارها المعاصرة في الشريعة- رسالة ماجستير- جامعة غزة- عبدالله يوسف أبو عليان ص ٣.



## ❖ ثانياً: أنواع الهجرة:

### الهجرة نوعان:

**النوع الأول:** هجرة مكانية حسية ظاهرة وهي مرتبطة بالخروج والانتقال من أرض الكفر إلى أرض الإسلام ومن دار تشدد فيه الفتن إلى دار تقل فيه الفتن وهذا النوع من الهجرة مشروع.

**والنوع الثاني:** هجر المعاصي والذنوب والآثام وكل ما نهى الله تعالى عنه ومما نهى الله تعالى عنه الإقامة بين أظهر المشركين لمن لم يقدر على إظهار دينه وهذه الهجرة المعنوية القلبية الباطنة شاملة لنوعي الهجرة هجر الديار والأوطان وهجر المعاصي والذنوب والآثام وهي الأصل والمقصد والحسية الظاهرة هي وسيلة إليها. وكلامنا في هذا الموضوع منصب على النوع الأول<sup>(١)</sup>.

## ❖ ثالثاً: بواعث وغايات الهجرة:

البواعث كثيرة، وأهم تلك البواعث والغايات:

١- سلامة العبادة والدين فحيثما يُضيق على المرء في دينه وعبادته ويُمنع من إظهار دينه والقيام بالواجبات الدينية المفروضة عليه يتعين عليه الهجرة إلى حيث يجد المكان الأمثل للمحافظة على دينه وعبادته لربه ﷻ، وعبادة الله ﷻ هي الغاية العظمى من وجود الإنسان وخلقهُ تُرخص في سبيلها جميع الغايات والمقاصد.

٢- سلامة النفس فحيثما يجد المرء نفسه مهددة بالقتل أو الهلاك المحقق من قبل الظالمين وليس له قدرة على دفع الظلم عن نفسه فله أن يُهاجر طلباً للسلامة إلى حيث يجد الأمن والأمان لنفسه وأهله.

(١) ينظر: الهجرة في ضوء الكتاب والسنة ص ٥.



٣- تقوية المسلمين وإضعاف المشركين كإحياء فريضة الجهاد وتقوية المسلمين وتكثير سوادهم على المشركين فالهجرة والجهاد شيئان متلازمان وأحدهما سبب للآخر ولازم له وبقاء أحدهم لازم لبقاء الآخر.

وأعظم مقاصد الهجرة الشرعية هي الفرار بالدين من الفتن والفرار بالتوحيد وهجرة ما نهى الله عنه ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم: مَنْ سَلِمَ الْمَسْلُومُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)<sup>(١)</sup>.



## المطلب الثاني أحكام الهجرة

**تنطبق على الهجرة الأحكام التكليفية، وذلك على التفصيل التالي:**

**هجرة واجبة:** وهي من دار الحرب إلى دار الإسلام على من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه وتلحق به الدار التي يُعمل فيها بالمعاصي جهاراً إذا لم يتمكن من إظهار دينه.

**وهجرة مستحبة:** وهي لمن يقدر عليها وهو متمكن من إظهار دينه.

**هجرة مباحة؛** على العاجز إما لمرضٍ أو إكراه، كالأسير أو الضعيف من النساء والولدان وشبههم.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٠). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (٤١).



### قال الحافظ ابن حجر مبيناً حكم الهجرة ومتى تجب ومتى تستحب:

«فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

**الأول:** قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة.

**الثاني:** قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعاونتهم، وجهاد الكفار، والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

**الثالث:** عاجز بعذرٍ من أسر أو مرض أو غيره، فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر»<sup>(١)</sup>.

### وحكم مساكنة المشركين في بلادهم يختلف باختلاف حال المكلف:

فمن وجبت عليه الهجرة بإقامته في بلاد الكفر محرمة، ومن استحبت له الهجرة بإقامته في بلاد الكفر مكروهة أو خلاف الأولى.

ولبيان هذه الحالات ننقل كلام الفقيه ابن قدامة المقدسي رحمه الله

تعالى، حيث قال:

إذا ثبت هذا، فالناس في الهجرة على ثلاثة أضرب:

**أحدها: من تجب عليه الهجرة:**

وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار، فهذا تجب عليه الهجرة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ آمَلْتِكُمْ ظَالِمِينَ

(١) فتح الباري ٦/ ١٩٠.



أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾، وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتمتمته وما لا يتم الواجب به فهو واجب.

### الثاني: من لا هجرة عليه:

وهو من يعجز عنها؛ إما لمرضٍ، أو إكراهٍ على الإقامة، أو ضعفٍ؛ من النساء والولدان وشبههم، فهذا لا هجرة عليه؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (١٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٨، ٩٩﴾. ولا توصف باستحباب؛ لأنها غير مقدور عليها.

### الثالث: من تستحب له ولا تجب عليه:

وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر فتستحب له<sup>(١)</sup>. وبهذا يتبين خطورة هذه المسألة ودقة ما يتعلق بها من أحكام، فينبغي للإنسان أن يتأمل في حاله قبل الإقبال على الانتقال من دار إلى آخر ليعرف الحكم المناسب له، وذلك بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين، والله أعلم.







### المطلب الثالث

## مفهوم دار الإسلام ودار الكفر

**ينبغي تحديد المقصود بدار الكفر ودار الإسلام، وخالصة ذلك أن يُقال:**  
**عَرَّفَ الفقهاء دار الإسلام ودار الحرب بتعريفات وضوابط متعددة يمكن**  
**تلخيصها فيما يلي<sup>(١)</sup>:**

**دار الإسلام هي:** الدار التي تجري فيها الأحكام الإسلامية، وتحكم بسلطان المسلمين، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين.

**ودار الحرب هي:** الدار التي تجري فيها أحكام الكفر، أو تعلوها أحكام الكفر، ولا يكون فيها السلطان والمنعة بيد المسلمين.

### وهذه بعض أقوال العلماء في هذا التعريف:

**قال الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة:** «تعتبر الدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، وإن كان جُلُّ أهلها من الكفار، وتعتبر الدار دار كفر لظهور أحكام الكفر

---

(١) لن نتحدث عن الخلاف الفقهي في المسألة منعاً للإطالة، ولذا سنختصر هنا ونحيل إلى كتب الفقه والدراسات العلمية المعاصرة: فمن كتب الفقهاء ينظر: بدائع الصنائع للكاساني: ٩/ ٤٣٧٥، والمبسوط، للسرخسي: ١٠/ ١١٤، والمغني مع الشرح الكبير لابن قدامة: ١٠/ ٩٥، والمعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الحنبلي ص (٢٧٦)، والإنصاف لعلي بن سليمان المرادوي: ٤/ ١٢١. ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٨/ ٢٨١-٢٨٢.

ومن الدراسات المعاصرة: رسالة ماجستير بعنوان: ضوابط معاملة الحاكم، خالد بن ضحوي الظفيري في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ورسالة دكتوراة بعنوان: اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، د. عبدالعزيز بن مبروك الأحمد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي من أهم الرسائل وأشملها في هذا الباب. وكذلك كتاب: العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر مقارنة فقهية د. عابد السفيني.



فيها، وإن كان جل أهلها من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

**وقال الإمام ابن القيم:** «دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون، وجرت عليها أحكام الإسلام، وما لم يجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام وإن لاصقها»<sup>(٢)</sup>.  
**ويقول الإمام ابن مفلح:** «فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام، وإن غلب عليها أحكام الكفر فدار الكفر، ولا دار لغيرهما»<sup>(٣)</sup>.



## المطلب الرابع

### خطورة بقاء المسلم في بلد لا يقيم فيها دينه ولا دعوته

اتفق العلماء على تحريم السفر لبلد غير إسلامي لغير ضرورة أو حاجة<sup>(٤)</sup>، فالأصل تحريم السفر لبلاد الكفر<sup>(٥)</sup>.

**واستدلوا بأدلة كثيرة منها:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

(١) المبسوط للسرخي ١٠/١٤٤.

(٢) أحكام أهل الذمة ١/٢٦٦.

(٣) الآداب الشرعية ١/٢١٣.

(٤) **الضرورة هي:** الأمور التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، وهي حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران. **الحاجة هي:** ما يفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج، والمشقة اللاحقة بفوت المصلحة فإذا لم تراع دخل على المكلفين - في الجملة - الحرج والمشقة. ينظر: الموافقات ٢/٩ - ١١.

(٥) ينظر: الشرح الكبير ١/٥٦١، والفتاوى الهندية، ٥/٣٦٦ وغيرها.



**قال الأوسي:** ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفار الموجبة للإخلال بأمور الدين أو بنفاقهم وتقاعدهم عن نصره رسول الله ﷺ واعدانهم الكفرة. واستدل بالآية على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن فيه من إقامة دينه، وإيدان بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى إن المضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه ينبغي أن يعد تركها ذنباً ولا يأمن ويترصده الفرصة ويعلق قلبه بها<sup>(١)</sup>.

**وقال القاسمي:** «دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب، والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة- حقت عليه المهاجرة، وعن القاسم بن إبراهيم: إذا ظهر الفسق في دار، ولا يمكنه الأمر بالمعروف، فالهجرة واجبة»<sup>(٢)</sup>.

**وقول النبي ﷺ:** (أنا بريء ممن يقيم بين ظهري المشركين)<sup>(٣)</sup>.

**وقوله ﷺ لجريير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** حين أسلم، وقال له: يا عني واشترط: فقال رسول الله ﷺ: (تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتفارق المشركين)<sup>(٤)</sup>.

فالأصل من خلال هذه الأدلة تحريم السفر لبلاد الكفار، ومن باب الضرورة يجوز السفر لبلاد الكفار إذا قدر على إظهار دينه لمن عنده علم يدفع به الشبهات،

(١) روح المعاني ٥/ ١٢٥-١٢٧ باختصار.

(٢) محاسن التأويل ٣/ ٣٨٩.

(٣) جامع الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين (١٦٠٤)، وسنن النسائي كتاب القود، باب القود بغير حديدة (٤٧٨٤). وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود (٢٦٤٥). وقال الألباني: إسناده صحيح، ينظر: إرواء الغليل ٥/ ٢٩-٣٠.

(٤) سنن النسائي، كتاب البيع، باب البيعة على فراق المشركين (٤٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.



ودين يدفع به الشهوات. وهو قول الحنفية والشافعية<sup>(١)</sup>.

**يقول الشيخ ابن باز:** «لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين أو الإقامة بين ظهرانيهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلته الشرعية يستطيع الدعوة إليه والذب عن الشبه التي ترد عليه ويقوم بأداء الواجبات الشرعية»<sup>(٢)</sup>.

وقد بشر الله المهاجرين في سبيل الله بقوله: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠]. «الحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان إنك كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفاً من أن تقع في المشقة والمحنة في السفر، فلا تخف فإن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير سبباً لرغم أنوف أعدائك، ويكون سبباً لسعة عيشك»<sup>(٣)</sup>.



## المطلب الخامس

### معالم منهجية من خلال هجرة الحبشة

اشتد البلاء على أصحاب رسول الله ﷺ وجعل الكفار يحسبونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع والعطش، ورمضاء مكة والنار؛ ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب في دينه وعصمه الله منهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي ١/٨٩، والأم للشافعي ٧/٣٦١.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ٤/١٩٨.

(٣) مفاتيح الغيب ١١/١٩٨.



من الله، ثم من عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: **(لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل لكم فرجا مما أنتم فيه)**، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام<sup>(١)</sup>.

**وقد وقعت أحداث كثيرة قبل وأثناء وبعد الهجرة وسأقف هنا فقط على بعض الوقفات لتكون بمثابة التنبيهات المنهجية للدعاة في ذلك، ومنها<sup>(٢)</sup>:**

### **المنهجية الأولى: أسباب الهجرة:**

وقد ذكر الباحثون أسباباً عديدة في سبب هجرة المسلمين إلى الحبشة، منها:

١- كثر الداخلون في الإسلام، وظهر الإيمان، وتحدث الناس به، قال الزهري في حديثه عن عروة في هجرة الحبشة: فلما كثر المسلمون، وظهر الإيمان فُتحت به، ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنونهم وأرادوا فتنهم عن دينهم فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به: **(تفرقوا في الأرض)** قالوا: فأين نذهب يا رسول الله، قال: **(ها هنا)** وأشار إلى أرض الحبشة<sup>(٣)</sup>.

٢- كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سبباً مهماً من أسباب هجرتهم للحبشة قال ابن إسحاق: «فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون، ص ٢٩٠.

(٢) ينظر: ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ص ١٩٠ وما بعدها.

(٣) المغازي النبوية، للزهري، تحقيق: سهيل زكار، ص ٩٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٩٨.



٣- نشر الدعوة خارج مكة، فقد كان الرسول ﷺ يبحث عن مكان آخر غير مكة، لحماية العقيدة وإيجاد الحرية لها، وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا هو السبب الأول والأهم للهجرة، والقول بأن المسلمين هاجروا للحبشة للنجاة بأنفسهم يحتاج لدليل، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنما هاجر رجال لهم ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين مثل غالبية المهاجرين.

٤- البحث عن مكان آمن للمسلمين، فقد كانت الخطة الأمنية للرسول ﷺ تستهدف الحفاظ على الصفوة المؤمنة؛ ولذلك رأى الرسول ﷺ أن الحبشة تعتبر مكاناً آمناً للمسلمين ريثما يشتد عود الإسلام وتهدأ العاصفة، وقد وجد المهاجرون في أرض الحبشة ما أمنهم وطمأنهم<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما ذكر يتبين أن الدعوة إلى الله عليهم أن يقوموا بالهجرة في سبيل الله إذا أغلقت أبواب الدعوة في بلدانهم، مع ما يصيبهم من الفتنة في دينهم والفتنة كذلك لمن يدعونهم، وكذلك الهجرة من أجل الدعوة إلى الله وعدم توقفها ومخاطبة الناس كلهم بها.

### المنهجية الثانية: شفقة الداعية على المدعويين:

شفقة هذا الرسول الكريم ﷺ على أصحابه ورحمته بهم، وحرصه الشديد للبحث عما فيه أمنهم وراحتهم، ولذلك أشار عليهم بالذهاب إلى الملك العادل الذي لا يُظلم أحد عنده، فكان الأمر كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فأمنوا في دينهم ونزلوا عنده في خير منزل<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: الهجرة في القرآن الكريم، ص ٣١٢.



فالرسول ﷺ هو الذي وجّه الأنظار إلى الحبشة وهو الذي اختار المكان الآمن لصحابته الذين هم الدعاة معه ومن بعده، كي يحمي الدعوة من الإبادة. وهذه تربية نبوية للدعاة إلى الله في كل عصر، أن يخططوا للدعوة بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة، فالدعاة إلى الله هم الثروة الحقيقية، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايتهم، دون أن يتم أي تفريط بأرواحهم وأمنهم، ومسلم واحد يعادل ما على الأرض من بشر خارجين عن دين الله وتوحيده<sup>(١)</sup>.

### المنهجية الثالثة: أهلية الداعية المهاجر لعرض رسالة الإسلام:

كانت الأهداف من هجرة الحبشة متعددة، ولذلك حرص النبي ﷺ على اختيار نوعيات معينة لتحقيق هذه الأهداف، كشرح قضية الإسلام وموقف قريش منه، وإقناع الرأي العام بعدالة قضية المسلمين<sup>(٢)</sup>.

ولذا لا بد لمن يهاجر في سبيل الله للدعوة إلى الله أن يكون عنده الأهلية لعرض رسالة الإسلام للبلد الذي سيكون فيه.

### المنهجية الرابعة: مشروعية الخروج عن الوطن إذا كان الخروج فراراً

بالدين وإن لم يكن إلى دار إسلام، فإن أهل الحبشة كانوا نصارى<sup>(٣)</sup>.

نعم إنهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار الكفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم، ورجاء أن يُخلى بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد، وأوذي على الحق مؤمن ورأى الباطل

(١) ينظر: التربية القيادية للغضبان (١/٣٣٣).

(٢) أضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع ص ٤٢٧.

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/٢٠٢.



قاهراً للحق ورجا أن يكون في بلد آخر، أي بلد كان، خلى بينه وبين دينه ويظهر فيه عبادة ربه فإن الخروج على هذا الوجه حق على المؤمن، هذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

### المنهجية الخامسة: يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين:

وذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي، إذ كان نصرانياً عندئذ، ولكنه أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة، وكأبي طالب عم رسول الله ﷺ والمطعم بن عدي الذي دخل الرسول ﷺ مكة في حمايته عندما رجع من الطائف<sup>(٢)</sup>.

وهذا مشروط -بحكم البداهة- بألا تستلزم مثل هذه الحماية إضراراً بالدعوة الإسلامية، أو تغييراً لبعض أحكام الدين، أو سكوتاً على اقتراف بعض المحرمات، وإلا لم يجوز على المسلم الدخول فيها، ودليل ذلك ما كان من فقهه ﷺ حينما طلب منه أبو طالب أن يبقى على نفسه ولا يحمله ما لا يطيق فلا يتحدث عن آلهة المشركين بسوء، فقد وطن نفسه إذ ذاك على الخروج من حماية عمه وأبى أن يسكت عن شيء مما يجب عليه بيانه وإيضاحه<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: الروض الأنف للسهيلى ٩٢/٢، والهجرة في القرآن الكريم ص ٣١٢.

(٢) الهجرة في القرآن الكريم ص ٣١٦.

(٣) ينظر: فقه السيرة للبوطي ص ١٢٦، الهجرة في القرآن الكريم ص ٣١٧.



# المبحث الثاني:

## فقه الفتن والموقف منها

ويتضمن أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** مفهوم الفتنة.

**المطلب الثاني:** أنواع الفتن وأسبابها.

**المطلب الثالث:** الموقف الصحيح من الفتن.

**المطلب الرابع:** مسألة القعود في الفتن.





## المبحث الثاني فقه الفتن والموقف منها

لا يشك داعية في خطورة الفتن وتشعب أنواعها وكثرة صورها لا سيما في عصرنا الحاضر، وليس أدل على ذلك من وصف المعصوم عليه السلام لها بقوله: **(فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ)**<sup>(١)</sup>.

**وصدق حذيفة رضي الله عنه حيث قال:** «إياكم والفتن، لا يشخص لها أحد، والله ما شخّص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدم»<sup>(٢)</sup>.

### وتظهر أهمية الحديث حول الفتن من جانبين:

**الأول:** خطورتها كما سلف.

**الثاني:** حصولها في كل زمان ومكان إذ لم يخلو عصر منها حتى زمان النبوة.

ومن خلال هذا المبحث نحاول تجلية معنى الفتنة، وأنواعها، وفقه العمل فيها.

**أي:** «الطريق الواضح المأمون الذي ينبغي على المسلم أن يسلكه في تعامله مع الفتن، وهذا الفقه يسلم من حملة وعمله به إن شاء الله من أن يكون سببا في فتنة أو في إيقاع عباد الله فيها، ويسلم من أن يكون من أهلها الواقعين فيها، بل يكون موفقا لمعرفة الصواب، مستنير القلب، مستبين الدرب»<sup>(٣)</sup>.

وبيان أثر ذلك على الداعية وأثر موقفه فيها في أربعة مطالب:

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨).

(٢) الفتن لنعيم بن حماد/ ١٤٠ / (٣٤٣)، المستدرک علی الصحیحین ٤ / ٤٩٥ (٨٣٨٥).

(٣) ينظر: فقه الفتن د. عبدالله شعبان ص ١٧.



## المطلب الأول

### مفهوم الفتنة

#### ﴿ أولاً: الفتنة لغة: ﴾

**جماع معنى الفتنة:** الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتننت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال، والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء، والفتنة: الإحراق بالنار، وقيل الفتنة: الظلم...<sup>(١)</sup>.

#### ﴿ ثانياً: الفتنة اصطلاحاً: ﴾

لها معاني كثيرة، أصولها:

- ١- «الخيرة والابتلاء».
  - ٢- ما اشتبه فيه الحق والصواب.
  - ٣- وما يتبين به حال الإنسان من الخير والشرّ.
  - ٤- واختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال.
  - ٥- ما يتميِّز بها المخلص من غير المخلص»<sup>(٢)</sup>.
- وقال ابن حجر:** الفتنة: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: لسان العرب ٣١٧/١٣.

(٢) التعريفات الفقهية ص ١٦٢.

(٣) ينظر: فتح الباري ٣١/١٣.



## المطلب الثاني

### أنواع الفتن وأسبابها

لا شك أن للفتن عدة أنواع وأسباب، وقد جمع ابن القيم بين أنواع الفتن وأسبابها وكيفية النجاة منها في كلام متين مركز في كتابه: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان هذا ملخصه<sup>(١)</sup>:

الفتنة نوعان: وقد يجتمعان للعبد. وقد ينفرد بإحدهما.

النوع الأول: فتنة الشبهات: وهي أعظم الفتنتين:

فتنة الشبهات من:

- ١- ضعف البصيرة.
- ٢- وقلة العلم.
- ٣- فساد القصد.
- ٤- حصول الهوى.

فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِن

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

### النجاة من فتنة الشبهات:

ولا يُنجى من هذه الفتنة إلا:

- ١- تجريد اتباع الرسول.

(١) ينظر: إغاثة اللهفان ٢/ ١٦٧ بتصرف واختصار.



٢- وتحكيمة في دق الدين وجلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه. فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنها بحسب ما فاته.

### وهذه الفتنة تنشأ:

- ١- تارة من فهم فاسد.
- ٢- وتارة من نقل كاذب.
- ٣- وتارة من حق ثابت خفى على الرجل فلم يظفر به.
- ٤- وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة.

### ﴿ النوع الثاني فتنة الشهوات: ﴾

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٩].

أي تمتعوا بنصيبيهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال وخضتم كالذي خاضوا فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

**فالأول:** هو الابتداع، هو فساد من جهة الشبهات، **والثاني:** فسق الأعمال وهو فساد من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون: «احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه»<sup>(١)</sup>.

### أصل الفتن وكيفية دفعها:

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل.

(١) ينظر: إغاثة اللفهان ١٦٧/٢ بتصرف واختصار.



**فالأول:** أصل فتنة الشبهة، **والثاني:** أصل فتنة الشهوة.

فتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَائِنَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وجمع بينهما أيضاً في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات. وبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة.



### المطلب الثالث

### الموقف الصحيح من الفتن

بعد أن عرفنا معنى الفتن وخطورها وأنواعها كان لزاماً على المسلم العاقل أن يبحث عن طريق النجاة منها أو سبيل العمل فيها عند حلولها، فجاء هذا المطلب ليضع معالم الطريق الصحيح عند حلول الفتن ووقوع المحن.

وبين يدي القارئ الكريم أهم الأصول الشرعية التي ينبغي للمسلم أن يعمل بها زمان الفتن لينجو من شراكها ويفر من شرارها<sup>(١)</sup>:

(١) ينظر: فقه الفتن للرحيلي ص ١٩ وما بعدها، ومعالم في أوقات الفتن والنوازل للسدحان ص ٦ وما بعدها، وللإستزادة ينظر: موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة د. حسين الحازمي، موقف المؤمن من الفتن في ضوء حديث عبدالله بن عمرو د. نوال العيد، وموقف المسلم من الفتن د. محمد بن سالم بزمول، والصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرط الساعة للشيخ مصطفى العدوي، والفتن وموقف المسلم منها د. علي الضويحي.



### ➤ أولاً: لزوم السنة:

فسنة نبينا هي المبينة والمرشدة والهادية إلى سواء الصراط بعد كتاب الله تعالى، ولذلك صح عن نبينا قوله: **(إني قد خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً كتاب الله وستي)**<sup>(١)</sup>.

### ➤ ثانياً: الحرص على العلم والفرار من الجهل:

فالعلم من أعظم أسباب زيادة الإيمان، فالمسلم العالم لا يؤثر محبة وفعل ما يضره ويشقى به ويتألم به على ما فيه نفعه وفلاحه وصلاحه، أما الجاهل فإنه لفرط جهله وقلة علمه فإنه قد يؤثر مثل هذه الأشياء على ما فيه فلاحه وصلاحه، وذلك لانقلاب الموازين عنده ولضعف التصور فيه، فالعلم أصل لكل خير، والجهل أصل لكل شر.

### ➤ ثالثاً: لزوم العلماء:

**فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:** «من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

**وأيضا لما في ملازمتهم من الخير، وعن أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:** «إن من سعادة الحدث -أي الصغير في السن- والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة»<sup>(٣)</sup>.

**وعن يوسف بن أسباط قَالَ:** «كان أبي قدرياً وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان»<sup>(٤)</sup>.

(١) مسند البزار ٣٨٥ / ١٥ / (٨٩٩٣)، والمستدرک علی الصحیحین ١ / ١٧٢ / (٣١٩) بلفظ: **(إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُتِّي)**، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١ / ٥٦٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١ / ١٢٧.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٦٦.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٦٧.





### رابعاً: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

وهذا أحد الأسس التي قامت عليها عقيدة أهل السنة والجماعة امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر نبيه ﷺ فقد استفاضت الأدلة من كتاب الله ﷻ ومن سنة نبيه ﷺ على وجوب لزوم الجماعة والحذر من التفرق وما يؤدي إليه مهما كان نوعه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي الحديث: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشرکوا به شيئاً، وأن تعتمسوا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)<sup>(١)</sup>.

### خامساً: لزوم الكبار وتجنب ما ينضرد به الصغار:

في الحديث: (البركة مع أكابرکم)<sup>(٢)</sup>، وهم نوعان:

**النوع الأول: أكابر في العلم:** كبرهم علمهم بالكتاب والسنة وإن كانوا صغار السن، فالبركة معهم، فحيثما وجدت عالماً بالكتاب والسنة يعلم الكتاب والسنة، ويعلم منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم-؛ فاعلم أنه كبير. ثم هؤلاء العلماء البركة مع الكبار منهم، فكل من دعا إلى الكتاب والسنة صادقاً -وعلامه الصدق منهج السلف- فهم كبار، ثم هؤلاء الكبار يتفاضلون بحسب سنهم وعلمهم.

**والنوع الثاني الأكابر في السن:** ولو لم يكن عندهم علم، وهؤلاء معهم البركة،

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه (١٧١٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١٩١٢) المُستدرک على الصحيحين ١/٦٢، قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، قال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٧): وهو كما قال.



ومعهم الخير، فإنهم إن فاتهم العلم الشرعي لم تفتهم الحكمة التي تعلموها من الدنيا.

### ➤ **سادساً: الحذر من التلون والتغير وقت الفتن:**

فلقد صدق الصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه - وهو صادق في نصحه - دخل أبو مسعود على حذيفة فقال له: أعهد إلي؛ فقال له: ألم يأتك اليقين! قال: بلى وعزة ربي، قال: فاعلم أن الضلالة حق الضلالة: أن تعرف ما كنت تنكره، وأن تنكر ما كنت تعرفه، وإياك والتلون فإن دين الله واحد<sup>(١)</sup>.

### ➤ **سابعاً: قبول الحق من كل أحد ولو كان بعيداً بغيضاً، ورد الباطل من**

### **كل أحد ولو كان قريباً حبيباً:**

الحق يقبل لكونه موافقاً للدليل، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه، ولهذا كان أهل السنة يقبلون ما عند جميع الطوائف من الحق، ويردون ما عندها من الباطل، بغض النظر عن الموالي منها أو المعادي، ولما دل الشيطان أبا هريرة رضي الله عنه إلى آية الكرسي لتكون له حرزاً من الشيطان، وذلك مقابل فكه من الأسر، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (صدقك وهو كذوب)<sup>(٢)</sup>.

### ➤ **ثامناً: الحذر من التوسع في شأن الرؤيا والعمل بها خاصة وقت الفتن:**

إن مما يلحظ في زمن الفتن والنوازل الإكثار من الحديث عن الرؤى المنامية وانتشار خبرها ومسارعة الألسنة في بثها وسرعة تلقف الأذان لها حتى أصبح الحديث عنها أكثر من الحديث عن النصوص الشرعية قرآنية كانت أو نبوية، وهذا طريق جهل وضلال.

### ➤ **تاسعاً: حفظ اللسان وقلة الكلام في الفتن:**

فيجب الإمساك والكف عن الخوض فيما لا علم للعبد به وليتذكر نهى الله لنبيه:

(١) جامع معمر بن راشد ١١/٢٤٩، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/٧٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٢٣٧٥).



﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

[الإسراء: ٣٦]، فإذا كان هذا في مقام النبي ﷺ فكيف بالصحابة ومن دونهم في الفضل والعلم فعلى العبد أن يمسك لسانه وقلمه وبخاصة في إطلاق الأحكام في مسائل التكفير والتبديع والحل والحظر لما فيها من الخطورة، وألا فليتق الله تعالى من أطلق لسانه وقلمه العنان فأخذ يخوض في شرع الله ما لا علم له به.

### عاشراً: عدم اتباع العواطف في الفتنة:

فبعض الناس بدافع الغيرة والإصلاح ما أن تقوم الفتنة بل أن تلوح بوادرها في الأفق حتى يسارع في إقحام نفسه بالتدخل فيها دون سؤال أحد بل بدافع العاطفة والعجلة وينبني على هذه العجلة من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومما أثر عن بعض العلماء المعاصرين قوله: «العاطفة إذا لم تضبط بالعلم تنقلب لعاصفة»، وقد صدق ﷺ.



## المطلب الرابع

### مسألة القعود في الفتنة

ورد بعض الأحاديث عن النبي ﷺ وآثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم مؤداها اعتزال الفتنة والقتال الواقع بين المسلمين، كما ورد بعض النصوص الدالة على قتال أهل البغي، ونصرة الحق، والأخذ على يد السفية، ونصر المظلوم، وجمعاً بين النصوص سلك العلماء مسلكاً في توجيه النصوص الواردة في اعتزال القتال الواقع بين المسلمين.



**وجملة أقوالهم تدل على أن اعتزال الفتنة والقتال يكون في ثلاثة أحوال:**

◆ **الحالة الأولى:** العجز عن نصره المحق على المبطل.

◆ **الحالة الثانية:** عند التباس الحق بالباطل وصعوبة التمييز بين أولى

الطائفتين بالحق.

**قال ابن حجر نقلاً عن الطبري:** «والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها»<sup>(١)</sup>.

**وقال فخر الدين الزيلعي:** «وما روي عن ابن عمر مع جماعة من الصحابة من القعود عن الفتنة محمول على أنهم كانوا عاجزين»<sup>(٢)</sup>.

**وقال الحافظ ابن حجر:** «ذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق»<sup>(٣)</sup>.

◆ **الحالة الثالثة:** إذا كان القتال على الملك وغيره من أمور الدنيا،

**وكل طائفة ملتزمة بتحكيم الشرائع:**

فالواجب حينئذ اعتزال القتال لأنه ليس على أمور الدين، وكل الطائفتين إن غلب كان ملتزماً لشرائع الله.

**قال شيخ الإسلام:** وقد ثبت عن النبي ﷺ من كراهة القتال في الفتن والتحذير منها

(١) فتح الباري ١٣ / ٣١.

(٢) تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق ٣ / ٢٩٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٣ / ٣٤.



من الأحاديث الصحيحة ما ليس هذا موضعه كقوله: (ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ، أو معاذاً، فليعذب به)<sup>(١)</sup>، وقال: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)<sup>(٢)</sup>.

فالفتن مثل الحروب التي تكون بين ملوك المسلمين وطوائف المسلمين مع أن كل واحدة من الطائفتين ملتزمة لشرائع الإسلام، مثل ما كان أهل الجمل وصفين؛ وإنما اقتتلوا لشبهه وأمور عرضت، وأما قتال الخوارج ومانعي الزكاة وأهل الطائف الذين لم يكونوا يحرمون الربا فهؤلاء يقاتلون حتى يدخلوا في الشرائع الثابتة عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

**وأما نصرة الحق، والأخذ على يد الظالم، ونصر المظلوم فهذا من واجبات الدين ومذهب جمهور السلف والفقهاء :**

قال أبو نعيم الأصبهاني: عن سعيد بن زيد: أن النبي ﷺ، قال: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد)<sup>(٤)</sup> فجعل ﷺ القتال في الدفع عن النفس والمال والأهل شهادة.

وحرّم يوم حجة الوداع فقال: (دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم، هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)<sup>(٥)</sup>، فسوى ﷺ في الدماء والأموال والأعراض

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (٧٠٨١)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (١٩).

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) جامع الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد (١٤٢١) وقال: حسن صحيح، وسنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه (٤٠٩٥) وصححه الألباني.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٤١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨).



في التحريم. فإذا كان له أن يقاتل عن نفسه فكذلك يباح له أن يقاتل عن ماله وعرضه، وإنما نهى رسول الله ﷺ أن يقتلوا بعده على التقاطع والتدابير والتباغض على الدنيا وإعظام أمرها والملك فيها. فأما ما كان على الدين فلم ينههم رسول الله ﷺ عن ذلك، ألا ترى أن رسول الله ﷺ أمر بقتال أهل البغي بعد أن أذن الله فيه، وأهل البغي مسلمون. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] الآية.

فلو ترك المسلمون قتال أهل البغي لكان فيه إبطال فريضة من فرائض الله تعالى<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن حجر نقلاً عن الطبري:** «لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل، وكسر السيوف لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات؛ من أخذ الأموال، وسفك الدماء، وسي الحریم، بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم، بأن يقولوا: هذه فتنة، وقد نهينا عن القتال فيها! وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء»<sup>(٢)</sup>.



(١) تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة ص ٣٦٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٣/٣٤.

## المبحث الثالث:

### سنن النصر والتمكين ومناهجه

ويتضمن ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** مقومات النصر والتمكين.

**المطلب الثاني:** لماذا يتأخر النصر والتغيير.

**المطلب الثالث:** المنهج القويم في النصر والتمكين.







## المبحث الثالث سنن النصر والتمكين ومناهجه

لله سبحانه في كونه سنناً عديدة فاز من عرفها، وأفلح من فهمها، ومن هذه السنن العظيمة سنة النصر والتمكين، وأحوج الناس إلى معرفة هذه السنة وفتحها وإدراكها - إدراكاً تاماً- هم الدعاة إلى الله تعالى، كيف لا؟ وهم جنود الحق وأنصاره وأتباعه، ولما كان الأمر كذلك أحببت أن أبين هذه السنة وأجلي شيئاً من فتحها، والله أسأل أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويعز عباده الصالحين.

فالحق والباطل ضدان يتدافعان، فكل حق ضده باطل، وكل باطل ضده حق ولا يجتمع الضدان، والتدافع بينهما يعني محاولة غلبة كل منهما للآخر، وهذا يتمثل بمدافعة أصحابهما لأنهما اللذان يحملانها.

وهذا التدافع أمر لا بد من وقوعه فلا يمكن بقاء أحدهما إلا ويغالبه الآخر، يقول تعالى مقررأ هذه السنة الكونية: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ويقرر سبحانه أنه مع الحق وأهله ناصراً ومؤيداً فيقول: ﴿وَمَمَّحَ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُجِئُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤]، ويقول سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإيراز هذا الجانب وفتحها مهم جداً للدعاة، نبرزه من في ثلاثة مطالب:



## المطلب الأول

### مقومات النصر والتمكين

ولعل سائلاً يسأل بعد كل هذه الآيات البيّنات التي توضح أن العاقبة للحق وأهله: ما هي العوامل التي إن عمل بها تحققت هذه العاقبة وحصل هذا النصر الموعود؟ هناك عوامل كثيرة ذكرها الله تعالى في كتابه، في آيات كثيرة من كتاب الله، ولكن يجمعها ما ذكر الله في موضوعين:

#### ١- الموضوع الأول: في سورة الأنفال:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَتَزَعَوْا فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿ [الأنفال: ٤٥ - ٤٧].

#### ٢- الموضوع الثاني في سورة النور:

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ [النور: ٥٥].

وهنا أكد الله تعالى على الإيمان والعمل الصالح ودوره في النصر والتمكين للدين والاستخلاف في الأرض.

وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

#### أولاً: الإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الروم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ



مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأفال: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

### ٢ ثانياً: نصر دين الله تعالى :

قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَٰجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَكَ ٱللَّهُ مَن يَنْصُرْهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

«فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا -مغرورون- لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يخفى - ومعنى نصر المؤمنين لله نصرهم لدينه وكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمثل أوامره وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ» (١).

### ٢ ثالثاً: التوكل على الله والأخذ بالأسباب بالضوابط الشرعية :

قال سبحانه: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ ٱللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَىٰ ٱللَّهِ فليَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

(١) أضواء البيان ٧/ ٢٥٢.



ويقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ  
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأَنْفَال: ٦٠].

وهكذا كل حق يحتاج إلى مباشرة أسبابه، فالدعوة تحتاج توكل على الله تعالى،  
وإلى العلم، وإلى الإمكانيات المادية المناسبة بما يقيم شأنها فلا يتصور -مثلاً- عمل  
مشروع دعوي يراد به نفع الآخرين بدون عمل الأسباب الممكنة المؤدية إلى نجاحه،  
كما هو الشأن في جميع شؤون الحياة.

### ﴿ رابعاً: تقوى الله سبحانه وتعالى بفعل أو امره، واجتناب نواهيته: ﴾

فتقوى الله تعالى سبب كل خير ودفع كل شر، قال تعالى في شأن العلم: ﴿وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ  
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأَنْفَال: ٢٩]، وقال تعالى في بيان  
شيء من تفضل الله تعالى على المسلمين في غزوة بدر: ﴿بَلِّغْ إِن تَاصِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم  
مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

### ﴿ خامساً: الصبر: ﴾

فبدون الصبر تتخلف النتائج الإيجابية، وتضعف، ويحصل الاستعجال، وتكون  
العواقب وخيمة، وقد جاء ذكر الصبر في القرآن الكريم كثيراً لعظم هذه السمة وعظم أثرها،  
وبناء على ذلك فلا ينتصر أصحاب الحق بدون صبر ومصابرة قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا ءَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٦١) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا



وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَانْتَهَمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

وقال ﷺ: (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً) <sup>(١)</sup>.

#### ❖ سادساً: اليقين بنصر الله :

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مَن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَمَسِّرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ ﴿١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

#### ❖ سابعاً: الثبات على الحق والتواصي على ذلك :

فمن عوامل النصر الثبات عند اللقاء وعدم الانهزام والفرار، وقال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّدُوا بِالَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقد ثبت النبي ﷺ في جميع معاركه التي خاضها، كما فعل في بدر، وأحد وحنين. وكان يقول في حنين حينما ثبت وتراجع بعض المسلمين: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن

(١) مسند أحمد ٥/ ١٨ (٢٨٠٣) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.



عبد المطلب. اللهم نزل نصرك<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: (يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني عدم الاضطراب في الإيمان بالحق، أو العمل به، أو التردد، أو عدم الاستقرار على منهج واضح يسير عليه صاحب الحق.. كل هذه من نوافي الثبات وزعزعة صاحب الحق وإضعافه.

### ❖ ثامناً: الإكثار من الدعاء ومن ذكر الله تعالى:

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فمن ذكر الله تعالى ذكره الله وأيده وأعانه، وأحاطه بعنايته ورعايته، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فالذكر من أسباب الثبات وهو عبادة مستقلة كذلك. ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به، فينصره ويمدّه بجنوده، ومن ذلك أنه نظر ﷺ يوم بدر إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ورفع يديه واستغاث بالله، وما زال يطلب المدد من الله وحده ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: «يا نبي الله كفأك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة (٢٩٣٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (١٧٧٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).



[الأَنْفَال: ٩]. فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان ﷺ يدعو الله في جميع معاركه، ومن ذلك قوله: (اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ مُجْرِي السَّحَابِ هَازِمَ الْأَحْزَابِ أَهْزَمَ الْأَحْزَابِ. اللَّهُمَّ أَهْزَمِهِمْ وَزَلْزَلِهِمْ، وَانصَرْنَا عَلَيْهِمْ)<sup>(٢)</sup>، وكان يقول عند لقاء العدو: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحْوَلُ، وَبِكَ أَصْوَلُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ)<sup>(٣)</sup>، وكان إذا خاف قوماً قال: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نَحْوِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِمْ)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قال له الناس: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»<sup>(٥)</sup>، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة والمجاهدون في سبيل الله تعالى لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم.

### ❧ تاسعاً: طاعة الله ورسوله:

قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٤٦].

طاعة الله ورسوله من التنبهات التي لا بد منها في المعركة بين الحق والباطل..

- (١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (١٧٦٣).
- (٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استخ، باب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو (١٧٤٢).
- (٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء (٢٦٣٢)، وجامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٢٣٦٦).
- (٤) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا خاف قوماً (١٥٣٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٧٥).
- (٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، (٤٥٦٣).



طاعة قلبية وشرعية وإدارية، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم - مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة - فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات التلقي والتوجيه ويكون الهوى المطاع هو الذي يوجهه.

فطاعة الله ورسوله من أقوى دعائم وعوامل النصر، فيجب على كل داعية ومجاهد في سبيل الله تعالى بل على كل مسلم أن لا يعصي الله طرفة عين، فما أمر الله تعالى به وجب الائتمار به، وما نهى عنه تعالى وجب الابتعاد عنه.

### ❏ عاشرًا: عدم التنازع؛

يجب على الدعاة أن يُحَقِّقُوا عوامل النصر، ولا سيما الاعتصام بالله والتكاتف، وعدم النزاع والافتراق، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. «وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل لأنه يثير التخاصم، ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر؛ فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلقاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم؛ فيتمكن منهم العدو»<sup>(١)</sup>.

وبين تعالى أن من أسباب الهزيمة في أحد هو التنازع قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ؛ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. قال ابن القيم: «عرفهم بسوء عاقبة المعصية والفشل

(١) التحرير والتنوير ١٠ / ٣١.





والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك.. فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة، وتحرزاً من أسباب الخذلان»<sup>(١)</sup>.

### ❏ الحادي عشر: الإخلاص لله تعالى والحذر من الدنيا:

لا يكون المقاتل والغازي مجاهداً في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧] أي: «فليكن قصدكم في خروجكم: وجه الله تعالى، وإعلاء دين الله، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنت النعيم»<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل للذكر<sup>(٣)</sup>، والرجل يُقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)<sup>(٤)</sup>.

وقد ثبت عنه ﷺ أن أول من يُقضى عليه يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم من قاتل ليُقَاتل: (هو جريء أي شجاع)<sup>(٥)</sup>.

وبين الله تعال أن من أسباب الهزيمة في أحد هو إرادة الدنيا من بعض

(١) زاد المعاد ٣/١٩٦ باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٣.

(٣) أي ليذكر بين الناس ويشتهر بالشجاعة. ينظر: فتح الباري، ٦/٢٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٢٨١٠)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (١٩٠٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٩٠٥).



الصحابة رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].



## المطلب الثاني

### لماذا يتأخر النصر والتغيير

لسائل أن يسأل: أليس هذا دين الله تعالى، لماذا يتأخر النصر والتغيير، ويطول زمن التدافع بين الحق والباطل.

**وللإجابة على هذا السؤال يقال<sup>(١)</sup>:**

لقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم كي يتم نضجهم في أثناء المعركة، فالبنية تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها عندما تواجه الخطر - وهي تدفع وتدافع - لتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهياة له من الكمال.

والأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ، واحتشاد كل قواها، كي يتم نموها، ويكمل نضجها، وتتهيأ لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها.

**فالنصر السريع السهل، يسهل فقدانه:**

**أولاً:** لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة، **وثانياً:** لأن الذين نالوه لم تشحذ طاقاتهم، لكسبه، وبالتالي لم يتدربوا على الاحتفاظ به، والدفاع عنه.

(١) مقال: عوامل النصر والهزيمة في ضوء القرآن الكريم، د. أنور صالح أبو زيد، منشور على موقع الألوكة، باختصار وتصرف.



وهناك التربية النفسية والعملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة، من التقدم والتأخر، والقوة والضعف، والأمل والألم. والفرح والغم، ومن الاطمئنان والقلق، الشعور بالضعف والشعور بالقوة.. والتجمع في العقيدة، والتعاون والتنسيق في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها، وكشف نقط الضعف ونقط القوة، وتدبير الأمور في جميع الحالات، وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس.

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم أنفسهم، ولم يجعله يهبط عليهم من السماء بلا عناء.

والنصر قد يتأخر على الذين ظلموا ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠] فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريد بها الله. ومن ذلك:

قد يتأخر النصر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات. فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً! وقد يتأخر النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً، لا تبذله هيناً رخيصاً في سبيل الله.

وقد يتأخر النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر. إنما يتنزل النصر من عند الله عند ما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكفل الأمر بعدها إلى الله.

وقد يتأخر النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله، ولا متوجهاً إلا إليه وحده في الضراء. وهذه الصلة هي الضمانة



الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عند ما يتأذن به الله، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله.

وقد يتأخر النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته، فهي تقاتل لمغنم تحققة، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها. والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلبسه. وقد سئل رسول الله ﷺ الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى. فأبها في سبيل الله. فقال: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**<sup>(١)</sup>.

كما قد يتأخر النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصاً، ويذهب وحده هالكاً، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار!

وقد يتأخر النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفة للناس تماماً. فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضروره زواله فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية!

وقد يتأخر النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة. فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار. فيظل الصراع قائماً حتى تنهياً النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر، ولاستبقائه!

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سأل، وهو قائم، عالماً جالساً (١٢٣)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (١٩٠٤).



من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطئ النصر، فتضاعف التضحيات، وتضاعف الآلام. مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية. مع التنبيه أن للنصر تكاليفه وأعبأؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه.



### المطلب الثالث

## المنهج القويم في النصر والتمكين

**يوجد اتجاهات كثيرة معاصرة تسعى للنصر والتمكين لهذا الدين<sup>(١)</sup> :**

فمنهم من يرى التغيير من خلال الانتخابات البرلمانية والأنظمة الديمقراطية والاستفادة منها لتحقيق التمكين لهذا الدين<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من يرى حتمية المواجهة العسكرية، والإنكار والتغير بالقوة، والخروج على الحكام<sup>(٣)</sup>.

ومنهم من يرى التركيز على العمل الفردي في الدعوة والتربية على العبادة والذكر وفضائل الأعمال ويرى الجميع منهم أن انتشار الأفراد الصالحين في مجتمع كفيل بإصلاحه تلقائياً.

(١) استفدت مادة المطلب من: سنن التدافع، بحث في موقع طريق الإسلام، وبحث السلفية ومناهج التغيير، د. ياسر برهامي، وسنة التدافع في ضوء القرآن الكريم. د. خالد بن موسى الزهراني. رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، فقه النصر والتمكين في القرآن د. علي الصلابي.

(٢) هذا الأمر محل اجتهاد بين العلماء تم الحديث عنه في موضعين الأول عند الحديث عن تحكيم الشريعة في الفصل الأول، وعند الحديث عن الدعاة والعمل السياسي في الفصل الثاني.

(٣) سبق الحديث عن الجهاد وأحكامه ودرجات تغيير المنكر عند الحديث عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفصل الثاني، وعند الإنكار على الحكام.



وفي الحقيقة أن المنهج الصحيح للنصر والتمكين وسط بين كل ما ذكر ولذا فهو:  
**منهج شامل ومتكامل**، يراعي السنن والأولويات، والتدرج والمرحلية والوسطية والتيسير، ويرعي كذلك الأحوال والزمان والمخاطبين.

**منهج وسط** بين العجلة والتسويق، والإفراط والتفريط، والسرية والجهرية.  
**منهج يجمع** بين العمل الجماعي والفردى والمؤسسى، ويجمع كذلك بين الوسائل والأساليب المناسبة، ويجمع ولا يفرق.

**منهج يراعى** الثواب والمتغيرات، والمصالح والمفاسد.  
**منهج ينطلق** من الغايات ولا ينظر للتأخر وإنما ينشغل بالعمل ولا ينتظر الثمرة انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

**منهج فيه الدعوة** إلى الإيمان كاملاً وأولاً ودائماً، الدعوة إلى الإيمان بمعانيه وأركانها كلها، من معرفة الله بأسمائه وصفاته والتعبد له بها وتوحيد الربوبية والألوهية والكفر بالطاغوت ومحاربة الشرك في كل صورته القديمة والحديثة من شرك القبور والخرافات وشرك الحكم والولاء وغير ذلك، وكذا الإيمان بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقضاء والقدر، وما يتبع ذلك من قضايا الاعتقاد في الصحابة ومسائل الإيمان والكفر.

**منهج يقوم** على تحقيق الاتباع للسنة ومحاربة البدعة، وتقرير مناهج الاستدلال وتحقيق التزكية عبادة وخلقاً ومعاملة والسير في طريق الدعوة وإقامة الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، كل هذا على وفق منهج أهل السنة والجماعة إجمالاً وتفصيلاً.



**منهج يقوم** على إيجاد الطائفة المؤمنة الملتزمة بالإسلام، المجتمعة على إقامة فروض الكفاية المضیعة، والساعية في نفس الوقت لتحصيل أسباب القدرة فيما تعجز عنه في الحال -تحديثاً للنفس به وحباً للخير وحرصاً عليه ونصيحة للمسلمين واهتماماً بشأنهم.

وأما نهاية المطاف وكيف تقام دولة الإسلام بعد ذلك فنحن لا نوجب على الله أمراً معيناً نعتقد حتميته ولزومه وأنه لا سبيل سواه، بل قد قص الله علينا من قصص أنبيائه ورسله من آمن قومه كلهم بدعوته بالحكمة والبيان، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصفات: ١٤٧، ١٤٨]. ومنهم من نصره الله بإهلاك أعدائه بقارعة من عنده أو بأيدي الرسل وأتباعهم.

وقد جعل سبحانه وتعالى في سيرة نبينا ﷺ هذه الأمور أيضاً، ففتح الله عليه المدينة بالقرآن، وكذا فتح عليه البحرين واليمن وكثيراً من جزيرة العرب، كما فتح عليه مكة بالسنان، وفتح على أصحابه العراق وما وراءه والشام ومصر وغيرها بالسنان كذلك، وله الحمد سبحانه على كل حال.

فالتمكن منة من الله ووعد غايته تحقيق العبودية لله -للفرد وللأمة- والأخذ بالأسباب المقدورة لنا واجب علينا والنصر من عند الله لا بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].





## المبحث الرابع:

### فقه التمييز والتمايز في الدعوة

ويتضمن خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** سنة التمييز بين الحق والباطل.

**المطلب الثاني:** التمييز والتمايز في دعوة الأنبياء.

**المطلب الثالث:** خطاب الله تعالى للنبي ﷺ بالتمييز والتمايز

في الدعوة.

**المطلب الرابع:** التمييز والتمايز في التلقي.

**المطلب الخامس:** تطبيق النبي ﷺ للتمييز والتمايز في الدعوة.





## المبحث الرابع فقه التميز والتمايز في الدعوة

منذ أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض والناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها، مائلة عن الشرك، مستمسكة بالتوحيد، حتى أغوى الشيطان كثيراً منهم فمالوا إلى الشرك، وتمايز الناس.

وهذا الأمر لا بد أن يعيه الدعاة جيداً حتى لا يحصل التميع في أمر الدعوة والبيان ومعرفة الحق من الباطل والخير من الشر والطيب من الخبيث.  
وبيان هذا الأمر في خمسة مطالب:

### المطلب الأول

#### سنة التمييز بين الحق والباطل

ثم أرسل الله الرسل يدعون أقوامهم إلى التوحيد، وينذرونهم الشرك، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].



فهكذا كان مبعث الأنبياء والمرسلين فرقاناً بين الحق والباطل؛ بين التوحيد والشرك؛ بين المؤمنين والكافرين، فتمايز الناس تمايزاً عظيماً، وصاروا فسطاطين: فسطاط إيمان، وفسطاط كفر، قال تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

وأكرم الله أهل طاعته وميزهم عن أهل معصيته، فوعدهم جنته في الآخرة، وحياة كريمة في الدنيا، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار)<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهذا التمييز الذي ميز الله به عباده المسلمين؛ لأنهم آمنوا به سبحانه، وصدقوا رسله واتبعوه، فحققوا الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها؛ وهي: توحيد وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبين الله تعالى أنه خلق الخلق فمنهم كافر ومنهم مؤمن، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

ومن هنا كان التمايز والمفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وترتب على ذلك أحكام وعبادات؛ كالولاء والبراء، والجهاد، والنصرة، والاستعانة، واتخاذ البطانة، والصلح، والأمان، والذمة، والعهد... وغير ذلك من أحكام وعبادات متعلقة بقضايا الإيمان والكفر، والمفاصلة بين المؤمن والكافر.



(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار (٩٣).



## المطلب الثاني

### التمييز والتمايز في دعوة الأنبياء ﷺ

كانت تلك المفاصلة واضحة جلية في دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وتعليم الله لهم، ولم يتعارض ذلك مع دعوتهم لأقوامهم، وشفقتهم عليهم، وحرصهم على إيمانهم؛ لأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أدركوا حقيقة الإيمان والكفر، وأنهما ضدان لا يجتمعان، بل ولا يلتقيان، وأن أهل الكفر في نار جهنم خالدون فيها أبداً ما لم يؤمنوا بالله وحده، ودعوتهم وهدايتهم واجبة لدلالة حائريهم على طريق الله سبحانه، وإقامة الحججة على معانديهم، من غير تنازل ولا مداهنة، ولا مخالطة تضيع معها المفاصلة.

قال تعالى حين سأل نوح ﷺ مستفهماً عن حكمة الله في غرق ابنه مع أنه من أهله الذين وعده الله نجاتهم، قال: ﴿ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦].

**أي:** ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الذين وعدت إنجاءهم؛ لأنني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك؛ ولهذا قال: ﴿ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ [هود: ٤٠]، فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً ﷺ<sup>(١)</sup>.

فبين الله له أنه ليس من أهله الذين آمنوا به، ولم يستحق بذلك النجاة، ولم ينفعه كونه من أهله ما لم يؤمن.

وأهلك الله امرأة لوط مع من كتب عليهم العذاب من قومه الذين كفروا، وأمره

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٥.



بتركها ومفاصلتها لما لم تؤمن بالله وحده، فامتثل لأمر ربه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا  
أَنَّجَاكَ رَبُّكَ مِنَ الْقُرُونِ وَصَافَكَ بِهِمْ دَرَعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ  
إِلَّا أَمْرًا تَكَّ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ  
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٣، ٣٤].

وقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه عندما تبين له أنه عدو لله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ  
أَسْتَغْفَارُ إِبرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَلََمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ  
إِبرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

إن هذه المفاصلة في ديننا واضحة جلية، أمر بها الإسلام في العبادة، وفي التشبه،  
وفي الشكل والملبس، وفي الخلطة والعمل، وغير ذلك من أعمال الدنيا والآخرة.



### المطلب الثالث

#### خطاب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بالتميز والتمايز في الدعوة

قال تعالى أمرأ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن هذه المفاصلة واضحة كالشمس في رابعة النهار:  
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا  
عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦] وهكذا  
يوحى مطلع السورة وافتتاح الخطاب، بحقيقة الانفصال الذي لا يرحى معه اتصال!  
فالغرض الذي اشتملت عليه السورة هو: تبييس للكفار من أن يوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم  
في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال، وأن دين



الإسلام لا يخالط شيئاً من دين الشرك<sup>(١)</sup>، فهذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه<sup>(٢)</sup>.

فقد كان المشركون عرضوا على الرسول ﷺ أن يعبدوا الله سنةً، على أن يعبد نبي الله ﷺ آلهتهم سنةً، فأنزّل الله هذه السورة.

فروى أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمّية بن خلف، لقوا رسول الله، فقالوا: يا محمد، هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شرّكناك فيه، وأخذنا بحظنا منه - وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك، كنت قد شرّكتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك. فأنزّل الله: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ حتى انقضت السورة<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكر آلهتنا بسوء، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ٦٤ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].<sup>(٤)</sup>

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٨٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٥٠٧ بتصرف.

(٣) جامع البيان ٢٤/ ٧٠٤، الدر المنثور ١٥/ ٧١٢.

(٤) جامع البيان ٢٤/ ٧٠٤، والطبراني في الصغير ١/ ٢٦٥، وينظر: الدر المنثور ١٥/ ٧١١، وضعّف ابن

حجر إسناده في الفتح ٨/ ٧٣٣.



فقوله: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي أن عبادتي غير عبادتكم، ومعبودي غير معبودكم، فيقول الله لنبيه محمد ﷺ تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً<sup>(١)</sup>.  
وأكد الله هذا بقوله: ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ فيدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ و﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وهذا التكرار لتوكيد الفقرة الثانية. كي لا تبقي مظنة ولا شبهة، ولا مجالاً لمظنة أو شبهة بعد هذا التوكيد المعزز بكل وسائل التكرار والتوكيد.

ثم قال تعالى في ختام السورة: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ ﴾ كما قال تعالى موجهاً نبيه ﷺ في التعامل مع المعاندين منهم: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٤١].

وقال في صفة عباده من اتباع المرسلين عليهم الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذَا سَكَعُوا النَّعْمَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِيْ الْجَهْلِيْنَ ﴾ [القصص ٥٥].  
إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر ولا يلتقيان:

**فالتوحيد منهج** يتجه بالإنسان كله إلى الله وحده لا شريك له، ويحدد المنهج الذي يتلقى منه الإنسان؛ عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، هذا المنهج هو التلقي عن الله، وحده بلا شريك. ومن ثمَّ تقوم الحياة كلها على هذا الأساس، غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صور الظاهرة والخفية.

إن التصورات الشركية تتلبس بتصورات الإيمان فيمن عرف العقيدة ثم

انحرف عنها.

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.





إن الكفر كفرٌ. والإسلام إسلام. والفارق بينهما بعيد. والسبيل هو الخروج عن الكفر بجملته إلى الإسلام بجملته. الانسلاخ من الكفر بكل ما فيه والدخول في الإسلام بكل ما فيه. فلا ترقيع، ولا التقاء في منتصف الطريق في قضية التوحيد، مهما تزين الشرك ببعض ما في الإسلام من محاسن وأخلاق.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ فديني هو التوحيد الخالص، الذي يتلقى ويتوجه، في عقيدته وشريعته كلها من الله دون شريك في كل نواحي الحياة والسلوك.

وبغير هذه الخاتمة في تلك السورة ستبقى المداهنة ويبقى اللبس، والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس على المداهنة واللبس وعدم الوضوح، إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح<sup>(١)</sup>.

ثم إن النبي ﷺ وضع للمسلمين مبدأ مخالفة غيرهم والتميز عليهم فقال: (من تشبه بقوم فهو منهم)<sup>(٢)</sup>، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٤].

**قال شيخ الإسلام:** «وهذه السورة يؤمر بها كل مسلم وإن كان قد أشرك بالله قبل قراءتها. فهو يتبرأ في الحاضر والمستقبل مما يعبده المشركون في أي زمان كان، وينفي جواز عبادته لمعبودهم، ويبين أن مثل هذا لا يكون ولا يصلح ولا يسوغ. فهو ينفي جوازه شرعاً ووقوعاً»<sup>(٣)</sup>.



(١) يراجع كتاب إبطال نظرية الخلط بين الأديان د. بكر أبو زيد.

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٣٤٧).

(٣) مجموع الفتاوى ١٦ / ٤٥٤.



## المطلب الرابع

### التمييز والتمايز في التلقي

مما أرشد الله نبيه ﷺ في قضية التمييز والتمايز بين أهل الإسلام وأهل الشرك هو عدم التلقي عنهم أبداً، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ آتَى اللَّهِ وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]. أي: «لا تسمع منهم ولا تستشرهم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعَ أَمْرَهُ وَتَطِيعَهُ، فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها النهي عن طاعة الكافرين بل وجهادهم بالقرآن قال تعالى: ﴿فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥].

ومنها النهي عن طاعة الغافلين عن الله المتبعين لهواهم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ومنها الإعراض عن المشركين، قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٩]. وغيرها من الآيات التي تنوع فيها الخطاب وفيها ينهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبده ورسوله محمداً ﷺ عن طاعة أهل الهوى والشك من الكافرين والمنافقين.

وعلى غرار هذا التوجيه يأتي التحذير الدائم من الله تعالى في كتابه العزيز من أعداء الله في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وهذا هو السبب في تحذير الله لعباده من طاعة الكفار والمنافقين،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٣٧٥.



فإنهم يبعدون الناس عن دين الله ويوقعونهم في الضلال والخسران والكفر بالله تعالى .  
فدين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كامل لا نقص فيه، وشامل لكل زمان ومكان، وعالمي لكل الناس، فلماذا نبتغي غير منهج الله ونأخذ دين حياتنا ومماتنا من غيره؟! في الوقت الذي أثبت الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن دينه وصراطه هو الأصلح والأقوم لكل الناس في كل وقت وفي كل شيء .

ويبقى ذلك النهي قائماً في كل بيئة وزمان، يحذر المؤمن أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين في أمر العقيدة والتشريع ليبقى منهجهم خالصاً لله، غير مشوب بتوجيه من سواه، ثم لا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة، فإن الله هو العليم الحكيم هو الذي اختار للمؤمنين منهجهم، وفق علمه وحكمته قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم: ٧].



## المطلب الخامس

### تطبيق النبي ﷺ للتمييز والتمايز في الدعوة

كان النبي ﷺ حريصاً على أن يتميز هو وأصحابه في عقائدهم وسلوكياتهم وحتى في مظاهرهم عن المشركين وغير المسلمين حتى يظهر المسلمون محاسن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ويجذبوا إليهم الناس... وحتى لا يحصل التميع في مسائل الدين ويؤخذ الدين كله بعقيدته وشريعته وأخلاقه .



### وهذا فيه مواقف وتوجيهات كثيرة منها :

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (خالفوا المشركين أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحي)<sup>(١)</sup>.

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (خالفوا اليهود فإنهم لا يُصلُّون في نعالهم ولا خفافهم)<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر، يقول: (ألا إن آل أبي - يعني فلاناً - ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين)<sup>(٣)</sup>، فبين النبي ﷺ أن المفاصلة والتمايز مع الكافر ولو كان قريباً نسباً، والولاء للمؤمن ولو كان بعيداً نسباً.

بل كان النبي ﷺ يبايع الصحابة رضي الله عنهم على فراق المشرك والبراءة منه، فعن جرير رضي عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى فراق المشرك»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: «وتبرأ من الكافر»<sup>(٥)</sup>.

### فينبغي على الدعوة إلى الله أن :

**يميزوا** دعوتهم ومنهجهم ويعتزوا بهما، وألا يداهنوا فيهما خوفاً من عدم قبول الناس لهما؛ لأنها دعوة الحق، وسبيل الأنبياء والأتقياء.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحي (٥٨٩٢)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (٢٥٩). واللفظ لمسلم.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل (٦٥٢). وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٥٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها (٥٩٩٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب موالة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم (٢١٥).

(٤) سنن النسائي كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك (٤١٧٥). صححه الألباني.

(٥) مسند أحمد ٤٩١/٣١ (١٩١٥٣) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح..



**أن يتمايزوا** عن أهل الباطل من أهل الشرك والكفر والبدع، مع دعوتهم والسعي إلى هدايتهم، من غير تضييع لثواب الدين أو تمييعه ليوافق هوى الكفار ومصالحهم رغبة في إيمانهم.

فهذه المفصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية، وضرورية للمدعويين؛ حتى يكون الحق واضحاً وضوح الشمس لا يشوبه شائبة، فيبقى مضيئاً لملتيمي سبيل الرشد، حجة واضحة لا لبس فيها على أهل الشقاق والكفر.





# المبحث الخامس: فقه السنن الإلهية

ويتضمن خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** مقدمات حول السنن الإلهية.

**المطلب الثاني:** نماذج للسنن الإلهية.

**المطلب الثالث:** أهمية فقه السنن الإلهية في الدعوة إلى الله.

**المطلب الرابع:** خصائص السنن الإلهية.

**المطلب الخامس:** منهجية التعامل مع السنن الإلهية.







## المبحث الخامس

### فقه السنن الإلهية

إن الداعية البصير الناظر إلى الأحداث الجسيمة والنوازل العظيمة التي أحاطت اليوم بالدعوة لا يستغرب حدوثها ولا يفاجأ بها حينما يرجع إلى كتاب ربه، والسيرة الدعوية للنبي ﷺ، في ضوء سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي فرداً على حساب فرد، ولا مجتمعاً على حساب مجتمع آخر.

فمن فقه السنن الإلهية وأحسن التعامل معها فاز أيّماً ما كان، ومن أساء التعامل معها خاب أيّماً كان، ومعنى هذا أن الله ﷻ لن يمنح فرداً أو جماعة من المسلمين نصراً مجانياً لمجرد إسلامهم، فلا بد من الأخذ بالأسباب والفهم في السنن والسير من خلالها. وفقه السنن من أهم القضايا المنهجية التي لو أدركها الدعاة لتحققت البصيرة المأمور بها في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وبذلك تتحقق أهداف الدعوة وغايتها.. وتنضبط مسيرة الدعوة.

وهذا الموضوع طويل وكبير سنحاول عرضه في خمسة مطالب<sup>(١)</sup>:



(١) مادة هذا المبحث تم جمعها من: مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم، د. رمضان خميس زكي، جامعة الأزهر، بحث علمي محكم منشور في موقع الألوكة، والسنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات والشعوب د. عبد الكريم زيدان، مدخل إلى دراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم د. مجدي عاشور، والسنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، بحث منشور على شبكة الألوكة.



## المطلب الأول

### مقدمات حول السنن الإلهية

#### □ أولاً: السنة في اللغة :

من معاني السنة في اللغة:

١- السيرة والطريقة: حسنة كانت أو سيئة، مقبولة كانت أو مردولة <sup>(١)</sup>.

ومنه قول النبي ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء) <sup>(٢)</sup> أي: «طرق طريقة حسنة.. وسنة النبي ﷺ: طريقته التي كان يتحراها» <sup>(٣)</sup>.

٢- جريان الشيء واطراده في سيولة، والأصل يقال: سننت الماء على وجهي أسنه سناً، إذ أرسلته إرسالاً.

٣- العادة الثابتة المستقرة، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، فالسنة هنا تعني: «العادة الثابتة التي حكم الله بيها وقضاها» <sup>(٤)</sup>.

#### □ ثانياً: السنن الإلهية اصطلاحاً :

السنن الإلهية، قيل: «هي القوانين الحاكمة قدرأً في العباد التي تجري باطراد وثبات وعموم، في حياة البشر» <sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب، مادة سنن، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٠٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة (١٠١٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣ / ٢٦٧، ٢٦٨، واختصار.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٤.

(٥) السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، بحث منشور على شبكة الألوكة.



**وقيل:** «هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.  
**فالسنن الإلهية إذن المرادة هنا هي:** «أحكام الله تعالى الثابتة في الكون وعلى الإنسان في كل زمان ومكان»<sup>(٢)</sup>.

### □ ثالثاً: الشواهد الدالة على فقه السنن الإلهية:

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجدها حافلة بالحديث عن سنن الله تعالى، التي لا تتبدل ولا تتغير، ويجد عناية ملحوظة بإبراز تلك السنن وتوجيه النظر إليها واستخراج العبرة منها، والعمل بمقتضياتها لتكوين المجتمع المسلم المستقيم على أمر الله ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. «ففي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ؛ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم، وفسادها»<sup>(٣)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]. أي: «مناهج من تقدمكم من الأنبياء والصالحين لتقتفوا أثرهم وتتبعوا سيرهم»<sup>(٤)</sup>، فالقرآن ليربط ماضي البشرية بحاضرها، وحاضرها بماضيها، فيشير من خلال ذلك كله إلى مستقبلها.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان ص ١١.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١ / ١٠٣.

(٣) التحرير والتنوير ٤ / ٩٧.

(٤) التحرير والتنوير ٤ / ٩٧.



وقال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥]. وأيام الله: «وقائع الله في الأمم السالفة، والأيام التي انتقم فيها من الأمم الخالية»<sup>(١)</sup>.

«فمعرفة هذه الأيام توجب للعبد استبصار العبر، وبحسب معرفته بها تكون عبرته وعظمته، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]»<sup>(٢)</sup>.

فالأمور لا تمضي في الناس جزافاً والحياة لا تجري في الأرض عبثاً فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة، ويعلمها للناس، كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصيلية، محصورين في فترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان.

### □ رابعاً: طرق معرفة السنن الإلهية :

السبيل لمعرفة سنن الله تعالى يكون بالرجوع إلى كتاب الله وخصوصاً القصص القرآني، وكذلك سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فما فيهما هو القول الفصل.

فالقرآن والسنة هما سنة الله تعالى الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

وسبيل المعرفة يكون -كذلك- بالآلات التي ركبها الله في الإنسان، السمع والبصر والفؤاد، أي بالمشاهدة والسماع والتأمل والفكر، واستخلاص النتائج

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٤٢.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٤٤٧.



في ضوء ذلك، للتعرف على القواعد التي تحكم موجودات هذا العالم وحوادثه المختلفة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، قال الألوسي: «والمعنى: جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة، بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم - أي بعقولكم، وتتبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرير الإحساس، فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية»<sup>(١)</sup>.



## المطلب الثاني

### نماذج للسنن الإلهية

سنن الله تعالى كثيرة، فهي تشمل كل جوانب حركة البشر، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ومن هذه السنن التي لها تأثير في الجانب الدعوي:

#### أولاً: سنة التدرج:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(١٢)</sup> ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ<sup>(١٣)</sup> ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

فإنه سبحانه قادر على أن يخلق الإنسان مرة واحدة.. ولكن اقتضه سنته التدرج لحكمة يرددها الله.. ولكي تكون سنة في خلقه وكونه، التي يجب على الأمة أن تراعيها وهي تعمل للنهوض والتمكين لدين الله.

(١) روح المعاني ١٤/٢٠١.



فهدي الإسلام في دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتأسيس دولة الإسلام التي أنشأها النبي ﷺ بدأت متدرجة تسير بالناس سيراً متدرجاً، سواء كان من حيث المكان، والزمان، والمستهدفين، والمضمون، حيث بدأت بمرحلة الاصطفاء والتأسيس، ثم جاءت مرحلة المواجهة والمقاومة، ثم جاءت مرحلة النصر والتمكين.

### ◀ ثانياً: سنة التغيير:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. «فإن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ من نعم الدين والدنيا، بل يبقياها، ويزيدهم منها إن ازدادوا له شكراً ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الطاعة إلى المعصية؛ فيكفروا نعمة الله، ويبدلوها كفراً؛ فيسلبهم إياها، ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم، والله الحكمة في ذلك، والعدل والإحسان إلى عباده؛ حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى تعقيماً على هزيمة المسلمين في أحد: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مَّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فسنة التغيير سنة ثابتة لا تتخلف، فالله يرفع أقواماً ويضع آخرين، ويرزق نعماً، ويحرم أخرى، ويغني قوماً، ويفقر آخرين، ويقوي أناساً، ويضعف آخرين، وهكذا.. لا يمكن الانتقال من وضع إلى وضع إلا بسبب، وقانون الله لا يحابي أحداً، فإذا غير الناس، إذا غير المجتمع حاله، غير الله عليهم، ونفذت سنته فيهم، فحدوث التغيير من الله مترتب على حدوثه من البشر، إن حسناً فحسن، وإن سوءاً فسوء.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٤.



### ثالثاً: سنة التدافع بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

يقول العلامة ابن جرير: «ولولا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضاً وهم أهل المعصية له والشرك به ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾، بمعنى لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ففسدت بذلك الأرض، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى﴾ خلقه بدفعه بالبر من خلقه الفاجر وبالمطيع عن العاصي منهم»<sup>(١)</sup>.

فسنة الصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر، سنة إلهية ثابتة، منذ أن خلق الله البشر.. فالذي يحلم بأن ينتهي الصراع من العالم تماماً، هذا يعيش في وهم، لا حقيقة له. فلا بد من التدافع حتى لا يعم الفساد الأرض، فتتعطل منافعها، وتبطل مصالحها.

### رابعاً: سنة المداولة:

قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

«إشارة إلى أوقات الظفر والغلبة الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية للإعلام بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة إلى أن يأتي أمر الله تعالى وفي هذا ضرب من التسلية للمؤمنين»<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان ٥/ ٣٧٢.

(٢) روح البيان ٤/ ٦٧.



**فالمداولة هي:** انتقال الغلبة والسيطرة والهيمنة والقوة من قوم إلى آخرين.

وقد جرت سنة الله أن تكون المواجهة بين أوليائه وأعدائه مستمرة، فيدال هؤلاء على هؤلاء تارة، وهؤلاء على هؤلاء تارة، قال ابن القيم **رحمته الله**: «إنما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه، وغلبته له، وإيذائه له في بعض الأحيان، أمر لازم لا بد منه»<sup>(١)</sup>، لأن الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس، وطبائع القلوب، ودرجة الغبش فيها والصفاء.. عندئذ يتميز الصف. ولأن التداول دافع لإمعان العقل وإرسال الفكر، مميّز لصالح الأفكار من فاسدها، وسليم الآراء من سقيمها.

### ﴿ خامساً: سنة النصر والتمكين: ﴾

فسنة الله تعالى أن العاقبة والنصر للمؤمنين، إذا حققوا الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، قال ابن عباس **رضي الله عنهما**: «بالغلبة والقهر، وقال الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعدر، وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة. وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين؛ فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قُتِلوا بالانتقام من أعدائهم، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه»<sup>(٢)</sup>.

فهذا وعد الله القوي العزيز الجبار المتكبر، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. وهو إرادته التي لا تُردُّ، وستته التي لا تتخلف، وناموسه الذي يحكم.

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٨٩.

(٢) معالم التنزيل ٤/ ٤٧.





وقد يبطئ هذا النصر أحياناً - في تقدير البشر - لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله، والله هو الحكيم الخبير. يصدق وعده في الوقت الذي يريده ويعلمه، وفق مشيئته وسنته.. ومن سنة النصر والتمكين قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُهُمْ فَبُكَّةٌ فَاقْبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٤٥] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

ومن سنن النصر والتمكين الأخذ بالأسباب، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فسنة الله تقتضي تحقيق هذه الشروط والأسباب حتى تتحقق سنة النصر للمؤمنين، فإذا تخلفت الشروط والأسباب تأخر النصر والتمكين.

### ◀ سادساً: سنة الله تعالى في الظالمين وأعداء الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ



فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتَهُمْ نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿الأحزاب: ٦٠ - ٦٢﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ٥١].

فقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾: أي «من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتهم. ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار؛ فإن هؤلاء مثلهم، ولا فرق بين الفريقين»<sup>(١)</sup>.

«فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية، وبقاء ذمه، ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعاً، ويزول سريعاً»<sup>(٢)</sup>.

### ﴿ سابعاً: سنة الابتلاء: ﴾

قال تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْمِلِينَ ﴿١٠﴾ أَلْبَسَاءَ وَالضَّرَّاءِ وَزُلُوفًا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٢٨.

(٢) الجواب الصحيح ٤٢٣/٦.



وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

◀ **ثامناً: سنة العداة لأصحاب الدعوات والاستهزاء بهم وتكذيبهم:**

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].  
وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: ١٠، ١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنْهَمَ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمْرُسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

◀ **تاسعاً: سنة الأخذ بالأسباب:**

فقد وجه الله تعالى عباده المؤمنين إلى وجوب مراعاة سنة الأخذ بالأسباب في كل شؤونهم الدنيوية والأخروية على حد سواء، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُونَ إِلَى عِلِّيِّ الْعَالِيَةِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].



وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]، وأمر الله تعالى مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ أن تباشِر الأسباب وهي في أشد حالات ضعفها.. حالة الوضع، قال سبحانه: ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ يَمِّنَ الْأَخْلَةَ سُقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ﴾ [مريم: ٢٥].

الأخذ بالأسباب سنة إلهية، فالله قادر على فلق البحر لموسى بلا عصاً، ولكن ليأخذ الناس بالأسباب، فالله لا يعين القاعد القادر..

وهذا لا ينافي التوكل، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً)<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)<sup>(٢)</sup>.

فهذه النصوص وغيرها تنبه على الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب وأن على الداعية ربط أمره كله بالله، ولا يتعلق بنفسه، ولا بعمله، ولا بأحد من الخلق، وأن لا يعلق قلبه بقدراته أو بجاهه أو ماله أو علمه الشرعي أو حفظه للقرآن أو أي أسباب كانت ولكن يُعَلِّق قلبه بمسبب الأسباب، ويحسن الظن بالله تعالى، مع استسلام القلب لله تعالى، والرضا بقضاء الله تعالى وقدره، والقناعة بما يسره الله له.

مع التنبيه إلى «أن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائماً حصول النتيجة، ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله، ومشيئته ومن هنا كان التوكل

(١) جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب التوكل على الله (٢٣٤٤). وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٤١٦٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٦٢٠ (٣١٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله (٦٥٩٦). صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٨).



أمرأ ضرورياً وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب<sup>(١)</sup>، فلا علاقة للأسباب بالنتائج، فالمؤمن عليه أن يأخذ بالأسباب المتاحة والمباحة له، ثم بعد ذلك النتائج على مسبب الأسباب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وله الحكمة البالغة في ذلك.

### عاشراً: سنة الإملاء والإمهال والاستدراج:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ نَّمِرُ أَخَذَتْهَا وَإِلَى الْمَصِيْرِ﴾ [الحج: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۞ شَارِعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

«وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه؛ فإنه في الغالب يكثر أموالهم وأولادهم لنحو هذا؛ لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم، وحسن حالتهم، فيستمررون عليها حتى يموتوا، فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم، بل فتنهم ومحتهم»<sup>(٢)</sup>.

### الحادي عشر: سنة الاستبدال

قال تعالى: ﴿إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

(١) السيرة النبوية عرض وقائق وتحليل أحداث ١ / ٢٨١.

(٢) نظم الدرر ٣ / ٣٣٤.



وقال تعالى: ﴿ هَاتِمَةٌ هُنَالَهُ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْعَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨].

فمن سنة الله تعالى في خلقه الاستبدال؛ فمن بدل وضيع أذهبه الله وأتى بخير منه، فيا أيها الدعاة: إن اختيار الله لكم لحمل دعوته تكريم ومنّ وعطاء. فإذا لم تحاولوا أن تكونوا أهلاً لهذا الفضل، وإذا لم تنهضوا بتكاليف هذه المكانة، وإذا لم تدرکوا قيمة ما أعطيتم فيهون عليكم كل ما عداه.. فإن الله يسترد، ما وهب، ويختار غيركم لهذه المنة ممن يقدر فضل الله.

وأخيراً: فإن سنن الله كثيرة لا تقع تحت حصر، منها ما نعرفه ومنها ما نجهله، وقد نعرفه بعد البحث، ومنها ما لا يحيط بعلمه إلا الله، وما لا نعرفه أكثر كثيراً مما نعرفه، فينبغي إذن معرفتها وتدبرها واستيعابها والاستفادة منها.



### المطلب الثالث

## أهمية فقه السنن الإلهية في الدعوة إلى الله

القرآن الكريم حينما يوجه أنظار المسلمين إلى سنن الله تعالى في الأرض، فهو بذلك يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها، فهم ليسوا بدعاً في الحياة، فالسنن التي تحكم الكون والشعوب والأمم والدول والأفراد جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، والحياة لا تجري في الأرض عبثاً، وإنما تتبع هذه السنن.

فإذا درس الدعاة هذه السنن، وأدرکوا مغازيها: تكشفت لهم الحكمة من وراء



الأحداث، تبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، اطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، أو إلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بالأسباب المؤدية إليه.

والمسلمون أولى أن يدركوا سنن ربهم، المبرزة لهم في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، حتى يصلوا إلى ما يرجون من عزة وتمكين فإن التمكين لا يأتي عفواً ولا ينزل اعتباطاً، ولا يخبط عشواء، بل إن له قوانينه التي سجلها الله تعالى في كتابه الكريم؛ ليعرفها عباده المؤمنون، ويتعاملوا معها على بصيرة<sup>(١)</sup>.

وقد شاء الله رب العالمين أن يجري أمر هذا الدين، بل أمر هذا الكون على السنن الجارية لا على السنن الخارقة؛ وذلك حتى لا يظن جيل من أجيال المسلمين ويتقاعس ويقول: لقد نصر الأولون بالخوارق ولم تعد الخوارق تنزل بعد ختم الرسالة وانقطاع النبوات<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن يحتاج إلى معرفة سنن الله، سواء كان مصلحاً، أو داعياً، أو مربياً، أو عالماً، تُعطي هؤلاء جميعاً مشكاة نور يستضيئون بها في القيام بمهامهم.

وسنن أهمية فقه الدعوة إلى الله للسنن الإلهية من خلال النقاط التالية:

### أولاً: معرفة السنن الإلهية فريضة شرعية :

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١ / ١٠٤.

(٢) السنن الإلهية وأثرها في تغيير حال الأمة، عبد الله الحاشدي.



على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله -تعالى- من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل إليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها»<sup>(١)</sup>.

### ﴿ ثانياً: نستطيع أن نفهم التاريخ ونحلل الأحداث بفهم السنن الإلهية :

فمن خلال السنن الإلهية نفهم التاريخ، ونفسر أحداثه تفسيراً شرعياً سليماً ينفعنا في تقييم حاضرنا وتوقع مستقبلنا؛ وللأسف كثير من الدعاة اليوم لا يملكون القدرة على ربط النتائج بالأسباب، وكشف اللثام عن حقيقة السنن بل قد يدهشهم الواقع دون تفسير حقيقي لما سيكون في الغد من أحداث، قد تكون سعيدة أو مؤلمة.

«والقرآن الكريم حين لفت أنظار الناس إلى أحوال الأمم السابقة وعواقب الأمم البائدة، إنما أراد بذلك أن نستخلص العبر ونستجلي العظات لبناء مجتمعات مؤمنة سليمة، قوية وعادلة... فقد فجاء المنهج القرآني لينقل المجتمعات البشرية إلى الأفق الرحب، ويحدد لها منهجاً للنظر والاستقراء والاستدلال في معالجة التاريخ الإنساني والفعل الاجتماعي عبر الماضي والحاضر والمستقبل»<sup>(٢)</sup>.

### ﴿ ثالثاً: معرفة السنن والسير على هداها أخذ بأسباب النصر والتمكين

#### والفلاح:

لأن الله سنن في النصر والتمكين كما له سنن في التغيير والاستبدال وفي الغفلة عنها تفريط في الأخذ بأسباب النجاة وإعراض عن هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في

(١) تفسير المنار ٤/ ١١٤.

(٢) علم السنن وأهميته في الآفاق والأنفس، د. محمد أمحزون، مجلة البيان عدد ٢٥٧/ ٢٥.





الدعوة إلى الله ﷻ، الذين هم أعرف الناس بالله سبحانه، وبأسمائه وصفاته، وبالتالي فهم أعرف بسننه سبحانه وعاداته وأيامه وهم أزم الناس لها وللسير على ضوئها، وما حلت الهزيمة محل النصر والضعف محل القوة والعزة محل الذل إلا بسبب الإعراض عن معرفة سنن الله ﷻ وما فيه من الهدى والنور.

فالنظر إلى السنن يهب الداعية الاطمئنان إلى وعد الله تعالى بنصر المؤمنين الصادقين، وبالتدمير على الكافرين المعاندين، فلا يأس المؤمن؛ لأن عنده رسوخاً في إيمانه بأن المستقبل لهذا الدين.

وموافقة السنن الإلهية مما يمنح الداعية شعوراً بالعزة، لأن بعض الناس إذا رأوا قوة العدو ورأوا ضعف المسلمين، ربما داخلهم نوع من اليأس، حتى ربما يميل بعضهم إلى العزلة، لأنه رأى أمراً لم يكن يخطر له على بال، لكن تفتنه إلى السنن الإلهية يجعله يطمئن لوعد الله بأن العاقبة للمتقين.

#### رابعاً: في معرفة السنن والسير على هداها اجتماع للكلمة ووحدة للصف:

ففي معرفة السنن ما يعين المسلمين على الخروج من متاهة الاختلاف والنزاع والضعف والتشتت؛ لأن كشف السنة التي تحكم أمراً من الأمور، سيجعل النظرة إلى هذا الأمر نظرة عليم خبير، وينقل التعامل معه من نطاق الفرضيات والنظريات القابلة للأخذ والرد والاختلاف إلى آفاق العلم الذي لا جدال فيه ولا اختلاف، فيجمعهم هذا الأمر بعد تفرق، ويقويهم بعد ضعف، ويوحدتهم بعد تشتت، ويقىمهم بعد انحراف واعوجاج.

#### خامساً: في معرفة السنن ما يرسخ في الدعاة تعظيم الله وحبه:

إن معرفة هذه السنن الكونية التي تحكم حياة الإنسان، وحياة الناس، وحياة الأمم والجماعات والأفراد؛ تدلك على شيء من عظيم صنع الله تعالى وبديع حكمته،



فإذا اطلع الداعية، أو حتى الإنسان العادي، على آثار صنعة الله تعالى في حياة الأمم، وكيف حقت عليها كلمة الله، وكيف مضت عليها سنته، على غير ما يترقب الناس وعلى غير ما يتوقعون، فإنه يمتلئ إجلالاً وتوقيراً للواحد الأحد الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت.

### ﴿ سادساً: معرفة عواقب الأمور ونتائج الأحداث: ﴾

من وعى السنن استطاع أن يستدل على عواقب الأمور، ونتائج الأحداث، ففي قصة مؤمن آل فرعون أطلق تحذيراً مهماً جداً لقومه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَوْمَ اِئْتِيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١].

فقد استدل على مصير قومه بما حدث للأقوام التي شابهت حالهم من الماضين، كما استدل هرقل الكافر أمام أبي سفيان الذي كان كافراً في ذلك الوقت، على أن العاقبة ستكون للنبي ﷺ، وقال: «وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزدون، وكذلك أمر الإيمان حين يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.. -ثم قال هرقل في النهاية-: فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين»<sup>(١)</sup>.

### ﴿ سابعاً: تقييم الحاضر وبنائه، واستشراف المستقبل: ﴾

إذ نعرف من خلال السنن عوامل البناء والأمن والاستقرار والصحة والرفاهية،

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (٧)، ومسلم، كتاب المغازي (الجهاد والسير)، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).



كما في قوله تعالى: ﴿ وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْقًا ﴾ [الجن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

كما نعرف عوامل الهدم والخوف والجوع والمرض، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعْرِضُوا مَا بِنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ونضع أيدينا على أسباب الاضمحلال والسقوط في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

فالتغيير والإصلاح الذي ينشده الدعاة لا يحصل عشوائياً، بل يحصل وفق سنن إلهية تحكم مساره وتضبط وجهته.

### ٥ ثامناً: تصحيح الصورة السيئة على الإسلام:

الدعوة اليوم في أمس الحاجة إلى الفكر الواعي الذي يقوم على التدبر في سنن الله تعالى وفقه التعامل معها، فإن كثيراً من أمراض أمتنا نشأت وترعرعت في ظل غياب الفهم الكامل لمضامين القرآن الكريم، والغيوبة التي طالت عن مراد الله تعالى ونحن بتقصيرنا في هذا الجانب - جانب السنن الربانية وفقهها - نشارك في رسم صورة سيئة عن الإسلام عند أعدائنا، فإنهم يربطون بين تخلفنا العلمي والحضاري والثقافي والمعيشي وبين ديننا، فيظلم هذا الدين بهذه النظرة إليه، ولنا في صنع هذا الظلم نصيب أي نصيب.

### ٥ تاسعاً: تحقيق أهداف الدعوة:

إن من فهموا قوانين الله تعالى وسننه في خلقه استطاعوا أن يحققوا سبقاً ويحرزوا



نصراً، ويصلوا إلى أهدافهم؛ فمؤمن آل فرعون استطاع أن يصل إلى ما يريد من خلال إرشاد قومه إلى سنن الله تعالى في الأنفس والآفاق، وأتت عبارته بهذه الدقة البالغة والبيان المعجز، فقال: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٣٤].

وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَوْهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَوَمَّرُونَ بِآخِافٍ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١].

وجنود طالوت فهموا أيضاً سنن الله تعالى فقالوا: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١].

وإذا كان هؤلاء الفاهمون لسنن الله في الكون والنفس صدعوا برأيهم وأظهروا فهمهم، فإن أمة تريد النصر وتسعى إليه لا بد أن تفهم هذه السنن وتنادي بفهمها.





## المطلب الرابع

### خصائص السنن الإلهية

يمكن إجمال خصائص السنن الإلهية في الخصائص التالية:

#### ١- الخاصية الأولى: الثبات:

أي لا تتبدل ولا تتغير، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

#### ٢- الخاصية الثانية: العموم:

أي أنها تشمل كل البشر والخلائق دون استثناء وبلا محاباة، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ، وَلَا يُجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

فهي حاکمة على جميع الأفراد، والأمم والمجتمعات، فإذا وقفنا عند قانون من قوانين الله تعالى كقانون النصر نعلم أن له ضوابط ومعالِم تنسحب على الجميع دون مجاملة ولا محاباة، فعندما أخذ الصحابة سنة الله في النصر مثلاً أتى النصر لهم أكله وأعطى ثمره، وعندما خالفوا أمر الرسول ﷺ لم تنخرم لهم السنة ولم تتبدل؛ بل حكمت عليهم وفيهم أعظم خلق الله ﷻ.

«ذلك أن السنن عامة تنطبق على البشر جميعاً، وليست خاصة بطائفة دون طائفة

ولا لجيل دون جيل، والذي يؤكد عمومية الموضوع أن الله يقول للرسول ﷺ: ﴿ قُلْ مَا



كُنْتُ بِدَعَايَ مِنَ الرَّسْلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ بِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ [الأحقاف: ٩٩].

### ﴿ الخاصية الثالثة: الاطراد: ﴾

أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكاناً وزماناً وأشخاصاً وأفكاراً، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

«جاء القرآن يبين للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قويمه، فمن سار على سنته في الحرب مثلاً ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحدًا..، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقاً..، وعلى هذا يتخرج انهزام المسلمين في وقعة أحد حتى وصل المشركون إلى النبي ﷺ فشجوا رأسه، وكسروا سنه..»

قال تعالى: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْنَاكُمْ مُّصِيبَةً قَدِ اصَّابْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنَا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، لذلك صرح لهم في بدء الآيات التي تبين لهم سننه أن له سنناً عامة جرى عليها نظام الأمم من قبل، وأن ما وقع لهم مما يقص حكيمته عليهم هو مطابق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل.

ولما كان التعليم بالقول وحده من غير تطبيق على الواقع مما ينسى أو يقلل الاعتبار به نبههم على هذا التطبيق في أنفسهم وأرشدهم إلى تطبيقه على أحوال الأمم الأخرى فقال: ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

فجريان الأمور على السنن المطردة حجة على جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، تقيهم وفاجرهم، وهي تدحض ما وقع للمشركين والمنافقين من الشبهة على الإسلام

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم للأستاذ جودت سعيد ص٢٧، ٢٨.



إذ قالوا: لو كان محمد ﷺ رسولاً من عند الله لما نيل منه، فكأنه يقول لهم: إن سنن الله حاكمة على رسله وأنبيائه كما هي حاكمة على سائر خلقه<sup>(١)</sup>.



## المطلب الخامس

### منهجية التعامل مع السنن الإلهية

لابد للدعاة إلى الله تعالى من الفقه المنهجي السليم في كيفية التعامل مع السنن الإلهية والقوانين الكونية في الأفراد والمجتمعات والأمم، فقهاً شاملاً رشيداً، يعين على استنباط المواقف العملية الرشيدة.

ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

#### أولاً: التعرف على السنن الربانية والفهم الجيد لها :

فلا بد أن يكون الإنسان أهلاً لإدراك السنن الربانية أولاً حتى يكون ذلك طريقاً لانتفاعه بها واتعاظه من خلالها.

ففهم السنن الربانية خطوة من خطوات الانتفاع بها والاستفادة منها، ويمكننا أن نقول: إن فهم السنن طريق إلى تسخيرها وإدراكها ثم سبب إلى توظيفها.

ومن هنا فإن أوجب ما يجب على المسلمين أن يفهموا أولاً سنن الله في الحياة والأحياء، وأن يتعاملوا معها بعد ذلك على هذا الأساس.

#### ثانياً: عدم التصادم مع سنن الله تعالى :

ذلك أن الإدراك الحقيقي للسنن الربانية يجعل الإنسان بعيداً عن مصادمتها،

(١) تفسير المنار ٤/ ١١٦ - ١٢٠ بتصرف واختصار.



وكيف يصادمها وهو يدرك طبيعتها ويعلم سيرها وعدم تخلفها أو تبدلها وتحولها، من هنا فهو يتعامل معها على هذا الأساس تعامل الكيميائي مع المواد التي يعرف خصائصها ويدرك كنهها، والطبيب الذي يعرف خصائص المرض وأنواعه فيشخص الداء ويصف الدواء بكل تجرد وحيادية.

### ﴿ ثالثاً: المغالبة: ﴾

والمغالبة تعني المفاعلة، ويراد بها هنا أن الداعية إذا كان لا ينبغي له أن يصادم السنن والنواميس ولا يقف أمامها فإنه مأمور بأن يغالبها ويوظفها لصالحه، ويجعل تيارها معه لا عليه.

### ﴿ رابعاً: الاستخدام: ﴾

وهو المقصود بالتوظيف بعد الإدراك والتسخير بعد الفهم، وهذا هو بيت القصيد؛ من فهم السنن الربانية عليه أن يصل بها في النهاية إلى درجة توظيفها له وانتفاعه بها؛ بل حسن التوظيف وحسن الانتفاع.

### ﴿ خامساً: التحويل: ﴾

والمقصود من تحويل تيار السنن والنواميس الربانية أن يجعلها الإنسان تخدمه لا تستخدمه، وأن يغتنم قوتها وشدتها، وأن يجعل تيارها يجري في المسار الذي يخدمه ويعود عليه بالنعمة والغنم.

### ﴿ سادساً: الاستعانة ببعض السنن على بعض: ﴾

وهذا دور الإنسان المدرك لطبيعة السنن والمدرك لأنه أهل لاستخلاف الله تعالى له، وجعله سيداً في هذا الكون؛ فهو بهذا الاستخلاف وتلك السيادة يملك بعقله الذي وهبه الله تعالى له توظيف بعض السنن ببعض، والاستعانة بها عليها حتى يكون مسخراً لها ولا تكون هي مسخرة له، وساعتها سيكون من أهل النصر القريب والفتح المبين.



# المبحث السادس:

## التجديد الدعوي

ويتضمن ستة مطالب:

**المطلب الأول:** مفهوم تجديد الخطاب الدعوي من خلال حديث  
التجديد.

**المطلب الثاني:** مفاهيم خاطئة في التجديد الدعوي.

**المطلب الثالث:** رؤية عامة حول التجديد الديني والدعوي.

**المطلب الرابع:** دواعي التجديد في الخطاب الدعوي.

**المطلب الخامس:** مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر وعلاجها.

**المطلب السادس:** أسس الخطاب الدعوي المعاصر.





## المبحث السادس التجديد الدعوي

يتردد في العصر الحاضر مصطلح «تجديد الخطاب الديني أو الدعوي»، وهذا المصطلح كلمة حق، ولكن قد يكون في بعض الأحوال أريد بها باطل. وتوضيح هذا المفهوم وبيان معالمه بطريقة منهجية في ستة مطالب<sup>(١)</sup>:

### المطلب الأول

#### مفهوم تجديد الخطاب الدعوي من خلال حديث التجديد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)<sup>(٢)</sup>.

قالت اللجنة الدائمة للإفتاء: معنى قوله ﷺ: (يجدد لها دينها) أنه كلما انحرف

(١) ينظر: رسالة ماجستير: التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر، بقسم الدعوة بجامعة أمر القري، د. أحلام بنت محمد الدويخ، تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، د. محمد حسانين بحث مقدم لجائزة الأمير نايف للسنة النبوية، أبحاث ندوة (الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي: الضوابط، المجالات، الآثار) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رعاية كرسى الشيخ بن باز للحكمة في الدعوة، مقال: تجديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، د. عطية عدلان، منشور على موقع الألوكة، تجديد الخطاب الدعوي، مقال منشور على الشبكة، تجديد الخطاب الدعوي، د. مبروك عبدالله الصيعري، تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، د. عطية عدلان، مجلة البيان عدد ٣١٤، ومقال: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، د. جمال نصار، منشور على الشبكة. وتجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاعر الشريف، كتاب البيان.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (٣٧٤٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٩).



الكثير من الناس عن جادة الدين الذي أكمله الله لعباده وأتم عليهم نعمته ورضيه لهم ديناً - بعث إليهم علماء أو عالماً بصيراً بالإسلام، وداعيةً رشيداً، يبصر الناس بكتاب الله وسنة رسوله الثابتة، ويجنبهم البدع، ويحذرهم محدثات الأمور، ويردهم عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فسمى ذلك: «تجديداً» بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المبينة له، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] (١).

و«قوله ﷺ: (من يجدد لها دينها) فهذا يدل أن الدين المجدد هو ذلك الذي يعتقدُه الناس، لا الدين الخالص الذي أنزله الله، ولذلك قال: (يجدد لها دينها) فنسب الدين إلى الأمة، فههدف المجدد هو تجديد الدين الذي يتصوره ويعتقده الناس بحيث يتفق والدين الخالص الذي أنزله الله غُضّاً طريراً على نبيه ﷺ» (٢).

وإن كلمة (مَنْ) ههنا اسم موصول تفيد الإطلاق، فيحتمل أن يكون المجدد فرداً، أو طائفة من الناس، وبناء عليه فلا يلزم تتبع أسماء أفراد من العلماء في كل قرن والمفاضلة بينهم لتمييز المجدد فيهم، فقد يكون كلهم ساهم في تجديد هذا الدين وبعثه في الأمة.

**يقول ابن كثير:** «قال طائفة من العلماء: الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عن أدرك من السلف إلى من يدرکه من الخلف، كما جاء في الحديث (يحمل هذا العلم من

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية (٢/٢٤٧-٢٤٨)

(٢) مقال: نظرات في حديث التجديد، محمد مسعد، منشور على موقع صيد الفوائد.



**كل خلف عُدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**<sup>(١)</sup> وهذا موجود والله الحمد والمنة إلى زماننا هذا ونحن في القرن الثامن<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن حجر:** «لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة **(يعني قد تكون جماعة)** وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي - وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة - إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفاً بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد، سواء تعدد أم لا<sup>(٣)</sup>.

### **وعلى ما سبق بيانه فالتجديد يقصد به أربعة أمور:**

**الأول:** إحياء الدين وما اندثر من معالمه.

**الثاني:** تصحيح الدين عما ألحق به مما ليس منه.

**الثالث:** التجديد في طريقة عرض الدين ووسائل نشره.

**الرابع:** تنزيل الدين على واقع الحياة ومواكبه للتغيرات المعاصرة.

وهذا التجديد لا يلزم أن يكون محصوراً في أفراد من الدعاة والعلماء، بل كل من يقوم بنشر الدين وتعليمه ودراسة مسائله، فهو من المجددين في مكانه وزمانه وتخصصه.

(١) صححه الألباني في مشكاة المصابيح كتاب العلم الفصل الأول الجزء ١/ ٨٢ رقم ٥١.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٢٥٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٩٥.



## المطلب الثاني

### مفاهيم خاطئة للتجديد

شاع في هذا العصر أن التجديد يعني أحد مفاهيم ثلاثة، وليس كذلك ما سبق:

#### □ أولاً: الابتداء مختلف عن التجديد؛

حديث التجديد المتقدم لا يجوز أن يفهم أو يحتاج به بعيداً عن النصوص الشرعية الأخرى المتعلقة بهذا الباب، مثل قوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)<sup>(١)</sup>. وقاله: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)<sup>(٢)</sup>.

فقد حصل عند بعض المسلمين خلط بين مفهومين، وهما مفهوم التجديد ومفهوم الابتداء، فالتجديد هو مما أقره الإسلام ودعا إليه، أما الابتداء فقد نهى الإسلام عنه واعتبره ضلالة.

**فالبدعة لغة:** «بدع» ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، كقولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً: إذا ابتدأته لا عن سابق مثال. والله ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي: ما كنت أول<sup>(٣)</sup>.

**والبدعة اصطلاحاً،** كما يقول الشاطبي: «البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى.. وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في البيوع، باب النجش، ومسلم، كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨).

(٢) سنن ابن ماجه، مقدمة الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين برقم (٤٢)، ومسند أحمد ٣٧٣/٢٨ (١٧١٤٢) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة ١/ ٢٠٩.



وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية<sup>(١)</sup>.  
«والإسلام لم يقصد بالتجديد مطلقاً الإتيان بجديد، والرسول عليه الصلاة والسلام قد استعمل اللفظ الدال بدقة عن المراد من أنه إحياء ما مات، وبناء ما اندرس، وإزالة ما زاد.

فالتجديد يعني أن الأمر كان من قبل جديداً، ومع مرور الوقت طرأ عليه نقصان أو زيادة كذهاب اللون عن الأجسام وعلو الغبار والأوساخ عليها فإذا أردنا تجديد هذه الأجسام فليس معنى ذلك أن نأتي بشيء لم يكن قد وجد سابقاً، إذ هذه إضافة، إنما يكون التجديد بإزالة الغبار والأوساخ مما زاد على الأجسام»<sup>(٢)</sup>.

#### □ ثانياً: التجديد مختلف عن تحريف النصوص ونقدها:

- **فتجديد الدين لا يعني:** تغييره أو تبديله، وإنما يعني المحافظة عليه ليكون كما نزل غضاً طرياً، لا لبس فيه.

- **وتجديد الدين لا يعني:** أن نجاري الغرب في فصله للدين عن الدنيا، وليس هو العمل المرتجل، أو الثائر العنيف الذي يفسد ولا يصلح.

- **وتجديد الدين لا يعني:** إضعافاً للدين في حياة المسلمين، بإقصائه أو بالتقليل من تأثيره، أو بالعبث به جهلاً وتفريطاً وانسياقاً مع الأهواء؛ فهذا الصنيع هو إلى التبيد أقرب منه إلى التجديد.

- **تجديد الخطاب الديني لا يعني:** التجديد لأصول الدين وثوابته، فهذه مسائل غير قابلة للتغيير، لأنها أركان يقوم عليها بنيان الإسلام وشريعته.

(١) الاعتصام ١/ ٥٠.

(٢) مقال: مفهوم التجديد والابتداع، أسامة مطر، مجلة الوعي منشور على الشبكة.



- **تجديد الخطاب الديني لا يعني** مضمون الخطاب ومحتواه ولا هيكله، والتخفف من تكاليف الشرع المطهر تحت هذا العنوان البراق الجذاب، وأن يأخذ بالشاذ من الأقوال المنسوبة إلى العلماء، وبالضعيف من المفهوم والاستنباطات، ويجعله المعتمد لا لشيء إلا لأنه يوافق أهواءهم.

- **تجديد الخطاب الديني لا يعني** تغيير خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين وأفهامهم، أو تحديث حقائق الدين وأحكامه بما يتماشى مع أهواء العابثين!! كلا، فتلك دعوة لتفريغ الإسلام من مضمونه ومحتواه، وإعادة شحنه بمضامين حديثة شيطانية؛ ليبقى مسخاً مشوهاً لا نبض فيه ولا حياة.

### □ ثالثاً: فقه المراجعات<sup>(١)</sup>؛

يعتقد بعضهم أن المراجعة هي نوع من الفشل والاعتراف بالهزيمة، والتنازل عن المبادئ! وهذا غير صحيح لعدة أسباب:

١- أن المراجعة في الفعل البشري ضرورة شرعية كان النبي ﷺ يربي عليها أصحابه ويقول: (إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير)<sup>(٢)</sup>.

٢- المراجعة خاضعة للمرحلية فقد يجتهد العالم أو الفقيه أو الشيخ في مرحلة زمنية معينة، ثم يغير اجتهاده في مرحلة أخرى، فهل اجتهاده السابق خطأ؟ قد يكون لأنه فعل بشري، وقد يكون صواباً في سياقه وفي وقته وفي الظروف التي أحاطت به.

(١) مقال: تجديد الخطاب الدعوي، د. مبروك الصيعري، منشور على وقع صيد الفوائد.

(٢) صحيح البخاري، كتاب كفارات الأيمان، باب الاستثناء في الأيمان (٦٧١٨)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه (١٦٤٩).





٣- المراجعة التي ننشدها ليست مراجعة فئة معينة من الناس أو الأشخاص، وإنما مراجعة على كافة الأصعدة، فمجتمعاتنا تحتوي على مجموعة من الأخطاء على الصعيد السياسي والمعرفي والاقتصادي والتعليمي والإعلامي! هذه الأخطاء جعلتنا في مؤخرة الركب وأول علاجها بالمراجعة والتصحيح.

٤- من أعظم الخطأ أن تتحول المراجعة إلى مشاتمة وسب وتعيير! أو أن يكون هناك هجوم وقصف متبادل بالتهم والألفاظ النابية! ومحاصرة بعضنا البعض بالأدلة والبراهين! وكأن الحق هو كل قول أو فعل صدر منّا وما صدر من غيرنا هو باطل يجب أن يمحق هو وصاحبه من الوجود.

وعلى هذا فالمراجعة أمرٌ مختلفٌ عن التجديد، وإن كان كلاهما عملٌ للعالم والداعية إلى الله في سبيل الإصلاح، والاستقامة على دين الله الحق.



### المطلب الثالث

#### رؤية عامة حول التجديد الديني والدعوي

«التجديد الديني والدعوي هو: عودة للمنابع والأصول عودة كاملة صافية، ودعوة للثبات على الحق، وترك التقليد القائم على الاتباع والمحاكاة على غير بصيرة، ومن هنا يتبين أن التجديد عملية إصلاحية محافظة، وليس عملية تخريبية منفلثة»<sup>(١)</sup>.

**التجديد:** وهو أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه، فالأزمة ليست في تجديد الخطاب الديني، بل في مصداقية الخطاب الديني.

(١) تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف ص ١٢.



**فمفتاح التجديد** الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية، بحيث يُفهم فهماً سليماً خالصاً من الشوائب، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

**والمستهدف بالتجديد** ليس خطاب رب العالمين، وإنما خطاب الموقعين عن رب العالمين؛ المستهدف ليس المضمون الذي جاءنا من الله، وإنما الوعاء الذي نقدم فيه هذا المضمون للناس.

**الذي نريده هو التجديد:** الحكيم، والرشيد، والمسؤول، الذي يراعي مقاصد الشريعة ويأخذ بفقهِ الأولويات، ويضع القائمون عليه في اعتبارهم المصلحة العامة والضرورات التي تُقدَّر بقدرها، من دون تجاوز للثوابت في نصوص القرآن الكريم وصحيح الحديث النبوي، فهذه النصوص لا يلحقها التجديد، لأنها هي الثوابت القطعية والقواعد الكلية للدين الحنيف.

**إن التجديد يبدأ** بالقدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، والتربية لا التعرية، والترغيب قبل الترهيب، والتيسير لا التعسير، ومخاطبة العقل والقلب معاً.

**فالتجديد** لا يفرغ النص من مدلوله ومحتواه، ولا يلوي أعناق النصوص لتوافق الأهواء والمزاعم، ولا يتخذ التأويل ذريعة لتحريف النصوص وتمييع الأحكام، تجديد في الأسلوب ومنهجية العرض، لا في صلب الدين ومحتواه، ولا مصطلحاته، فلا تجديد في الأحكام والمفاهيم الواردة في الكتاب والسنة، فالمسلم مسلم، والكافر كافر، والمنافق منافق، وأركان الإسلام ثابتة، وأركان الإيمان ثابتة، وأمور العقيدة هي هي، وإنما التجديد في وسيلة العرض، وأسلوب الطرح، ومراعاة أحوال المتلقين مكاناً وزماناً.



**فالتجديد في الخطاب الدعوي المعاصر هو:** «أن يقدم الإسلام منهجاً: هادياً للزمان والمكان والإنسان، موصولاً بالواقع، مشروحاً بلغة العصر، منفتحاً على الاجتهاد والتجديد، جامعاً بين النقل الصحيح والعقل الصريح، مستلهماً للماضي، معاشياً للحاضر، مستشرفاً للمستقبل، محافظاً في الأهداف والغايات، متطوراً في الوسائل والآليات، ثابتاً في الأصول والكليات، مرناً في الفروع والجزئيات، ميسراً في الفتوى، مبشراً في الدعوة، مرحباً بكل جديد نافع صالح، يعمل على تعزيز المشترك الإنساني، يتلمس الحكيم من أي وعاء خرجت، ينضبط بالأصل ويتصل بالعصر»<sup>(١)</sup>.

**تجديداً يقدم الإسلام كمشروع نهضة؛ يقوم:** على: «العقيدة التي تتوافق مع الفطرة، وعلى العبادة الدافعة للعمارة، وعلى العقل المهتدي بالوحي، وعلى الوحي المرتبط بالإيمان، وعلى الإيمان المقترن بالعمل، وعلى العمل المقترن بالدعوة، وعلى الأخلاق المرتقية بالإنسان، وعلى الجسد الممدود بالروح، وعلى التشريع المحقق للمصلحة، وعلى العدل المؤيد بالإحسان، وعلى الأسرة التي تصون الفرد، وعلى الفن الملتزم بالقيم، وعلى الآداب التي تجمل الحياة، وعلى الخير المتوشح بالجمال»<sup>(٢)</sup>.

### **تجديد يتسم بقدرته على:**

١- أن يجمع بين الحفاظ على الثوابت مع المرونة على التكيف مع الأوضاع واستيعابها.

٢- العمل وفق الممكن والمتاح والمستطاع.

٣- القدوة الحسنة.

(١) ترشيد العمل الدعوي المعاصر د. عصام البشير.

(٢) ترشيد العمل الدعوي المعاصر د. عصام البشير.



- ٤- مراعاة سنن الله الكونية والشرعية والاجتماعية.
- ٥- تقديم البدائل الشرعية، والبدايل لها شرطان: الأول: قوة المضمون، والثاني: جمال الأسلوب.
- ٦- تقديم المشروع الدعوي الإسلامي باعتباره مبادرة إنقاذ وترشيد لمواجهة الأزمة الفكرية والأخلاقية التي تشخّص في مظاهر الخلف بين القول والفعل، أو بين المبدأ والواقع، أو بين الظاهر والباطن، أو بين الشعار وحقيقة الحال، مما يجعل بعض أطراف الأمة في خصومة مع ذاتها ومع العصر، أو في حالة فقدان التوازن والانسجام بين ضميرها الديني والأخلاقي وبين الواقع التاريخي المتغير.
- ٧- بناء المفاهيم وتصحيحها، وبرمجة الأولويات، وترسيخ القيم الإيجابية في التصورات والاتجاهات والسلوكيات المتعلقة بالوعي الجمعي.
- ٨- الانتقال من الاهتمام بالفرد إلى تغيير الأطر والقيم والمعطيات والنماذج المستقرة في جذر النظام الثقافي والمجتمعي.
- ٩- التأكيد على أصول المشترك الإنساني ومعاني الجامعة الإسلامية، والتركيز على قيم السلم والحوار وتديير الاختلاف والعيش المشترك في مضامين الخطاب الدعوي وقيمه ومقاصده.
- ١٠- الاهتمام بمؤسسات ومناهج تكوين الداعية، من خلال بناء معاهد علمية تعنى بالتأصيل والتوصيل والتكيف للقضايا والمفاهيم، استناداً إلى حقائق الحياة الاجتماعية الجديدة التي تستمد روحها من معرفة القيم الإسلامية للتعامل الإنساني، واستناداً إلى الرؤية الثقافية الكونية التي تتناسب مع المقاصد العامة للرسالة الخاتمة، وتعنى بتطوير وسائل التوصيل وأساليب الخطاب والوعظ، ومهارات التحدث وفنون



الإلقاء، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات ومواقع وتقنيات التواصل الاجتماعي المعاصرة. وبالله تعالى التوفيق.

١١- لا يسلك خطاب التجديد الدعوي سبيلاً متوازناً بين المأمول والممكن، والمبدأ والواقع، وأن تصاغ بناء على فقه الموازنات، وترتيب الأولويات، ومراعاة المآلات القريبة والبعيدة، وضبط النسب، مع تخليصها من قسرية التقرير إلى إيجابية الفهم والتقويم.



## المطلب الرابع

### دواعي التجديد في الخطاب الدعوي

الدعوة إلى الله فن يجيده الدعاة الصادقون صناع الحياة، وكان لزاماً على من يحمل هم الدعوة أن يجيد إيصالها، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالحكمة مخاطبة العقل بالبرهان، والموعظة تحريك سواكن الوجدان، فيشرف الداعية على النفوس من شرفات التأثير ويصبرها بحسن العاقبة أو سوء المصير، يبرق وجهه بمعاني الحلم، ويعيش مخموم القلب يسعد بسعادة الآخرين.

ونظراً لما تعيشه الأمة اليوم من انحلال خلقي وخواء روحي وانحطاط فكري لبعدها عن تحكيم شرع الله تعالى وزيفها عن المنبع الصافي والنهج الوافي أصبح لزاماً على الدعاة مراجعة الخطاب الدعوي حتى يتم وضع المفتاح المناسب على قفل مآسي الأمة وتخطاتها الكثيرة والمتنوعة.



### ومن هنا فإن دواعي التجديد في الخطاب الدعوي كثيرة منها :

**أولاً:** غياب بعض معالم الدين، حيث ظهر بعض الفلسفات والتقاليد والعادات التي غيرت فهم الناس لكثير من حقائق الإسلام، وظهر ذلك جلياً بكثرة الفساد واتساع رقعة الانحراف، وتفشي البدع والضلالات، وانفتاح بلاد المسلمين أمام الفلسفات والثقافات والعادات الغربية السلبية المستوردة من سائر الديانات والثقافات الأخرى<sup>(١)</sup>.

فالخطاب الدعوي المعاصر واقع بين من طمس بعض معالمه، حتى لا تتضح لمن ينظر فيها، ومن اقتطع منه شيئاً؛ فنقصت بذلك مكوناته، ومن أضاف إليه فاختلفت صورته.

**ثانياً:** نحن في عصر تصاعدت فيه موجات الكراهية والتطرف والعنف والإرهاب والتكفير التي انتشرت - دون علم أو معرفة بطبيعة هذا الدين - تحت دعاوى باطلة تتخذ من الإسلام مرجعية لها وذلك يستدعي أن نجعل من تجديد الخطاب الديني، - بصورة عامة - قضيةً تصدر القضايا المهمة التي نوليها قدراً كبيراً من اهتماماتنا.

### «فقد ظهرت أربع أنواع من الخطابات الدعوية التي تدعي التدين وهي:

- ١- الخطاب الانتحاري «التكفير المؤدي للتفجير».
  - ٢- الخطاب الانبھاري «الانبھار بالغرب وسلوك مسلكهم وترك الدين».
  - ٣- الخطاب الاجتراري «يجرون للدعوة مشاكل الماضي...».
  - ٤- الخطاب الاشتجاري «يبحث عن مواطن الخلاف»<sup>(٢)</sup>.
- وكل ذلك يستلزم التجديد في الخطاب لإبعاد الزيف عنه.

(١) الحفاظ على الهوية الإسلامية في إطار التجديد، عبد السلام جعفر، نشر المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص ٦٢ وما بعدها بتصرف.

(٢) ترشيده العمل الدعوي المعاصر د. عصام البشير.



**ثالثاً:** الخلل في فهم مراتب الأعمال الشرعية في الخطاب الدعوي، ومن مظاهر ذلك تركيز الوعّاظ والخطباء على الأمور الفرعية، وتعظيم الأمور فوق تعظيم الشرع لها، وتهوين الأمور العظيمة التي عظمها الشرع؛ كقضية الإيمان وغرسه في القلوب، والتخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وإهدار مصالح الخلق، وأكل أموال الناس بالباطل، وغير ذلك من القضايا الأساسية<sup>(١)</sup>.

**رابعاً:** عدم تقدير المصالح والمفاسد في بعض ألوان الخطاب الدعوي في الفتاوى والأحكام الشرعية، من غير نظر إلى مآلات الأمور، وقراءة الواقع قراءة جيدة، قال شيخ الإسلام: «فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فيُنظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل منه المفاسد أكثر؛ لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته»<sup>(٢)</sup>.

**قال ابن القيم:** «لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم؛ أحدهما: فهم الواقع والفقهاء فيه. الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يُطبق أحدهما على الآخر»<sup>(٣)</sup>.

**خامساً:** ظهور بعض الأحداث المستجدة التي لم تكن موجودة من قبل، قال الشاطبي: «فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا يكون منصوصاً على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، فإمّا أن يُترك

(١) خطبة الجمعة في العالم الإسلامي ملاحظات لابد منها، محمد عماد، كتاب الأمة، ص ٦١ بتصرف واختصار.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية ص ٤١.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٨٨.



الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضاً اتباع للهوى، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً، وهو مؤدّ إلى تكليف ما لا يطاق، فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان؛ لأن الوقائع لا تختص بزمان دون زمان<sup>(١)</sup>.

**سادساً:** شيوع الأمية الدينية، والغزو الثقافي الهادف، والأزمات الاقتصادية الطاحنة، واستعمار الفتن الصارفة جعل المسلم المعاصر يتعد عن ينابيع الإسلام الصافية لضيق الوقت، وكثرة العقبات والصوارف، ولم يبق له من صلة بحقائق الدين إلا الخطاب الإسلامي الذي يصله من خلال خطبة الجمعة، أو التدريس الديني، أو من وسائل الإعلام، وهذا حال الخطّ العريض في المجتمع الإسلامي، غير أن ذلك لا ينفي وجود قلة قليلة من الشباب طلبت العلم من ينابيعه الأصيلة، ولم تتأثر بالخلل في الخطاب الديني.



## المطلب الخامس

### مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر وعلاجها

ولكي نصل إلى ما نصبو إليه من التجديد في الخطاب الدعوي لا بد من استجلاء أخطاء الخطاب الدعوي الحالي، ومن أهم هذه الأخطاء ما يلي<sup>(٢)</sup>:

#### ◆ أولاً: النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين:

فكثير من الدعاة ينقلون من كتب أهل العلم دون أن يراعوا حال المخاطبين، فيقع التنافر الشديد بين الطرح وبين عقلية المتلقي.

(١) الموافقات في أصول الشريعة ٤/١٠٤.

(٢) ينظر: مقال: تجديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، د. عطية عدلان، منشور على موقع الألوكة، باختصار.





وليس المطلوب إخفاء الحقائق السمعية أو التنكر لما قد يتنافى مع مفاهيم بعض الناس من حقائق الدين، وإنما يتطلب منا أن نفرق بين ما هو شرعي ومتفق عليه وبين الاجتهادات البشرية التي قد تكون خطأ وقد تكون صواباً، فالنصوص الشرعية ثابتة لا مجال للخوض فيها، والاجتهادات البشرية - التي هي اجتهادات مجموعة من العلماء - متغيرة تبعاً لتغيرات الزمان والمكان.

وفي بعض الأحيان ترى بعض الدعاة يتقصبون شخصية أحد العلماء القدامى، فإذا تكلم أحدهم في موضوع ما فلا بد أن يأتي بكل الروايات والأقوال التي تتعلق بهذا الموضوع، سواء كانت صحيحة أم ضعيفة، والداعية العاقل يميز الصحيح من السقيم، وينقي كلامه من الروايات والأقوال الضعيفة التي لا تفيد عند التحقيق.

بل إن الداعية الواعي الحكيم قد يتوجب عليه أحياناً أن يكتفم بعض ما يعلم أو يسكت عن بعض ما قرأه أو سمعه، ولا يسارع إلى تبليغه وإذاعته؛ لعلمه أن الوقت أو الظرف لا يناسب، أو أن المخاطب لا يرقى إلى فهم ما يُطرح.

**فقد بوب البخاري في صحيحه باب بعنوان:** من خص قوماً بالعلم دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وذكر ابن حجر<sup>(١)</sup> تحته قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح مسلم: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»<sup>(٢)</sup>.

**وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:** «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»<sup>(٣)</sup>.

**ويقول ابن القيم:** «من أفتي الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم

(١) فتح الباري ١/ ٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٧).



وعوائدهم وأزمتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمتهم وطبائهم بما في كتاب واحد من كتب الطب»<sup>(١)</sup>.

### ◆ ثانياً: الانفصال بين الخطاب الدعوي وواقع المجتمع:

فلا يتعرض الدعاة لمشكلات المجتمع ومتطلباته، مما جعل تلقي الناس له مقطوعاً عن الاستجابة والعمل، فالمجتمع لا يمكن أن يتفاعل مع ألوان الخطاب الدعوي حتى يشعر فيها بالطابع العملي التفاعلي، وحتى ترتبط بهومومهم وطموحاته، وحتى يكون فيها العلاج لمشكلاته وأزماته، أما أن تظل المواعظ المجردة محلقة في سماء الدعوة فهذا يعني أنها ستظل في عليائها محلقة مرفرفة دون أن تحرك الواقع أو تؤثر فيه.

### ◆ ثالثاً: سيطرة المذهبية الفكرية والفقهاء على عقلية الداعية:

وهذا يؤدي إلى صبغ الخطاب الدعوي بصبغة حزبية، تضطر المخاطب إلى التكبير باتخاذ موقف نفسي من طرح الداعية، وتقلل من قناعة المدعوين بما يقول، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى تخلف الاستجابة.

فقد تحول الخطاب الدعوي من البلاغ العام بدعوة الإسلام، إلى بوق لنصرة القضايا الحزبية والمواقف والآراء الحزبية أو الفقهاء؛ وهذا المسلك يُضيق على المخاطبين بالدعوة ما وسَّعه الدين عليهم، فتنفر منه فطرهم، وتأباه طباعهم، ومن ثم لا يتأثرون به، بل ربما يكون لديهم موضع تهمة.

### ◆ رابعاً: الاختلاف الكثير بين الدعاة:

كثرة الخلافات بين الدعاة في كثير من القضايا والأحكام يثير الاضطراب والارتباك

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٦٦.



لدى الجمهور؛ مما يؤدي إلى ما يشبه الفوضى الفكرية والفقهية، وهذا بلا شك يؤدي إلى نتائج سيئة، تبدأ من تأخر القناعات، وتنتهي بتخلف الاستجابة.

فلا بد من أن نضيق من دائرة الخلاف، ونخفف من حدته، ونجعله مقصوراً على الفروع دون الأصول، ونضطره -قدر الإمكان- إلى أن يكون محصوراً في دهايز البحث العلمي وأروقة الدراسات الأكاديمية، ونحفه بكوكبة من آداب الاختلاف، ونجتهد في التماس الحق والتجرد له بقطع النظر عن هوية قائله، وهذا يستلزم إخلاصاً شديداً وتجرداً فريداً.

أما أن نفرح بالخلاف أو نفتعله، ثم نصوغه في مساجلات ومناظرات، ثم ننشره في سماء الدعوة وفضاء الإعلام؛ فهذا هو الخطر الأسود الذي يرتدي ثياباً بيضاً. صحيح أن الداعية قد يضطر إلى الرد والدفع، وذلك إذا ما كان هناك من يعبث بحقائق الدين عبثاً لا يصح السكوت عليه، ولكن ليكن هذا بقدر الضرورة، ولا يكون ذريعة لتلبية داعي الهوى في النقد والتجريح والتهجم على الناس.

#### ◆ خامساً: التركيز على قضايا غير معاصرة:

فيركز الدعاة على قضايا مما قد سبقت معالجتها في الماضي، ويترك ويتجاهل القضايا المعاصرة، وهو لون من ألوان الهروب من المواجهة، ولا يفعل هذا إلا من لا يتحمل المسؤولية الدعوية، ومن يعيش الماضي ولا يكثرث بالحاضر، ومن يضيع رسالة الإسلام في كلام غير مفيد ولكن يبدو وكأنه مفيداً عنده.

إن السابقين يوم أن بالغوا في الاهتمام ببعض المسائل، كانت تلك المسائل يومها تمثل فتنة عصرهم وقضاياها الساخنة، ونحن أيضاً لدينا قضايا معاصرة تحتاج منا أن نتصدى لها ونعالجها بنفس الاهتمام الذي عالج به السابقون قضاياهم، مثل قضايا



تطبيق الشريعة، والدفاع عن المسلمين المستضعفين، وتحرير الإنسان من الآلهة الجديدة التي استعبدته.

ولا يعني هذا ترك القضايا القديمة تركاً كلياً، وإنما المقصود هو ألا تأسرننا وتستولي على اهتمامنا على حساب قضايا أكثر منها خطورة.

### ◆ سادساً: الغفلة عن طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الخلق:

كثير من الدعاة يبني وعظه وإرشاده على طريقة واحدة كالترهيب والترغيب، ويغفل عن طريقة القرآن التي تتسم بالشمولية والعمق، فالقرآن هو كتاب الله الذي نزل لإسعاد البشرية وهدايتها، وهو خطاب من خلق الإنسان ويعلم أسراره وأحواله وما ينفعه وما يضره، ويعلم مداخل نفسه ومسارها، فلا شك أن طريقته في خطاب الناس ودعوتهم أسلم طريقة وأقربها لفطرة هذا الإنسان.

فينبغي على الداعية أن يسترشد بطريقة القرآن، في مخاطبته للفطرة، وفي ربط الإنسان بالكون وما فيه من آيات، وفي طريقته في الإقناع، وفي جمعه بين مخاطبة العقل ومخاطبة المشاعر، وفي بنائه على قاعدة الربوبية المتمثلة في الخلق والرزق والإنعام، وغير ذلك مما تميز به الأسلوب القرآني في الخطاب والإقناع.

### ◆ سابعاً: قصر الخطاب الدعوى على المستقيمين:

في كثير من الأحيان يقتصر بعض الدعاة على الشباب المستقيمين القريب من الدعاة والمتعاطف مع الإسلام بطبعه، وإغفال البقية ممن هم أحوج إلى ذلك الخطاب.

ولذا يلاحظ أن الأسلوب المتبع لا يتغير، لأن الفئة المستفيدة منه واحدة، وقد تصل رسالة خاطئة للدعاة من خلال ما يروونه من الحماس لدى من يستمعون إليهم،



فيستمرون في نفس الاتجاه بنفس الأساليب والوسائل لظنهم أن الدعوة تؤتي أكلها بسبب ذلك الاستحسان الملاحظ على وجوه المخاطبين، أو المسموع ثناءً من بعضهم. والنتيجة جهود مهدرة، وشحن زائد دون منهج علمي يراعي التكامل والشمول في محتوى الخطاب الدعوى، وكذلك تداول محدود للمعرفة والدعوة إلى الخير، وغياب الجزء الأكبر عن مواطن الإصلاح وسُبل الهداية.

#### ◆ ثامناً: عدم وضوح الرؤية لدى الداعية:

فمن الملاحظ أن الخطاب الدعوى عند كثير من المتحمسين للدعوة خطابٌ لا يمكن توقع أو حساب طريقه أو مسلكه، فهو خطاب مضطرب، مرّة يبشر ويتفاءل بشدة، وفجأة ينفر ويسخط ويتشاءم، مرّة يتحمس ويقوى، وأخرى يضعف ويحبط وينهزم!! ومرات كثيرة يحتار بماذا ينطق؟

إن مرد ذلك كله إلى عدم وضوح المنهج، ذلك المنهج النبوي المنضبط، الذي يجعل أصحابه غير محتارين لأنهم لم يفاجئوا بالأحداث، ويعرفون طبيعة الطريق.

#### ◆ تاسعاً: فقدان أو ضعف القدرات والمهارات الخطابية:

كالقدرة على الإقناع، والقدرة على جذب الانتباه، والقدرة على التأثير وإثارة المشاعر، ومهارة تصريف القول بين وعظ وإقناع وسرد وتقرير وغير ذلك.

وعلاج هذه المشكلة يكون بدراسة تلك المهارات والتدريب عليها وقراءة سير الناجحين فيها مع الرجوع إلى مصادر مثل بعض كتب التربية وطرق التدريس وفن الخطابة، مع الاستماع الكثير إلى أرباب هذا الفن، دون تقمص لشخصياتهم.



### ◆ عاشرًا: الخضوع لضغط الواقع والانسياق تحت سطوته :

الأمر الذي حداً بالبعض من الناس لأن يفسر الشرع في ضوء الواقع البشري المتقلب، ومن ثم فهو يخضعه لتقلباته، ويجعله تابعاً له، وهذه آفة معيبة وسوأة مشينة. إن الشرع نزل ليصحح الواقع البشري، وإنه لجدير بالعلماء والدعاة أن يخضعوا الواقع للشرع ويحددوا درجة انحرافه أو استقامته بمقاييس الشرع، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].



## المطلب السادس

### أسس الخطاب الدعوي المعاصر<sup>(١)</sup>

#### أولاً: الأصالة المنهجية الشرعية :

يقصد بالأصالة المحافظة على جوهر الدعوة؛ باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية، والتمسك بمبادئها الأساسية، والمعاصرة هي: تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه، بحيث تعالج واقعه، وتلبي متطلباته.

وسيرته ﷺ في تمسكه بأصالة دعوته لا يحد عنها، ولا يقبل مساومةً فيها، وفي ذات الوقت معالجته واقع عصره، وتخيره الأساليب النافعة لدعوته، واستخدام جميع

(١) ينظر: تجديد الخطاب الدعوي، مقال منشور على الشبكة، ومقال: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، د. جمال نصار، الشبكة.



أنواع الوسائل المشروعة المتوفرة في عصره، غير زاهد بشيء منها، أمرٌ لا يخفى على من اطلع على سنته ﷺ.

فأصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأية حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئاً منها يدخل في إطار التبديد، كطلب التجديد في العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنا والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها، وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبرٍّ وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة. وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة.

### كـ ثانياً: الشمول التكاملي المؤثر:

إنَّ بعض الدعاة انشغلوا ببعض قضايا الدين عن البعض الآخر، فأهملوا من العلوم ما الحاجة ماسة إليه، وبالغوا فيما يمكن التخفف منه، فأقحموا أنفسهم في شرنقة منغلقين على أنفسهم، ولا نعيب أن يتميز الداعية بالتخصص في جانب من جوانب الدعوة؛ ولكن الذي يؤسف أن يتهم غيره بالتقصير إن لم يسلك مسلكه ويسير على دربه، أو يهمل الجوانب الأخرى من الدين، ويحتقر من يتكلم فيها.

إن دين الله تعالى دين شامل لكافة جوانب الحياة العلمية والعملية، ولا ينبغي على الداعية بحال أن يهمل شيئاً من جوانب هذه الحياة بحجة أو بغير حجة.



### ﴿ ثالثاً: التوازن النسبي الملائم: ﴾

ويقصد به التوازن النسبي بين قدرات الداعية والعمل المسند إليه، والصلاحيات المخولة له، وهذا أمر جدير بالاهتمام، فكيف يوضع في مكانٍ من لا يحسنه، ثم بعد ذلك نتظر منه نتيجة طيبة؛ هذا أمر مخالف للواقع.

إن إسناد الأمور إلى غير أهلها مصيبة عظيمة، وتضييع للأمانة، وإهدار للحقوق، وتعطيل للقدرات والطاقات، وفي هذا يقول النبي ﷺ: **(فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)**، قال: كيف إضاعتها؟ قال: **(إذا وُسدَّ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)**(١).

### ﴿ رابعاً: الإقناع العقلي: ﴾

لقد دعا الإسلام إلى استعمال العقل والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء، والتمييز بين الصواب والخطأ، والحسن والقبیح، والحق والباطل، بالحجة والبرهان والافتناع، وليس بالتقليد الأعمى أو بالقسر والإكراه.

والإقناع العقلي للمدعوين، بما يسهم في تربيتهم، وتنمية القيم لديهم، وأن لا تقتصر الدعوة فقط على مجرد سرد للحقائق بدون مناقشة لها، وبدون إعطاء حرية التعبير، وإبداء الرأي من الطرف المقابل، حتى لو كان صغير السن، فبدون القناعة الشخصية لن نصل إلى حلول مع المدعوين، وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ.

### ﴿ خامساً: الحوار الهادف: ﴾

فالحوار يفتح الفرصة أمام المدعو للتعبير عن أفكاره وتصوراته المختلفة حول القضايا القيمية المعروضة للنقاش، وهو بذلك يكتشف صحتها وخطأها، ويعمل على نقدها وتقويمها بمنهج صحيح، ويطلع على آراء وتوجهات وأفكار أخرى نحوها،

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب (٥٩).





ويكشف المدفون من مشاعرهم وقيمهم ومخاوفهم وآمالهم، ويجعل المعلم معهم أكثر قرباً منهم، وشعوراً بهم، وتفهماً لأفكارهم وسلوكياتهم، ومن ثم يكون أكثر تحديداً لمنهج التخاطب معهم، واختيار أساليب التعليم والتوجيه المتبادل بينهم وبينه، فيشعرون بالقرب منه والمودة له، فتنشأ الثقة التي هي أساس التوجيه القيمي.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي قامت على المحاوراة والمناقشة؛ واستخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في كثير من تعليماته لإثارة انتباه المتعلمين، وتشويقهم إلى معرفة الجواب، وحضهم على إعمال الفكر فيه، وكان ﷺ في حوارهِ يدعم رأيه بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على صدق كلامه.

وقد تنوعت أسئلة الرسول ﷺ بين التشويق، والإغراء، والتحذير، والتعجب، والتقدير، والتعليم.

### سادساً: التيسير الشرعي المرغوب:

لقد اتسمت الشريعة الإسلامية بسمة اليسر والتيسير، قال جل شأنه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

وفي قصة الأعرابي الذي باب في المسجد قال النبي ﷺ: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد (٢٢٠)، وجامع الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض (١٤٧) واللفظ له.



فالتيسير مطلب شرعي، ومقصد من مقاصد الحنفية السمحة، وقوله ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا)<sup>(١)</sup>، وقوله: (إن الله لم يبعثني متعتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً)<sup>(٢)</sup>.

وأوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن فقال: (يسراً ولا تُعسراً، وبشراً ولا تُنفرأ)<sup>(٣)</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون»<sup>(٤)</sup>.

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه»<sup>(٥)</sup>.

### ﴿ سابعا: مراعاة الاختصاص: ﴾

فمن يريد أن يجدد في الخطاب الدعوي، لابد أن يكون متخصصاً في المجال الذي يريد أن يجدد فيه، حتى لا يكون مثل الذي يتحدث في الإسلام من غير أهله كالحلاق الذي اشتغل بمداوة المريض ومعالجة العليل، وهو لا يعرف عن الطب والجراحة شيئاً.

ونرى اليوم من يتجرأ على التجديد والدعوة من غير المؤهلين، فضلاً عمَّن لا علاقة لهم من قريب ولا من بعيد بالإسلام وعلومه وفنونه، ومن لا علم له ولا فقه

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٣٧٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر باليسر وترك التنفير (١٧٣٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (أنا أعلمكم بالله...) (٢٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباحثته ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله (٢٣٢٧).



ولا خبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص، وإنزالها في منازلها، ولا يدري شيئاً عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد والنسخ، والمصالح والمفاسد.. فالتجديد مهمة الراسخين في العلم، وأهل الحل والعقد في الأمة عبر المجامع والمؤتمرات العلمية الجامعة التي تتمتع بالاستقلال وحرية الرأي<sup>(١)</sup>.

فأحكام الإسلام ليست «بأقل حرمة من قضايا الهندسة، والطب والجغرافيا، فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يُفتنونا في أدق الشؤون الطبية ولا في أوضاعها فكيف نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات الإسلامية أن يفتنونا في شؤون ديننا»<sup>(٢)</sup>.

### ثامناً: الموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة:

الموضوعية تتطلب البحث عن الحقيقة، والتمسك بالحق بعيداً عن الأهواء والمزاعم الفاسدة، كالكِبْر والمذهبية والتقليد وغيرها، وذلك يتم من خلال ثلاث خطوات:

**الأولى:** استهداف الحقيقة: فالموضوعية تتطلب البحث عن الصواب والحق، قال أبو حامد الغزالي: «ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الصَّالَةَ لا يُفَرِّق بين أن تظهر على يده أو غيره»<sup>(٣)</sup>.

**الثانية:** الانطلاق من الحق: الذي يجعل المجدد يسعى في عمله على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الشخصية.

**الثالثة:** الأخذ بالحق دون المراوغة فيه: أو الاكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حدِّ الاعتراف النظري به.

(١) أدعياء التجديد مبددون لا مجددون، د. علي العماري، ص ١٣ بتصرف.

(٢) البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة دراسة مقارنة، د. عبد الله علي عبد الحميد، ص ١٦.

(٣) إحياء علوم الدين ١ / ٤٤



ومن هنا يتبين أن هذا الأساس من أهم الأسس اللازمة لتجديد الخطاب الدعوي وإعادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية؛ وذلك لأنه ضابط إيماني أخلاقي<sup>(١)</sup>.

### ﴿ تاسعاً: الأخذ بجميع النصوص: ﴾

الباحث المنصف لا يستطيع الوصول إلى الفهم الصحيح والتفسير الصائب لنص مقتطع من نسق فكري كامل دون مراعاة المجموع، أو تبيين الدلالة المستفادة من نص دون بحث عمّا يرتبط به من نصوص تفيد إطلاقه أو تخصيص عمومه أو تزيل ما يلابسه من خفاء أو إشكال... إلخ مما هو مقرر لدى أهل هذا الشأن.

فبعض المناوئين للإسلام يتهمون الإسلام بأنه دين قتال، وأنه انتشر بقوة السيف واعتمدوا على بعض نصوص الوحي المطلقة، وفسروها منفصلة عن بقية الآيات المقيّدة، ومن المعلوم لدى علماء الأصول في الشريعة أن المطلق يُحمل على المقيد إذا وردا في قضية واحدة، وذلك لأن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وقد رأينا بعض من يفتي بحرمة القيام لأهل العلم أو الوالدين وتقبيّل أيديهم لحديث سمعه يتصل بذلك، دون أن يُلمّ بالأحاديث الأخرى التي أباحت القيام لهم توقيراً وإجلالاً، ورأينا ممن يدّعون الإسلام من يحاول أن يثبت أن الإسلام خاص بالعرب وحدهم، وأنه دين جنس معين كاليهودية أو النصرانية وذلك حتى لا ينتشر الإسلام في دول العالم المختلفة.

### ﴿ عاشرًا: التركيز على القواعد الكلية والأصول الجامعة: ﴾

من أعظم التحديات التي يلاقيها الخطاب الدعوي الإسلامي في هذه المرحلة العصبية التي يجتازها، مواجهة علل الاختلاف والتفرق والتنازع التي أحكم الانحطاط والاستعمار غراسها في جسم الأمة.

(١) المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، يوسف بن عبدالله، ص ١٥٨.



والأصل أن البرنامج الدعوي مشروع جامع توحيدي، يجمع شعوب الأمة وقبائلها وجماعاتها ومكوناتها المتنوعة على كلمة سواء، ومقتضى هذا الأصل أن يلتزم الخطاب الدعوي في جميع الأحوال بنبذ «الطائفية»، وترسيخ معاني الوحدة وتوثيق أو اصر الوحدة والتعاون والتكامل على مختلف الأصعدة.

### الحادي عشر: احترام عقول المخاطبين:

ومعناه أن يحترز الداعية، من الخضوع لمنطق الشارع، والتورط في -أي شكل من أشكال- الإسفاف والسطحية والابتذال في الخطاب، لأن ذلك يحطّ من قدره وقدر ما يدعو إليه، فكلما استطاع الداعية أن يجتنب المقولات السطحية والألفاظ النابية والمعاني المبتذلة التي تمجّها الأسماع ولا تستسيغها الطباع، كان خيراً له وأهدى سبيلاً.

كما أن عليه أن يخضع دعوته لقواعد اللياقة وآداب الحديث، فلا يخاطب الناس بما يكرهون، ولا يسمّي الأشخاص، ولا يتقصّد نقد المخاطبين، ولا يبالغ في تبيّتهم وتحميلهم المسؤولية، ومواجهتهم بالأوزار والمثالب، ورمي الزمان بالنقائص والمعائب.. فهذا كله مما تكرهه النفوس وتنفر منه. وإنما ينبغي للداعية أن يكون مفتاحاً للخير، مجتهداً في ملامسة الأفكار الملهمة، والتبشير بالأمال الواعدة والحلول الممكنة. وقوأم النصح والإصلاح على الدوام، أن تخاطب الأمة -في كل شؤونها- بالمعروف وبيان تام، حتى تستطيع أن تفهم الذين يصارحونها بالحقائق أكثر مما تفهم غيرهم.

### الثاني عشر: البصيرة الفقهية:

وذلك بأن يكون واعياً لما يعظ به أو يدعو إليه من كتاب أو سنة، فقيهاً في أحكامهما، مستوعباً لمقاصدهما. وهذا يستوجب -من جهة- أن يكون الداعية ريباناً



في علوم الشريعة، وعلوم القرآن والحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلوم اللغة.. فمن لم يكن رياناً في هذه العلوم -وهي آلات العلم وموارد التفقه- تكلم في الدعوة بلسان قصير، وأفسد من حيث أراد أن يصلح.

ومن جهة أخرى، أن يكون عارفاً بواجب الوقت، ناظراً في تعيين المحل الذي يليق بما يدعو إليه؛ ومعرفة الأحوال الواقعة، ومراعاة العوائد والأوضاع الغالبة والمستقرة في الواقع الاجتماعي، ومعرفة حيل الناس وطباعهم وهمومهم واتجاهاتهم الثقافية، وأن ينظر إلى مآلات ما يدعو إليه بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، وهذا فن دقيق في التعليم والدعوة ضلّت فيه أفهام، وزلّت فيه أقدام.

### ﴿ الثالث عشر: البيان المبين ﴾

البيان هو المرتكز الأول والمعتصم الأكبر الذي ينبنى عليه التكليف والمسؤولية، ويترتب عليه الحساب والجزاء، ويعوّل عليه في تحقيق المقاصد العليا لهذا الدين؛ البيان الذي تقوم به الحجة، ويتم به البلاغ، ويصل به ما في خطاب الله لعباده من الهدى والسينات. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، قال ابن جرير: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي: ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه، ليثبت حجة الله عليهم، ثم التوفيق والخذلان بيد الله<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] قال الشيخ عبدالعزيز السلطان: «أي: لتعرفهم ما أنزل إليهم من الأحكام والشرائع وأحوال القرون المهلكة، وتبين لهم ما أشكل عليهم من الأحكام، وتفصل لهم ما أجمل؛ بحسب مراتبهم في الاستعداد والفهم لأسرار الشرائع»<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان للطبري ٥١٦/١٦.

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات لعبدالعزیز السلطان ١/٢٠٠.



وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]. قال ابن كثير: «يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها»<sup>(١)</sup>.

**وقال الرازي:** «ولا بد من الفرق بين البيان وبين الهدى وبين الموعظة لأن العطف يقتضي المغايرة وعلى ذلك:

**فالبيان هو:** الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت الشبهة حاصلة.

**وأما الهدى فهو:** بيان لطريق الرشد لئسلك دون طريق الغي.

**وأما الموعظة فهي:** الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد البيان بتصريفاته كثيراً في القرآن ونكتفي بذلك اختصاراً<sup>(٣)</sup>.

#### الرابع عشر: إحياء فقه الأولويات، وتربية الدعاة عليه:

فقه الأولويات هو فهم وإدراك رتب الأعمال والمشاريع الدعوية، ووضع كل شيء منها في مرتبته بالقسط، ثم تقديم الأولى فالأولى عند الازدحام، بناءً على ضوابط ومعايير شرعية صحيحة يهدي إليها العلم بالشرع والفهم للواقع، على نور من العقل السليم المسترشد بالوحي المعصوم، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، بل يقدم ما حقه التقديم، ويُؤخّر ما حقه التأخير، ولا يهول الصغير، ولا يُهوّن الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم، بلا بخس ولا طغيان، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٦/٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١١/٩ باختصار.

(٣) مفهوم البيان في القرآن والحديث، د. فاطمة بوسلامة.



## الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد:

وبعد هذه الجولة المهمة لمجموعة من القضايا المنهجية الدعوية في مسيرة العمل الدعوي، يمكن عرض أهم نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية:

### أهم نتائج القضايا المنهجية المتعلقة بالعتيدة:

من أهم القضايا المنهجية المتعلقة بالعتيدة: الإيمان والاعتقاد الصحيح أولاً، التكفير، وتحكيم الشريعة، والولاء والبراء.

١- **إن الإيمان والاعتقاد الصحيح أولاً في الدعوة** سبب لتحقيق ولاية الله سبحانه، وتطهير القلب من العقائد الباطلة، وعمارته بالعقائد الصحيحة، وتكفير الذنوب، والبعد عن الشهوات وتطهير القلب من شرها، وسبب في التحلي بالأخلاق الكريمة والبعد عن الرذائل، وهو الرابطة بين المسلمين، كما أن الإيمان دليل على صحة الفطرة لقبول الحق، الإيمان هو التحرر الحقيقي للإنسان من العبودية، وهو الذي يحدد منهج التلقي للإنسان، ويوضح الصلة بين الخالق والمخلوق من غير واسطة، وهو الطريق لعزة الإنسان، والاعتقاد بكرامة الإنسان.

٢- **التكفير** قضية خطيرة طالما أرقّت مضاجع الدعاة، وعكرت صفوهم، وعطلت حركتهم، بالخوض غير المنضبط فيها الذي من أهم أسبابه الجهل، واتباع الهوى، ردة الفعل من وقوع بعض من المسلمين في المكفريات، وقلة العلماء المعبرين، والغلو.



ومن أهم الأمور التي لا بد من التنبه لها تحذير الشرع من التكفير، والتفريق بين تكفير المعين والتكفير المطلق، ومعرفة موانع التكفير وهي: الجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل.

**٣- الحكم بما أنزل الله** والدعوة إليه، لا بد أن تراعى فيه مجموعة من القواعد والتي من أهمها: أن تحكيم واجب متعين على أهل البيان من العلماء الراسخين في العلم والدعاة إلى الله تعالى، وأن تكون الشريعة الإسلامية المنطلق في جميع شؤون الحياة العقدية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وأن كل ما وافق الشرع فهو مشروع وإن لم يرد به دليل خاص، وأن إقامة الحدود والعقوبات من الحكم بما أنزل الله، وأن الحكم بالشرع يسير وفق قواعد السياسة الشرعية، ومن الحكم بالشرع التدرج في إقامة الدين، مع التنبيه إلى أن الحكم بغير ما أنزل الله يكون كفراً ناقلاً عن الملة، في عدة صور بينها العلماء، وليس كل الصور تعتبر كفراً مخرج من الملة، فقد يكون العدول عن تحكيم الشريعة عصياناً وهوى.

**٤- الولاء والبراء في العمل الدعوي** من ركائز الدعوة إلى الله التي ينبغي وضوحها عند الداعية لتصحيح دعوته وتقويتها وضمان استمرارها وتأثيرها، بحيث يقتضي الولاء المحبة والنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين، وبحيث يقتضي البراءة من الشرك وأهله، ومن المنافقين، ومن عصاة المسلمين بحسب ما فيه من الشر، وكذلك البراءة من المناهج الوضعية والقوانين الأرضية، وكل طاغوت يعبد من دون الله، سواء كان بشراً أو حجراً أو وثناً أو غير ذلك، من أهم نماذج الموالاتة التي تعد ناقضاً من نواقض الإيمان: موالاتة المشركين ومظاهرتهم على المؤمنين، وطاعتهم واتباعهم في التحليل والتحريم واتباع أهوائهم، ولتشبه بالمشركين فيما يوجب الكفر والخروج عن الملة.



### ◆ النتائج المتعلقة بأهم القضايا المنهجية المتعلقة بفقه الدعوة:

من أهم القضايا المنهجية المتعلقة بفقه الدعوة: فقه الثواب والمتغيرات في العمل الدعوي، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وفقه النوازل والواقع والتدرج والأولويات والمآلات.

٥- **الثواب يقصد بها:** النصوص القاطعة ومواضع الإجماع؛ التي لا يجوز الخروج عنها ولا المنازعة فيها، سواء كانت في العقيدة أم في الأخلاق، أم في الأحكام، وسواء كانت مقررة لغة أم شرعاً أم عقلاً، ويُعد الخارج عنها خارج عن جماعة المسلمين، ومتبعاً لغير سبيل المؤمنين. **وأما المتغيرات فهي:** الأحكام التي تتغير حسب الزمان والمكان، وحسب الأشخاص والأحوال، لتحقيق المقاصد العامة للشريعة، ومبادئها الكلية، ومراعاة الظروف والمناسبات، ولا تخرج عن إطار الشريعة.

٦- **وفقه الموازنات بين المصالح والمفاسد يقصد به** ترجيح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين لتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما. وتكمن أهمية في أنه من مقتضيات البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى المأمور بها فيوازن بين المصالح أو المنافع أو الخيرات المشروعة بعضها وبعض، ويوازن كذلك بين المفاسد أو المضار أو الشرور الممنوعة بعضها وبعض، ويوازن بين المصالح والمفاسد إذا تصادمت وتعارضت.

٧- **مع التنبية لقواعد مهمة في الموازنة بين المصالح والمفاسد، ومن أهمها:** أن الشريعة مبناه على تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة، وأن المصلحة المعتبرة هي التي تحافظ على مقصود الشارع، وأن النظر إلى المصلحة والمفسدة يكون بميزان الشرع لا بالأهواء، مع مراعاة

قاعدة سد الذرائع، والنبية إلى أن تحديد المصالح والمفاسد أمر نسبي، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن المعيار الصحيح لإدراك المصالح والمفاسد هو الكتاب والسنة.

٨- ومن المرجحات التي يمكن ذكرها هنا لعملية الموازنة: ترجيح الشارع لجنسٍ أو نوع من العمل على غيره، والنظر في قيمة المصلحة وترتيبها، والنظر في العموم والخصوص، والنظر في المآلات، وتوقُّع حصولها من عدمه، ومدى قوة حصول المتوقَّع.

٩- **والمقصود بفقهِ النوازل:** معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة الملحَّة، والنوازل منها الفقهية ومنها العقدية واللغوية والتربوية، ومنها الكبرى المتعلقة بالقضايا المصيرية التي نزلت بأمة الإسلام، ونوازل أخرى دون ذلك، ونوازل عمت بها البلوى، ونوازل يكثر وقوعها ونوازل يقل وقوعها.. ونوازل لم يسبق وقوعها من قبل، ونوازل سبق وقوعها من قبل، لكنها تطورت .. ولكل منها أحكاماً في التعامل معها.

١٠- ومن أهم التنبهات للداعية في فقه النوازل: اعتماد منهجية التصور ثم التكييف ثم التطبيق، مع الانسجام مع المصالح العليا بحيث لا يفضي تحصيل المصلحة الجزئية إلى تفويت مصلحة عظمى، مع التنبيه لخطورة التصدي للفتية في النوازل، ومراعاة الزمان والمكان والحال والنيات والعوائد في النازلة، والتعرف على مصادر فقه النوازل ومنها المصلحة المرسلة والاستحسان وسد الذرائع والاحتياط، وعموم البلوى، والعرف، ومن التنبهات المعرفة بمقاصد الشريعة ومراتبها، والحذر من الخلل التأصيلي في الفتيا المعاصرة، والبحث في المسائل النازلة فقط وترك ما لم يقع، وأن تكون النازلة من المسائل التي يسوغ النظر فيها وليست المسائل التي ورد بها النص؛ إذ القاعدة فيها: (لا مسأغ للاجتهد



في مورد النص، ومن المهم كذلك ذكر دليل الحكم في الفتوى النازلة، وأن يبين البديل المباح عند المنع من المحذور، مع التمهيد في بيان حكم النازلة).

١١ - **فقه الواقع** من البصيرة التي أمر الله بها نبيه ﷺ - وهو حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها وتجميع عناصرها السابقة وربطها في محاولة لإدراك الكل، كما هي استعداد ذهني لاستيعاب الأحداث والتفاعل معها بشكل صحيح، وهذا أمر مهم جداً أن يدركه الداعية حتى يقيم دعوته بواقعية من غير إفراط ولا تفريط.

١٢ - ومن أهم ضوابط فقه الواقع أن فقه الواقع يستدعي بحثاً ووعياً، وأنه يُؤكل فهم الواقع والحكم فيه لأهل التخصص الذين يملكون أدواته، مع ضرورة معرفة منهج السلف في التعامل مع الواقع، ومعرفة القواعد المتعلقة بمقاصد الشريعة، والمعرفة بأمور الدين والدنيا، ومعرفة أحوال المدعويين.

١٣ - **فقه التدرج** يعني التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً؛ للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه؛ وفق طرق مشروعة مخصصة، والدعوة إلى الله تعالى مبنية ومؤسسة على سنة التدرج والمرحلية، وله صورتان، التدرج في الدعوة والبلاغ، والتدرج في التطبيق.

١٤ - **لا بد من التدرج في عرض موضوع الدعوة**، بحيث يكون البدء بالتوحيد، ثم التشريع، وكذلك التدرج في الوسيلة والأسلوب، والتدرج مع فئات المدعويين، والتدرج في الإعلان والصدع بالدعوة، والتدرج مع المسلمين وغير المسلمين.

١٥ - **ومن التنبيهات المهمة في تطبيق التدرج في الدعوة إلى الله: العناية بالتجارب السابقة والمعاصرة في التدرج**، وأن التدرج يكون في المأمورات والمنهيات، وليست العبرة بالزمن في التدرج وإنما في تحقيق الهدف في مرحلة ما، وأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى يكون وفق سنن الله في التغيير، وقد تتداخل

مراحل الدعوة وتسير في خطى واحدة، ولا بد من التخطيط الجيد في التدرج.

١٦- **فقه الأولويات الدعوية** هو العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالدعوة التي لها حق التقديم على غيرها، بناء على العلم بمراتبها وبالواقع الذي يتطلبها.

١٧- وفقه الأولويات الدعوية له مقدمات منهجية لا بد أن يراعى فيه تعدد وتنوع اعتبارات الأولوية من حيث الزمان والمكان، وما يطرأ من أمر استثنائي، أو يعرض من حال خاصة، أو ما يقع مما يعسر الاحتراز عنه، أو تعم البلوى به، وكذلك لا بد أن يكون ميزان الترجيح بين الأولويات نقلية من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ؛ مع العناية بمعيار المقاصد الشرعية، والمصالح المرعية، ومصادر التشريع الثانوية؛ كسدِّ الذرائع، أو فتحها... وغيرها. ومعيار المشتركات العامة؛ من تجارب الدعاة من لدن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وإلى اليوم، ويقتضي فقه الأولويات موازنةً في الخطاب بين المصالح والمفاسد، ومقابلةً بين المنافع والمضار عند التزاحم، وإدراكاً لمقاصد الشريعة ومعانيها الكلية التي لأجلها شرعت الأحكام، والتي على أساسها تترتب مصالح الأنام.

١٨- **ومن أهم ركائز فقه الأولويات الدعوية: أولوية: إخراج العباد من عبادة العباد إلى**

**عبادة رب العباد**، والعمل التربوي وإصلاح النفس قبل قتال الأعداء، والرد إلى الأمر الأول، والانتماء إلى أهل السنة قبل الانتماء لطائفة من طوائف الدعوة، والتأصيل والأصالة مع التجديد والمعاصرة، والكيف المنظم على الكم المبعثر، وتقديم الفرائض على النوافل، وتقديم النفع العام على النفع الخاص، ودرء المفاسد على جلب المنافع، وتقديم الدنيا على الآخرة، والعلم قبل القول والعمل، وتقديم فرض العين على فرض الكفاية، وتقديم الأعمال الأكثر أجراً والأكثر نفعاً.

١٩- **فقه المآلات** يتلخص في إدراك العواقب، ثم الإقدام أو الإحجام بناء على ذلك



الإدراك، وهو داخل دخولاً أولياً في الحكمة في الدعوة إلى الله المأمور، ومن أهم أسباب إغفاله: الاعتماد على العاطفة والارتجال بدل الفهم والتأصيل، وعدم إلمام الداعية بأنواع الفقه الدقيقة التي تخدم مجاله، وعدم مراعاة الترتيب في وسائل الدعوة وتغيير المنكر، وانعدام الواقعية في الطرح وفي الحلول.

## ٢٠- ومن أهم التنبيهات المنهجية في اعتبار فقه المآلات في الدعوة إلى الله، مخاطبة

**الناس بما هو من شأنهم**، وبما يناسبهم وينفعهم، وبما يقدرون عليه، وأهمية التدرج في الدعوة من الأسهل إلى السهل، ومن الشديد، إلى الأشد، وأن النظر في المآلات مرتبط بنصوص الوحي، وأن فقه المآلات لا بد فيه من الرجوع للعلماء، وأن التشديد في العناية بفقه المآلات لا بد من مراعاته في القضايا العامة، والعناية بطرق تحصيل فقه المآلات الدعوية، وارتباط فقه المآلات بأنواع من الفقه، وأهمية الرفق، والحكمة، والمشورة، والتفكير في فقه المآلات، وأن المعرفة بضوابط وشروط وقيود اعتبار فقه المآلات، مع النظرة الشمولية للمآلات.

## ◆ النتائج المتعلقة بالقضايا المنهجية في التعاملات الدعوية :

من أهم القضايا المنهجية في التعاملات الدعوية: فقه الهجر، وفقه الحكم على الآخر، وفقه الائتلاف والاختلاف في الدعوة إلى الله.

## ٢١- فقه الهجر من الأساليب الدعوية المنهجية التي يقع فيها الإفراط والتفريط سواء

بين الدعاة أو بين الدعاة والمدعويين، فقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في عدم جواز هجران المسلم للمسلم فوق ثلاث ليالٍ لأمر دنيوي، أما الهجر ديانة أي الهجر لحق الله تعالى، وذلك في هجر السيئة، وهجر فاعلها، وقد ورد في ذلك نصوص نبين جوازه للمصلحة، ولكن هذا الهجر الشرعي له ضوابط منها: مراقبة الله تعالى في الهجر، ووجود سبب الهجر وانتفاء المانع، وأن يكون الهجر



محققاً للغايات الشرعية، ومراعاة المصلحة والمفسدة المترتبة على الهجر، ومراعاة حال المبتدع، ومراعاة درجات البدعة ومراتبها، مع مراعاة الهجر الجميل الواجب على الداعية، فالهجر الجميل الذي لا عتاب معه ولا غضب، ولا هجر ولا مشادة، وله شروط ثلاثة: الهجر يكون حيث اقتضت المصلحة، وهجر لا أذى فيه، وهجر الإعراض عن أقوال وأفعال المكذبين مع الاستمرار في دعوتهم.

**٢٢- فقه الحكم على الآخر** له ضوابط كثيرة من أهمها الخوف من الله ﷻ عند الكلام على الآخرين، وتقديم حسن الظن بالمسلم، والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل إنصاف، وأنه لا يحكم على الناس إلا عالم بطرائق النقد، ومحاكمة الناس بالكتاب والسنة لا بمنهج الرجال والطوائف، وأن العبرة بكثرة الفضائل، ولا يحل الحكم بالمحتمل، وكلام الأقران لا يقبل إلا برهان، ومراعاة المصلحة أو المفسدة المترتبة، ومعرفة المنهج الصحيح في الحب والبغض، ولا يحل الحكم بلازم القول أو الفعل.

**٢٣- فقه الائتلاف والاختلاف في الدعوة إلى الله**، من القضايا المنهجية العظيمة في الساحة الدعوية ولها أسباب كثيرة، وكذلك آثار وخيمة، والخلاف إما أن يكون خلاف تنوع أو تضاد، ومنه ما يقتضي عداوة وشقاقاً، ومنه ما لا يقتضي عداوة وشقاقاً.

**٢٤-** والحكم في قضية الاختلاف يختلف باختلاف نوع المخالفة، فأصول الدين التي تثبت بالأدلة القاطعة لا مجال للخلاف فيها مطلقاً، وكذلك الفروع المعلومة من الدين بالضرورة ليست موضوعاً للخلاف، أما الفروع الاجتهادية التي قد تخفى أدلتها؛ فهذه الخلاف فيها واقع بين الأمة ويعذر المخالف فيها؛ لخفاء الأدلة أو تعارض ظاهرها.

**٢٥-** ومن أهم معالم فقه الائتلاف والاختلاف بين الدعاة: بيان المقصود الحقيقي



للوحدة والائتلاف في الدعوة، وهو: الاعتصام بأصول أهل السنة والجماعة عامة، والاجتماع على صحة المعتقد خاصة، والالتقاء على أصول الدعوة وتبنيها علمياً وعملياً، وأن الاجتماع على هذا الانتماء المبارك أنجح من الاجتماع على راية حزبية أو دعوة إقليمية.

ومن المعالم كذلك أن النظرة المتبادلة إلى الاختلاف في العمل الإسلامي نظرة تعدد وتخصص، وليست نظرة تفرق وتمزق، وأنه لا يلزم من وقوع الاختلاف ووقوع التهاجر والفرقة، ووجوب التزام أدب الخلاف، وإحسان الظن بالدعاة، وعدم الإنكار على عمل المجتهد، والحذر من تتبع الدعاة مواقع الخلاف ونشرها، والحذر من التعصب، والعمل على رفع الخلاف بالوسائل الشرعية، والإنصاف مع المخالف، والتثبت ومعرفة لغة المتكلم وحقيقة رأيه، والتخلص من سلطة الأتباع.

### ◆ النتائج المتعلقة بالقضايا المنهجية في آليات الدعوة:

من أهم القضايا المنهجية في آليات الدعوة: التربية والتزكية في العمل الدعوي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفع الظلم وكلمة حق عند سلطان جائر، والجهد وعلاقته بالدعوة، والدعوة إلى الله بين السرية والجهرية، والدعوة إلى الله والعمل السياسي، وفقه التعامل مع الشبهات.

٢٦- **التربية والتزكية في العمل الدعوي** هي عملية نقل المعلومات الذهنية من حيز الإدراك الجامد إلى حيز التطبيق العملي الحي، بصورة متدرجة، ومتأنيّة، ومتكاملة، ومتوازنة، ومستمرة، وبطريقة عميقة جذرية مؤثرة، ومن أهم معالم في التزكية والتربية: توحيد مصدر التلقي في التربية والتزكية، والتربية على الربانية بربانية، والتربية على الوسطية بوسطية، وموافقة النصوص الشرعية لفظاً ومعنى في التربية والتزكية، ومراعاة أحوال المدعوين في التربية.



٢٧- ومن ثمرات التزكية والتربية: المبادرة والمسارة لفعل الخير، تقوية الوازع الداخلي، والزهد في الدنيا، والتأييد الإلهي، وإيقاظ القوى الخفية في النفس، والرغبة في الله، واختفاء الظواهر السلبية وقلة المشكلات بين الأفراد، والتأثير الإيجابي في الناس، واتخاذ القرارات الصعبة، والشعور بالسكينة والطمأنينة.

٢٨- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، مكمن عز الأمة وعنوان خيريتها، وحفظها ونجاتها، ولكن من المحم معرفة شروط إنكار المنكر وهي: التحقق من كونه منكراً، وأن يكون المنكر موجوداً في الحال، وأن يكون ظاهراً من غير تجسس ما لم يكن مجاهراً، وأن يكون الإنكار في الأمور التي لا خلاف يعتبر فيها.

٢٩- أما مراتب إنكار، فالمرتبة الأولى الإنكار باليد وشروطه حصول القدرة، وألا يزول المنكر إلا باليد، وألا يزول بيد فاعله لامتناعه ونحوه، وألا يؤدي التغيير باليد إلى إثارة فتنة أو مفسدة أو منكر أعظم، وألا يترتب عليه من الضرر ما لا يحتمل في النفس أو الغير، وأن يقتصر في التغيير على القدر المحتاج إليه من غير زيادة، والمرتبة الثانية: الإنكار باللسان وله أربع وهي: التعريف باللين واللطف، ثم النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى، ثم الغلظة بالقول، ثم التهديد والتخويف، والمرتبة الثالثة التغيير بالقلب وهو لا يسقط أبداً وهو الأصل لتغيير المنكر بمراتبه المختلفة، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

٣٠- ومن أهم التنبهات المنهجية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن الشرع هو الأصل في تقرير المعروف والمنكر، وإن الميزان في كون الشيء معروفاً أو منكراً هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، الثابتة عنه، وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة، وأن هذه الفريضة تجب على الفور وتتعين في مواضع، وأن يكون الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر عالماً بما يأمر به وبما ينهى عنه، وتقديم الأهم على المهم، واعتبار المصالح والمفاسد، والتثبت في الأمور وعدم العجلة،



ومطابقة القول بالعمل، والصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميعهما.

**٣١- رفع الظلم وكلمة الحق عند سلطان جائر** من الواجبات الدعوية على الدعاة فإن صلاح المسلمين في الجملة بصلاح حكامهم وأمرائهم، فالواجب على الدعاة والعلماء تجاه أئمة الجور لرفع الظلم: عدم إعاتتهم على ظلمهم وتصديقهم في كذبهم، والسعي في رفع الظلم ومنعهم منه، أو تخفيفه وتقليله ما أمكن، وإعانة أئمة الجور والتعاون معهم في جوانب الخير التي تعمُّ مصلحتها دين المسلمين وديانهم، وإنفاق الأموال السلطانية التي أخذت ظلماً ولا يُعلم أصحابها في مصالح المسلمين العامة، وإخلاص النية في كل ما سبق، وأن يكون المراد هو إعلاء الدين، وليس الجاه أو المنصب أو الشهرة أو إظهار الشجاعة، ومراعاة الآداب في مناصحة الأئمة عموماً، وأن كلمة الحق أمام الحكام لا تعني الخروج عليهم.

**٣٢- إن الجهاد في سبيل الله، وأصل عظيم من أصول الدعوة؛ ولكن حصل فيه نوع من الإفراط والتفريط في الفهم والتطبيق، والمعنى العام للجهاد يتناول استفراغ كل وسع وبذل كل جهد في نصرة هذا الدين، سواء أكان بالسيف والسنان أم بالحجة والبيان، وبالذعوة والإرشاد.**

**٣٣- والجهاد فرض كفاية على مجموع الأمة وقد يتعين في مواضع منها: تعيين الإمام لشخص بعينه، وإذا استنفر الإمام أهل محلة، وعند حضور القتال، إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، واستنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار، وإذا أظل العدو بلداً، أو جانباً من ثغور المسلمين مقاتلاً لهم.**

**٣٤- ومن أهم التنبيهات حول فقه الجهاد في الدعوة إلى الله: السعي لترشيد الجهاد وتسديده، ونصح أهله، وضبط أحكامه، وتقدير مصالحه، وأن تتحقق المصلحة**



بإعزاز الدين، والدفع عن المستضعفين، وكف بأس الكافرين، والاستفادة من سيرة النبي ﷺ في فقه الجهاد، والحذر من استعجال مواجهة، أو استجابة لاستفزاز، وحسن التقدير لقوة العدو وقوة النفس، واليقين بأن العاقبة للمؤمنين عند تحقيق مقومات النصر، وعدم تمني لقاء العدو وسؤال الله العافية، ومراعاة أخلاق الجهاد، وقبول السلم والهدنة إن طلب العدو المقاتل، وحسن معاملة الأسرى، مع التنبيه إلى أن الإسلام لم يمتش بالسيوف حيث أن ذلك يخالف مبدئ عدم الإكراه في الدين، وإن هدف الفتوحات الإسلامية نشر الإسلام من خلال إزالة العوائق التي تقف أمام الناس في حرية الاعتقاد ورفع الظلم عن المظلومين الذين حيل بينهم وبين معرفة الحق.

**٣٥- الأصل في الدعوة إلى الله هو الجهر والعلانية، وعموم الدعوة يقتضي عموم البلاغ والبيان، وذلك يتنافى مع السرية، إلا أن الدعوة قد تمر عليها أحوال وتتعاقب عليها محن تلجئ القائمين عليها إلى السرية، وهم في ذلك ليسوا مبتدعين ولا مفرطين.**

ولكن الأمر لا بد أن يؤخذ بوسطية وبمنهجية سليمة بعيداً عن الإفراط والتفريط، فالسرية في الدعوة منهجية استثنائية، وأخذ الحيطة والحذر منهجية دعوية.

ولا بد من التحذير من قضايا التأويل والسرية والباطنية في العمل الدعوي والإسلامي، والتأكيد على أن الإسلام دين كامل واضح، وكل مبادئه وأفكاره علنية، وأنه لا سر فيها، ولا إضافة عليها، إن علانية العقائد قوة لها؛ لأن الإنسان يعلن ما يعتزُّ به، وأن الناس يستجيبون بفطرتهم للدعوات الواضحة العلنية المفهومة السوية، وينفرون بفطرتهم من الأفكار المبهمة السرية المائعة المشوَّهة، والانتباه لأخطاء الدعوة السرية فهي تضر بأصحابها أكثر مما تضرُّ بأعدائها، كما أن سريتها تجعلها تتفاقم لأنها في الظلام فلا تُرى، خلافاً لأخطاء العلن التي يمكن تداركها لأنها في النور



٣٦- **الدعوة والعمل السياسي**، من القضايا الشائكة في العمل الدعوي، ولذا لا بد من تنيهات للدعاة خاصة في المشاركة السياسية من أهمها: وجوب الاعتقاد بفساد الأنظمة الوضعية، ولا بد للعلماء من تخصيص من يقوم بالعمل السياسي، ووجوب صدع الدعاة بالحق فيما ينبغي في القضايا السياسية، ومن الخطأ أن ينشغل الدعاة بالكلية بالعمل السياسي دون غيره، بل إن ذلك من علامات الفشل والانكسار، مع وجوب التخطيط الجيد للإصلاح السياسي وترتيب أولوياته، ومتى جازت المشاركة فلا يدخل إلا من كان مأموناً عارفاً ثقة في دينه، شجاعاً قادراً على قول الحق ودحر الباطل وإنكار المنكر.

٢٧- ضرورة التمييز بين العمل الدعوي والسياسي، ولا يعني ذلك فصل الدين عن الدولة فالإسلام دين شامل والإسلام نظام حياة شامل لكل مناحي الحياة، وإنما نعني التمييز العملي التنظيمي التخصصي، وذلك لتنوع قابليات البشر، وإن طبيعة الخطاب الدعوي قائم على غرس القيم والمثاليات: بينما يركز الخطاب السياسي على الهموم اليومية، والمطالب الفتوية، وإن جوعه التدين لدى الناس لا تعني قبولهم بمشروع الدعاة السياسي، التميز يجنب الدعوي كمائن العمل السياسي، مع وجود محاذير تمنع من مشاركة الدعاة في العمل السياسي.

٣٨- **فقه التعامل مع الشبهات** من القضايا المهمة والضرورية للداعي، مع أنه لا بد للداعية من المعرفة بأسباب الشبهات وخطرها ومدخلها وأصولها، وكيفية الوقاية منها والرد عليها، فلا بد من تعزيز اليقين بأصول الإسلام، وتكوين العقل الناقد، والتأصيل الشرعي، وتحديد مصادر التلقي والمعرفة والموقف من كل مصدر، وعدم التعرض لخطاب الشبهات من غير المتخصص، والقراءة الوقائية في كتب الردود على الشبهات، والدعاء والابتغال، واستعمال التفكير الناقد والتوثيق العلمي في التعامل مع المعلومات والأفكار، وسؤال المتخصصين



عما يُعرض لنا ويجول بخاطرنا، لتطمئن قلوبنا، ومراجعة الجهود السابقة في الرد على نفس القضية المستشكلة، والتماسك أمام الشبهة التي لم نعرف جواباً لها، فليس معنى ورود شبهة أنها صحيحة، وليس عدم علمنا بالجواب دليلاً على عدم وجوده، دراسة سليات الانتقال إلى القبول بالشبهة وما يترتب عليه.

٣٩- ومن أهم أخلاق الداعية الرّادّ على الشبهات، الإخلاص، والصدق، والصبر، والأناة والتروي، والذكاء، والعقل والتذكر، والشجاعة، واستجماع قوة الفكر أو ضغطه، وسرعة الاستجابة، واليقظة والحذر، المناورة، وخفة الروح والدم، والشدة، وقوة النفس وعلو الهمة، والمحبة للعمل الذي يقوم به، والتفرس.

٤٠- ومن أهم القواعد المنهجية في الرد على الشبهات: النظر في صحة مقدمات السؤال لهدم النتائج، والنظر في صحة الدليل، والنظر في صحة الاستدلال، وتحديد موطن الشبهة، واختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء، وتفنيد الافتراء بقوة مع الاهتمام بإزالة موطن الشبهة، حسن الاستدلال على الردود، بيان تهافت الافتراء وتفاهته، وبيان أن ما أراد المفتري إظهاره كنقيصة هو من المحامد والمحاسن، وافتراض الإيرادات على الرد وإبطالها، وإلزام المفتري بما يعتقدوه والرد عليه من دينه، وختام الرد بتلخيص أهم ما جاء فيه من نقاط، وعدم الخوض في الرد بدون تمكن وعلم، ورد المتشابه إلى المحكم، ورد الشبهة لعدم معقوليتها، وإظهار التناقضات بجوار رد الشبهات، والتفريق بين نص الوحي وفهم المسلمين، ومراعاة الفرق بين الطرح العلمي وطرح المواجهة، وحسن الأسلوب في الرد على الشبهات، ولا بد من معرفة مكانم القوة في رد الشبه والتي منها: أن يكون موجهاً لموطن الافتراء وأصل الشبه، وقوة الدليل ووضوحه، ودقة وضبط العبارات والألفاظ، وأن يظهر ما في الفرية من ثغرات وأخطاء ومغالطات.



### ﴿ نتائج القضايا المنهجية في التعامل مع المتغيرات الدعوية :

من أهم القضايا المنهجية في التعامل مع المتغيرات الدعوية: فقه الهجرة، وفقه الفتن والموقف منها، وسنن النصر والتمكين ومناهجه، وفقه التميز والتمايز في الدعوة، وفقه السنن الإلهية، والتجديد الدعوي.

٤١- **فقه الهجرة** من المسائل الدعوية المهمة، فيقع لبعض الدعاة والصالحين في بعض البلدان وفي بعض الأزمان مضايقات، وفي أثناء تلك الابتلاءات تأتي فكرة الهجرة في سبيل الله تعالى حفاظاً على الدين ونشراً للدعوة إلى الله، وهذه القضية حصل فيها نوع من الإفراط والتفريط في حياة الدعاة، **فالهجرة تعني**: تلمس مواطن الرضى والحط عندها، وتلمس مواطن السخط والغضب والهروب إلى الله منها. تنطبق على الهجرة الأحكام التكليفية، وذلك على التفصيل التالي: **هجرة واجبة**: وهي من دار الحرب إلى دار الإسلام على من يقدر عليها ولا يُمكنه إظهار دينه وتُلحق به الدار التي يُعمل فيها بالمعاصي جهاراً إذا لم يتمكن من إظهار دينه. **هجرة مستحبة**: وهي لمن يقدر عليها وهو متمكن من إظهار دينه. **هجرة مباحة**؛ على العاجز إما لمرضٍ أو إكراه، كالأسير أو الضعيف من النساء والولدان وشبههم.

٤٢- ومعالم الهجرة المنهجية تتضح من خلال الهجرة إلى الحبشة، ومنها: الفرار بالدين خشية الافتتان، ونشر الدعوة خارج مكة، والبحث عن مكان آمن للمسلمين، وشفقة الداعية على المدعويين تجعله يجد لهم المخارج التي تحفظ لهم دينهم وانفسهم، ولا بد من أن يكون الداعية المهاجر ذا أهلية لعرض رسالة الإسلام، ومشروعية الخروج عن الوطن إذا كان الخروج فراراً بالدين وإن لم يكن إلى دار إسلام، فإن أهل الحبشة كانوا نصارى، ويجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين.

٤٣ - **فقه الفتن والموقف** منها من الأمور التي لا بد أن يفقهها الداعية بعيداً عن الإفراط والتفريط، لخطورتها وتشعب صورها لا سيما في عصرنا الحاضر، هو نوعان: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة، وفتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر.

٤٤ - **والموقف الصحيح** من الفتن ينطلق من لزوم السنة، والحرص على العلم والفرار من الجهل، ولزوم العلماء، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولزوم الكبار وتجنب ما ينفرد به الصغار، والحذر من التلون والتغير وقت الفتن، وقبول الحق من كل أحد ولو كان بعيداً بغيضاً، ورد الباطل من كل أحد ولو كان قريباً حبیباً، والحذر من التوسع في شأن الرؤيا والعمل بها خاصة وقت الفتن، وحفظ اللسان وقلة الكلام في الفتن، وعدم اتباع العواطف في الفتنة، وأن اعتزال الفتنة والقتال يكون في ثلاثة أحوال: الحالة الأولى: العجز عن نصرته المحق على المبطل، الحالة الثانية: عند التباس الحق بالباطل وصعوبة التمييز بين أولى الطائفتين بالحق، والحالة الثالثة: إذا كان القتال على الملك وغيره من أمور الدنيا، وكل طائفة ملتزمة بتحكيم الشرائع.

٤٥ - **سنن النصر والتمكين ومناهجه** من الأولويات التي لا بد من أن يفقهها، وقد ذكر الله تعالى في كتابه ومنها: الإيمان والعمل الصالح، ونصر دين الله تعالى، والتوكل على الله والأخذ بالأسباب بالضوابط الشرعية، وتقوى الله سبحانه وتعالى بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، والصبر، واليقين بنصر الله، والثبات على الحق والتواصي على ذلك، والإكثار من الدعاء ومن ذكر الله تعالى، وطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع، والإخلاص لله تعالى والحذر من الدنيا.

٤٦ - **المنهج الصحيح للنصر والتمكين** وسط فهو منهج شامل ومتكامل، يراعي السنن



والأولويات، والتدرج والمرحلية والوسطية والتيسير، ويرعي كذلك الأحوال والزمان والمخاطبين، وهو وسط بين العجلة والتسويق، والإفراط والتفريط، والسرية والجهرية، وهو يجمع بين العمل الجماعي والفردى والمؤسسى، ويجمع كذلك بين الوسائل والأساليب المناسبة، ويجمع ولا يفرق، ومنهج يراعى الثواب والمتغيرات، والمصالح والمفاسد، وينطلق من الغايات ولا ينظر للنتائج، منهج فيه الدعوة إلى الإيمان كاملاً وأولاً ودائماً بمعانيه وأركانه كلها، وتحقيق الاتباع للسنة ومحاربة البدعة، وتقرير مناهج الاستدلال وتحقيق التزكية عبادة وخلقاً ومعاملة والسير في طريق الدعوة وإقامة الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، كل هذا على وفق منهج أهل السنة والجماعة إجمالاً وتفصيلاً، ومنهج يقوم على إيجاد الطائفة المؤمنة الملتزمة بالإسلام.

٤٧- **فقه التميز والتمايز في الدعوة** لا بد أن يعيه الدعاة جيداً حتى لا يحصل التميع في

أمر الدعوة والبيان ومعرفة الحق من الباطل والخير من الشر والطيب من الخبيث، وله تطبيقات كثيرة في القرآن والسنة ودعوة الأنبياء عامة والنبي ﷺ خاصة.

٤٨- **فقه السنن الإلهية** يحتاجه الداعية البصير الناظر إلى الأحداث الجسيمة

والنوازل العظيمة التي أحاطت اليوم بالدعوة، فمن فقه السنن الإلهية وأحسن التعامل معها فاز أيّاً ما كان، ومن أساء التعامل معها خاب أيّاً كان، ومعنى هذا أن الله ﷻ لن يمنح فرداً أو جماعة من المسلمين نصراً مجانياً لمجرد إسلامهم، فلا بد من الأخذ بالأسباب والفهم في السنن والسير من خلالها، فالسنن الإلهية إذن المرادة هنا هي: (أحكام الله تعالى الثابتة في الكون وعلى الإنسان في كل زمان ومكان، وهي كثيرة تشمل كل جوانب حركة البشر، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ومن هذه السنن التي لها تأثير في الجانب الدعوي: سنة التدرج، وسنة التغيير، وسنة التدافع بين الحق والباطل، وسنة المداولة، وسنة



النصر والتمكين، وسنة الله تعالى في الظالمين وأعداء الأنبياء، وسنة الابتلاء، وسنة العداة لأصحاب الدعوات والاستهزاء بهم وتكذيبهم، وسنة الأخذ بالأسباب، وسنة الإملاء والإمهال والاستدراج، وسنة الاستبدال).

٤٩- وأهمية فقه الدعاة إلى الله للسنن الإلهية تظهر من معرفة السنن الإلهية فريضة شرعية، ولا نستطيع أن نفهم التاريخ ونحلل الأحداث إلا بفهم السنن الإلهية، ومعرفة السنن والسير على هداها أخذ بأسباب النصر والتمكين والفلاح، وفي معرفة السنن والسير على هداها اجتماع للكلمة ووحدة للصف، وفي معرفة السنن كذلك ما يرسخ في الدعاة تعظيم الله وحبه، ومعرفة عواقب الأمور ونتائج الأحداث، وتقييم الحاضر وبنائه، واستشراف المستقبل، وتصحيح الصورة السيئة على الإسلام، وتحقيق أهداف الدعوة.

٥٠- يمكن إجمال خصائص السنن الإلهية في: الثبات أي لا تتبدل ولا تتغير، والعموم أي أنها تشمل كل البشر والخلائق دون استثناء وبلا محاباة، والاطراد أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكاناً وزماناً وأشخاصاً وأفكاراً.

٥١- ومن منهجيات التعامل مع السنن الإلهية: التعرف على السنن الربانية والفهم الجيد لها، وعدم التصادم مع سنن الله تعالى، والمغالبة، والاستخدام، والتحويل، والاستعانة ببعض السنن على بعض.

٥٢- **التجديد الدعوي** كلمة حق، ولكن قد يكون في بعض الأحوال أريد بها باطل، فالتجديد الدعوي الصحيح يقصد به أربعة أمور: الأول: إحياء الدين وما اندثر من معالمه، والثاني: تصحيح الدين عما ألحق به مما ليس منها، والثالث: التجديد في طريقة عرض الدين ووسائل نشره، والرابع: تنزيل الدين على واقع الحياة ومواكبة للتغيرات المعاصرة. وهذا التجديد لا يلزم أن يكون محصوراً في أفراد من الدعاة والعلماء، بل كل من يقوم بنشر الدين وتعليمه ودراسة مسأله، فهو من المجددين في مكانه وزمانه وتخصصه.



- ٥٣- ولا بد من التبيه إلى أن الابتداع في الدين مختلف عن التجديد، فالتجديد هو مما أقره الإسلام ودعا إليه، أما الابتداع فقد نهى الإسلام عنه واعتبره ضلالة.
- وكذلك التجديد مختلف عن تحريف النصوص ونقدها، فتجديد الدين لا يعني: تغييره أو تبديله، وإنما يعنى المحافظة عليه ليكون كما نزل غُضّاً طريّاً، لا لبس فيه.
- ويعتقد بعضهم أن المراجعة هي نوع من الفشل والاعتراف بالهزيمة، والتنازل عن المبادئ! وهذا غير صحيح لأن المراجعة في الفعل البشري ضرورة شرعية والمراجعة خاضعة للمرحلية، والمراجعة التي ننشدها ليست مراجعة فئة معينة من الناس أو الأشخاص، وإنما مراجعة على كافة الأصعدة، ومن أعظم الخطأ أن تتحول المراجعة إلى مشاتمة وسب.
- ٥٤- ومن أهم دواعي التجديد في الخطاب الدعوي: غياب بعض معالم الدين، وتصاعدت موجات الكراهية والتطرف والعنف والإرهاب والتكفير، والخلل في فهم مراتب الأعمال الشرعية في الخطاب الدعوي، وعدم تقدير المصالح والمفاسد، وظهور بعض الأحداث المستجدة التي لم تكن موجودة من قبل، وشيوع الأمية الدينية، والغزو الثقافي الهادف، والأزمات الاقتصادية الطاحنة.
- ٥٥- ومن مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر: النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين، والانفصال بين الخطاب الدعوي وواقع المجتمع، وسيطرة المذهبية الفكرية والفقهية على عقلية الداعية، الاختلاف الكثير بين الدعاة، والتركيز على قضايا غير معاصرة، والغفلة عن طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الخلق، وقصر الخطاب الدعوي على المستقيمين، وعدم وضوح الرؤية لدى الداعية، وفقدان أو ضعف القدرات والمهارات الخطابية، والخضوع لضغط الواقع والانسحاق تحت سطوته.
- ٥٦- ومن أسس الخطاب الدعوي المعاصر: الأصالة المنهجية الشرعية، الشمول



التكاملي المؤثر، والتوازن النسبي الملائم بين قدرات الداعية والعمل المسند إليه، والصلاحيات المخولة له، والإقناع العقلي، والحوار الهادف، والتمسك بالشرعي المرغوب، ومراعاة الاختصاص، والموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة، والأخذ بجميع النصوص، والتركيز على القواعد الكلية والأصول الجامعة، واحترام عقول المخاطبين، والبصيرة الفقهية، والبيان المبين، وإحياء فقه الأولويات، وتربية الدعاة عليه.

**وفي ختام هذا الجمع لهذه القضايا المنهجية نقول<sup>(١)</sup> :**

إن الدعوة في العصر الحاضر في حاجة ماسة إلى تسديد، وتقويم، ونصح، ومراجعة؛ لكونها عملاً بشرياً فيه الصواب والخطأ، وإذا كانت هذه الدعوة مهددة من خارجها، فإنها مهددة من داخلها أيضاً، والتهديد الداخلي كان ولا يزال أخطر من التهديد الخارجي، وأشد فتكاً.

فالتهديد الخارجي يأتي من أعداء الإسلام بشتى أنواعهم، والتهديد الداخلي يأتي من داخل الدعوة نفسها، من فهم خاطئ، أو عقل أعوج، أو نزعة نفسية غير سوية، أو من العجلة التي لا تتفق مع طبائع الأشياء، أو من جهة المثالية غير الواقعية، وما إلى ذلك.

ومن هنا فقد وضعنا بين يدي إخواننا العاملين في سبيل الدعوة إلى الله؛ هذا العمل الذي تناول القضايا المنهجية الأساسية التي يجب أن يستوعبها الدعاة جميعاً، أو تستوعب أكبر عدد منهم، والتي نرى أن في الوعي بها، والانتفاع منها، ما يدفع بالدعوة خطوات مهمة إلى الأمام، حتى تؤتي أكلها على خير ما يرجى منها، بإذن الله.

وقد حرصنا في هذا الجمع لتلك القضايا أن يتصف بالدقة، والموضوعية،

---

(١) هذه الخاتمة تم اقتباسها من كتاب ميثاق الشرف الدعوي د. هشام الطالب، مع تصرف واختصار وزيادات.



والنزاهة، والحياد، والوضوح، والأسلوب العلمي المتزن، وبروح الأدب العالي، واللسان العفّ؛ بحيث يشعر القارئ أن وراء هذا العمل -حقيقةً لا تمثيلاً- روحاً خيرة ذات آفاق رحبية، وصدراً واسعاً، ورغبة صادقة جادة في خدمة العمل الدعوي.

### إخواننا الدعاة..

إن مسؤوليتكم عامة تمتدُّ في الزمان والمكان والإنسان، ودعوتكم هي خطاب الرحمة، وشريعة التخفيف، ورفع الحرج والأغلال، والرفق بالناس كل الناس في الأرض كل الأرض، وعليه ينبغي لكم أن تعوا مهمتكم وعياً جيداً، وتعلموا أنكم دعاة لا قضاة، ومصلحون لا ثوار، وبنائون لا هدامون، وراحمون لا حاقدون، تعملون بروح الأب مع أبنائه، والطبيب مع مرضاه، لا بروح السجّان الذي يبطش، والموتور الذي ينتقم.

إنكم حين تفعلون ذلك تكونون راشدين بل مرشدين، ومهتدين بل هادين، وتكونون الأنفع لعباد الله ﷻ.

إن هذا الجمع لهذه القضايا في مؤلف واحد نأمل أن يحظى من الدعاة والعلماء بدراسة عميقة، تنتهي بإبداء الرأي فيها حذفاً، وإضافة، ودمجاً، وتعديلاً، وتقديماً وتأخيراً، واقتراحاً، وتقويماً، بهدف الاستفادة من صوابه، والتنبية إلى أخطائه، واقتراح قضايا جديدة له؛ حتى تكون كل طبعة منه خيراً من سابقتها.

وإننا إذ نعدُّ الإخوة الكرام الذين يفضلون بالكتابة إلينا أن كتابتهم ستكون محل العناية والتقدير والشكر، نطلب منهم أن ينظروا إلى هذه الدراسة على أنها منهم وإليهم، فليكتبوا ما يشاؤون مشكورين ماجورين.

إن طرح الأفكار في النور، ومناقشتها في العلن، هو الأسلوب الأمثل لمعرفة ما فيها من خطأ أو صواب، ومن هنا جاءت الرغبة في استشارة المهتمين بأمور



الدعوة؛ للاستفادة من آرائهم فيها، بهدف تحسينها؛ لتكون أقرب إلى الكمال.  
ومن الله العون والتوفيق، نسأله سبحانه أن يوفقنا لمرضاته، ويستعملنا في طاعته،  
إنه على كل شيء قدير.

ربنا وفقنا لما يرضيك، واستعملنا في الخير، وارزقنا النية الخالصة مع الصواب،  
لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

**وصلى الله على سائرنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم**





## ثبت المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، دار الراية، الرياض، ط ٢.
- ٢- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبدالجبار زكار. دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٩٧٨ م.
- ٣- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، تأليف الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة الرياض، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٤- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة. د. عبدالله الجروب، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ٥- الاجتهاد المعاصر وضوابطه. د. يوسف بن عبدالله، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٦- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر، دار الحديث، القاهرة.
- ٧- أحكام القرآن، محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق، علي بن محمد الجاوي، دار المعرفة، بيروت.
- ٨- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط ١.
- ٩- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ١٠- إحياء علوم الدين للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.
- ١١- أخبار الشيوخ وأخلاقهم، أحمد بن محمد بن الحجاج، أبو بكر المروزي، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- ١٢- الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار. د. ناصر بن سليمان العمر، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- ١٣- الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب. د. فريد الأنصاري، منشورات رسالة القرآن، ط ١، ٢٠٠٧ م.



- ١٤- أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الأجرِّيُّ البغدادي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.
- ١٥- أخلاق حملة القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الأجرِّيُّ البغدادي، دار الصفا والمروة بالإسكندرية، ط ١٤٢٦هـ.
- ١٦- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، بيروت.
- ١٧- أدب الاختلاف في الإسلام، د. طه جابر فياض العلواني، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط ١، ٢٠١٦م.
- ١٨- أدب الاختلاف ودورة في مواجهة التطرف دراسة فقهية معاصرة، د. حمادة عيد حمدان، دار الجامعة الجديدة للطبع والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٤م.
- ١٩- أدب الاختلاف، د. صالح بن عبدالله حميد، دار الندوة العالمية، ط ٣، ١٤١٢م.
- ٢٠- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط ١٩٨٦م.
- ٢١- أدب المفتي والمستفتي، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، المعروف بابن الصلاح، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة
- ٢٢- أديع التجديد مبددون لا مجددون، د. علي العماري مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٢٣- إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبو زيد وأبو محمد، شهاب الدين المالكي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط ٣.
- ٢٤- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٢٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- ٢٦- أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٢٧- أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، د. عبدالرزاق البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٢٨- الاستذكار، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.



- ٢٩- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- ٣٠- أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- ٣١- الأشباه والنظائر على مذهب الإمام أبي حنيفة، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٣٢- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.
- ٣٣- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٣٤- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ.
- ٣٥- الأصول العلمية والعملية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
- ٣٦- أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط٢٠١٠م.
- ٣٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٣٨- أضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع، الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٣م.
- ٣٩- إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ.
- ٤٠- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٤١- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- ٤٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط١٣٨٨هـ.
- ٤٣- الإعلان بالتبويخ لمن ذم أهل التاريخ، السخاوي، نسخة رقمية في المكتبة الشاملة.





- ٤٤- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥ هـ.
- ٤٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية الحراني، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤١٩ هـ.
- ٤٦- اقتضاء العلم العمل، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩٧ هـ.
- ٤٧- الإقناع، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، دار العصيمي ط ٣، ٢٠٠٨ م.
- ٤٨- الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- ٤٩- الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الوفاء المنصورة، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ٥٠- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٥١- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيد، تحقيق: محمد حسن إسماعيل. دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٥٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٥٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله ووضوابطه وآدابه، د. خالد السبت، المنتدى الإسلامي، ١٩٩٥ م.
- ٥٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبد العزيز بن أحمد المسعود، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ٥٥- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٦- الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولوائح أحكامه، محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ، الأزدي القرطبي، دار الإمام مالك، مؤسسة الريان.
- ٥٧- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الصالحي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢.



- ٥٨- الأنوار الساطعات لآيات جامعات، عبدالعزيز السلطان، نسخة إلكترونية، منشورة في موقع صيد الفوائد.
- ٥٩- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، د. يوسف بن عبدالله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- ٦٠- الائتلاف والاختلاف أسسه وضوابطه، د. صالح السدلان، الائتلاف والاختلاف أسسه وضوابطه، دار بلنسية، ١٤١٧هـ.
- ٦١- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ.
- ٦٢- الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٦٣- الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، د. عبدالله بن عبدالحميد الأثري، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ٦٤- الإيمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٦٥- البابا والإسلام، د. يوسف بن عبدالله، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٦٦- البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي والفكر الوضعي، عبد الله علي عبدالحميد، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ٦٧- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٦٨- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- ٦٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٧٠- بدائع الفوائد، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، عادل عبدالحميد العدوي، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٧١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٧٢- بيان فضل علم السلف على علم الخلف، دار العصيمي، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ٧٣- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ.



- ٧٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ٧٥- التاج والإكليل لمختصر الخليل، حمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.
- ٧٦- تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- ٧٧- تاريخ التشريع، د. مناع بن خليل القطان، مكتبة وهبة، ط ٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٧٨- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ٧٩- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة، المحقق: صلاح بن فتحى هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ٨٠- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٨١- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله المعروف بابن عساكر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٨٢- تأصيل فقه الموازات، د. عبدالله الكمالي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٠م.
- ٨٣- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ٨٤- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط ١، ١٣١٣هـ.
- ٨٥- تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ٨٦- تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، كتاب البيان، مجلة البيان، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٨٧- تجديد الوعي د. عبدالكريم بكار، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ضمن سلسلة: الرحلة إلى الذات.
- ٨٨- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناي، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر - قطر/ الدوحة، ط ٣، ١٤٠٨هـ.



- ٨٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- ٩٠- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
- ٩١- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٩٨٣ م.
- ٩٢- تحكيم الشريعة ودعوى العلمانية د. صلاح الصاوي، دار الإعلام الدولي - ط ١، ١٩٩٤هـ.
- ٩٣- تدريب الراوي السيوطي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط ٢.
- ٩٤- التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، د. صالح بن علي أبو عراد، كتاب إلكتروني منشور على موقع مكتبة نور.
- ٩٥- التربية القيادية، د. منير الغضبان، دار الوفاء - مصر، ط ٤، ١٤٢٦هـ.
- ٩٦- تزكية النفس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
- ٩٧- تزكية النفوس وتربيتها كما يقرها علماء السلف: ابن رجب الحنبلي، وأبو حامد الغزالي، وابن القيم، رتبته د. أحمد محمد كنعان، دار القلم، بيروت.
- ٩٨- التسامح في الإسلام بين المبدأ والتطبيق، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان.
- ٩٩- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، د. عبد القادر عودة، الكاتب العربي، بيروت.
- ١٠٠- التصفية والتربية، وحاجة المسلمين إليها، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٠١- التعاريف المناوي، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ١٠٢- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المعجدي البركتي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١٠٣- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ١٠٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٠٥- تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ١٠٦- تفسير المنار، رشيد رضا، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣ م.



- ١٠٧- التقرير والتحرير، محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج، دار الفكر بيروت، ط ١٩٩٦ م.
- ١٠٨- التكفير وضوابطه، د. منقذ محمود سقار، من إصدارات رابطة العالم الإسلامي.
- ١٠٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.
- ١١٠- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، أحمد بن إبراهيم ابن النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- ١١١- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٢- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٣٦ هـ.
- ١١٣- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- ١١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ١١٥- الثواب والمتغيرات في العمل الإسلامي د. صلاح الصاوي، من إصدارات مجلة البيان.
- ١١٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مكتبة الحلواني والملاح، دار البيان، ط ١٣٩١ هـ.
- ١١٧- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ١١٨- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩ هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ١١٩- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ١٢٠- الجامع الكبير للسيوطي، أو جمع الجوامع، موقع ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة.
- ١٢١- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ١٢٢- الجامع في فقه النوازل، صالح بن حميد، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ١٢٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ.



- ١٢٤- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الكتاب، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، تحقيق: د. محمود الطحان.
- ١٢٥- الجامع، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولا هم أبو عروة البصري، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، باكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ٢، ١٤٠٣هـ.
- ١٢٦- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرنؤوط عبدالقادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٢٧- الجهاد أنواعه وأحكامه، للشيخ حمد العثمان، دار الفرقان، ط ١، القاهرة، ٢٠١١م.
- ١٢٨- الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، الشيخ صالح اللحيدان، مكتبة الحرمين، الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ١٢٩- الجهاد في الإسلام مفهومه وضوابطه وأنواعه وأهدافه، د. عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة دار النصيحة، دار المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- ١٣٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، محمد بن تيمية الحراني، تحقيق: علي بن حسن عبدالعزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ.
- ١٣١- الحاوي الكبير، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار الفكر، بيروت.
- ١٣٢- حتى يغيروا ما بأنفسهم للأستاذ جودت سعيد، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، دمشق، ط ٦، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٣- الحسبة لشيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، ط ٢، ١٧/ جمادى الأولى / ١٤٢٥هـ.
- ١٣٤- حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار العالم العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.
- ١٣٥- الحق ومدى سلطان الدولة في تقيده، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٦- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زقزوق، دار الشرق الدولية، القاهرة.
- ١٣٧- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- ١٣٨- الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه، د. عبدالرحمن بن صال المحمود، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- ١٣٩- الحكمة في الدعوة إلى الله د. زيد بن عبد الكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض.
- ١٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ.



- ١٤١- خطبة الجمعة في العالم الإسلامي ملاحظات لا بد منها، محمد عماد، كتاب الأمة، العدد ٢٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ١٤٢- خلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات، د. محمد عطا سعيد رمضان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤٣- الخلاصة في فقه الأولويات د. علي الشحود، دار المعمور، ماليزيا، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
- ١٤٤- الدر المثنو في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- ١٤٥- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١١ هـ.
- ١٤٦- الدرر السننية في الأجوبة النجدية، جمع: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٣٨٥ هـ.
- ١٤٧- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها في القرآن، د. أحمد غلوش، الرسالة، بيروت.
- ١٤٨- دعوة الرسل إلى الله د. محمد العدوي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ١٤٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردي الخراساني أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- ١٥٠- الدلائل في حكم موالاتة أهل الإشراك، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار القاسم، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ١٥١- دليل التدريب القيادي، د. هشام الطالب، المعهد العالي للفكر الإسلامي، أمريكا.
- ١٥٢- ديوان المتنبي، أحمد بن حسين المتنبي أبو الطيب، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ.
- ١٥٣- الرسالة، محمد بن إدريس القرشي المكي الشافعي، المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٥٨ هـ.
- ١٥٤- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحلیم الأنصاري اللكنوي الهندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
- ١٥٥- ركائز منهج السلف في الدعوة إلى الله لفضيلة د. عبدالله بن محمد المجلي ١٤٨/٨٨ بترقيم الشاملة منشور في مجلة البحوث الإسلامية.



- ١٥٦- روح البيان، «تفسير حقي»، إسماعيل حقي البروسوي، دار الفكر.
- ١٥٧- الروض الأنف تفسير سيرة ابن هشام، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، إخراج: عبد الرؤوف سعيد، دار المعرفة، بيروت، منقحة، ١٣٩٨هـ.
- ١٥٨- رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ.
- ١٥٩- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المنهاج، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٦٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.
- ١٦١- الزهد الكبير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر البيهقي، المحقق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- ١٦٢- الزهد، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، ط١، ١٤١٣هـ.
- ١٦٣- الزهد، عبدالله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ١٦٤- سابغات، كيف تتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، د. أحمد السيد، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الرياض، ط١٤٣٩هـ.
- ١٦٥- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين المعروف كأسلافه بالأمر، دار الحديث.
- ١٦٦- سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي محمد يوسف الصالحي، تحقيق: د. مصطفى عبدالواحد، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- ١٦٧- السلسلة الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- ١٦٨- السنة للخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر، دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ.
- ١٦٩- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.





- ١٧٠- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ١٧١- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- ١٧٢- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ١٧٣- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- ١٧٤- سنن النسائي، عبدالرحمن بن أحمد النسائي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ١٧٥- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، د. يوسف بن عبدالله، مكتبة وهبة.
- ١٧٦- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٩هـ.
- ١٧٧- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٧٨- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، دار القبليتين للثقافة الإسلامية، جدة.
- ١٧٩- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط١٣٩٥هـ.
- ١٨٠- سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، علي الصلابي، مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٨١- الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، عرض وتفنيد ونقض، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٨٢- شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، أ.د محمود مزروعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٨٣- شبهات حول السنة، للشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ١٨٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ.



- ١٨٥- شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ١٨٦- شرح الزركشي على مختصر الخرقى، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.
- ١٨٧- شرح العقيدة الطحاوية، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ١٨٨- شرح القواعد الفقهية، الشيخ أحمد بن محمد الزرقاء، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- ١٨٩- الشرح الكبير على متن المقنع، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا.
- ١٩٠- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي للنشر، السعودية، الدمام، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٩١- شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، لعبدالله الجبرين، من منشورات مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.
- ١٩٢- شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ١٩٣- شرح منتهى الإرادات دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ١٩٤- الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعيّة د. عمر الأشقر، دار النفائس - مكتبة الفلاح، ط ٣، ١٤١٢هـ.
- ١٩٥- الشريعة للأجري، المحقق: الدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- ١٩٦- شعب الإيمان، أحمد بن الحسيني البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- ١٩٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، دار الفيحاء، عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٩٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨.



- ١٩٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، دار ابن حزم - بیروت، ط ١٤١٧هـ.
- ٢٠٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعیل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بیروت، ط ٤، ١٩٩٠م.
- ٢٠١- الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر والتوزيع، ط ١٤٣٣هـ.
- ٢٠٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بیروت، ط ٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ٢٠٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتناء: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٢٠٤- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٥.
- ٢٠٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بیروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٢٠٦- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرراط الساعة، للشيخ مصطفى العدوي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٢٠٧- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بیروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٢٠٨- صحيح سنن النسائي، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ.
- ٢٠٩- صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء: فريق بيت الأفكار الدولية.
- ٢١٠- صحيح وضعيف جامع الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بیروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٢١١- صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار المعرفة، بیروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
- ٢١٢- صفوة الآثار والمفاهيم، للشيخ عبدالرحمن الدوسري، دار المغني للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٢١٣- الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٢١٤- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ.



- ٢١٥- الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، المحقق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- ٢١٦- ضوابط تكفير المعين للشيخ د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين، ط ٣، ١٤٢٥هـ.
- ٢١٧- طبقات الحنابلة، محمد بن الحسن بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمودية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٢هـ. طبقات الحنفية؛ للقرشي ص ٥٢.
- ٢١٨- الطبقات الكبرى، ابن سعد محمد بن سعد الزهري، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ.
- ٢١٩- الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان.
- ٢٢٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، دار ابن القيم، الدمام، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ٢٢١- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين ابن الفراء، ط ٢، ١٤١٠هـ.
- ٢٢٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢٣- العمل بالعلم بين الواقع والواجب للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، منشور على موقع الشيخ عبدالله بن صالح الفوزان.
- ٢٢٤- العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، مقارنة فقهية: د. عابد السفياي، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- ٢٢٥- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ٢٢٦- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٢٢٧- عيون الأخبار، عبدالله بن مسلم الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ٢٢٨- غياث الأمم في التياث الظلم، الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، مكتبة إمام الحرمين، ط ٢، ١٤٠١هـ.
- ٢٢٩- فبهدهم اقتده، عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٢٣٠- فتاوى السبكي، علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف.
- ٢٣١- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٨٦هـ.



- ٢٣٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٢٣٣- الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار الفكر، ١٤١١هـ.
- ٢٣٤- الفتاوى والرسائل للشيخ محمد بن إبراهيم، جمع وترتيب: محمد بن عبدالرحمن قاسم، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- ٢٣٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ٢٣٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ.
- ٢٣٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٢٣٨- الفتن وموقف المسلم منها رؤية شرعية تأصيلية، أ. د. علي بن سعد بن صالح الضويحي، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ٢٣٩- الفتن، نعيم بن حماد المروزي، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٢٤٠- الفتوى في الإسلام، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٢٤١- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٢٤٢- الفروق، أنوار البروق في أنواع الفروق، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب.
- ٢٤٣- الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- ٢٤٤- الفضائل الخلقية في الإسلام د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط ١٩٨٢م.
- ٢٤٥- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ٢٤٦- فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، مصر، ١٩٦١م.
- ٢٤٧- فضيلة العادلين من الولاة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٢٤٨- فقه الأولويات دراسة في الضوابط، أ. محمد الوكيل، طبعة المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٢٤٩- فقه الأولويات في ضوء القرآن والسنة، د. يوسف بن عبدالله، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ.



- ٢٥٠- فقه التدين فقها وتنزيلا د. عبدالمجيد النجار، كتاب الأمة، عدد ٢٢، طبعة وزارة الأوقاف، قطر.
- ٢٥١- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١٠، ١٤١١ هـ.
- ٢٥٢- فقه الفتن في ضوء السنة، د. عبدالله شعبان، دار العلوم، الشارقة، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٥٣- فقه المآلات مفهومة وقواعده، د. سعد الدين العثماني، دار الكلمة، القاهرة، ط ١، ١٤٣٦ هـ.
- ٢٥٤- فقه المآلات وقضايا العصر، د. عمر الجميلي، دار الفنائس، بيروت، ط ١، ٢٠١٦ م.
- ٢٥٥- فقه الموازنات الدعوية معالمه وضوابطه، د. معاذ البيانوني، دار أقرأ للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م.
- ٢٥٦- فقه الموازنات بين المصالح الشرعية، د. عبدالله الكمالي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١ م.
- ٢٥٧- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. علي الصلابي، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٥٨- فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية، أ. د. محمد الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ٢٥٩- فقه النوازل، قضايا فقهية معاصرة، للشّيخ بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢٦٠- فقه الواقع أصول وضوابط أ. د. أحمد بوعود، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦ م.
- ٢٦١- فقه الواقع بين النظرية والتطبيق. علي بن حسن الحلبي الأثري، شركة النور للطباعة والنشر والتوزيع، فلسطين، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٦٢- فقه الواقع وأثره في الاجتهاد د. ماهر حصورة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- ٢٦٣- فقه الواقع، أ. د. ناصر العمر، منشور على موقع المسلم.
- ٢٦٤- فقه الواقع، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ م.
- ٢٦٥- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٢، ١٤٢١ هـ.
- ٢٦٦- الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.
- ٢٦٧- في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، د. إبراهيم علي محمد أحمد، وزارة الأوقاف، قطر، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- ٢٦٨- في قصص الاتهام منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها، د. علي الحمادي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.
- ٢٦٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦ هـ.



- ٢٧٠- قاعدة سد الذرائع وأثرها في الفقه الإسلامي، د. حمود حامد عثمان، دار الحديث، بالقاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٢٧١- القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- ٢٧٢- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ.
- ٢٧٣- قصة أصحاب الأخدود رفاعي سرور، كتاب إلكتروني منشور على موقع المسلم.
- ٢٧٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام العز بن عبد السلام، عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام، المحقق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت، لبنان.
- ٢٧٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٢٧٦- قواعد الدعوة إلى الله، د. همام سعيد، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ١.
- ٢٧٧- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبد الرحمن بن إبراهيم الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق.
- ٢٧٨- قواعد في التعامل مع المتغيرات د. فالح الصغير، دار ابن الأثير للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٣٥هـ.
- ٢٧٩- قواعد في بيان حقيقة الإيمان، عادل بن محمد الشبخاني، دار أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ٢٨٠- قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، د. حمود الرحيلي، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- ٢٨١- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، عبد الرحمن السعدي، مكتبة السنة، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٢٨٢- قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٩٩٤م.
- ٢٨٣- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكي، ابن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد، مطبعة الأمانة، الرباط، ط ١، ١٩٥٨م.
- ٢٨٤- القول بين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للشيخ عبد العزيز الراجحي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- ٢٨٥- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ.



- ٢٨٦- كتاب أحكام الهجر والهجرة في الإسلام، أبو فيصل البدراني، كتاب منشور على موقع المكتبة الشاملة الحديثة.
- ٢٨٧- الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين، للشيخ أحمد شاكر، مكتبة السنة، ط ١، ١٩٨٦ م.
- ٢٨٨- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤٠٢ هـ.
- ٢٨٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٩٠- كفاية الأختيار في حل غاية الاختصار، محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، دار الخير، دمشق، ط ١، ١٩٩٤ م.
- ٢٩١- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
- ٢٩٢- الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م.
- ٢٩٣- لسان العرب، محمد مكرم منظور، دار الصادر، بيروت، ط ١.
- ٢٩٤- لطائف الإشارات، عبدالكريم القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ٢٩٥- لقمان الحكيم وحكمه، محمد خير رمضان، دار القلم بيروت، ط ١.
- ٢٩٦- لماذا الشريعة؟ د. محمد يسري إبراهيم، دار اليسر، القاهرة، ط ١، ١٤٣٧ هـ.
- ٢٩٧- لمشاركات السياسية المعاصرة في ضوء السياسة الشرعية، د. محمد يسري إبراهيم، دار اليسر، ١٤٣٢ هـ.
- ٢٩٨- المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٩٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط ١٢١٤ هـ.
- ٣٠٠- مجمع الفوائد واقتناص الأوابد، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٣٠١- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط ١٦٤١ هـ.
- ٣٠٢- المجموع في شرح المهذب، الإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٠٣- مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.





- ٣٠٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٣٠٥- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٠٦- محمد رسول الله، محمد صادق عرجون، دار القلم، ط ٢، ١٤١٥ هـ.
- ٣٠٧- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٧، ١١٩٦ م.
- ٣٠٨- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨ هـ.
- ٣٠٩- مختصر نوازل العبادات، د. خالد المشيقح، مكتبة الرشد، السعودية، ط ٢، ١٤٣٤ هـ.
- ٣١٠- مختصر نوازل المعاملات، د. خالد المشيقح، مكتبة الرشد، السعودية، ط ٢، ١٤٣٤ هـ.
- ٣١١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ.
- ٣١٢- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، أبو بكر البيهقي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- ٣١٣- مدخل إلى دراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم، د. مجدي عاشور، القاهرة: وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ٣١٤- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن بدران، مؤسسة الرسالة، ط ١.
- ٣١٥- المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، د. مصطفى شلبي، دار النهضة العربية - بيروت.
- ٣١٦- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣١٧- المدخل، أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار التراث.
- ٣١٨- المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، يوسف بن عبدالله، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١.
- ٣١٩- مسألة الإيمان دراسة تأصيلية، د. علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، منشور على موقع المكتبة الشاملة.
- ٣٢٠- مسألة فيمن يكفر غيره من المسلمين، والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل، عبد الله أبا بطين، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٤ هـ.
- ٣٢١- مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠١ هـ.



- ٣٢٢- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٣٢٣- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٣٢٤- المستصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٣٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٣٢٦- مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدخالق بن خالد المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، بدأت ١٩٨٨م وانتهت ٢٠٠٩م.
- ٣٢٧- مشروعية الدخول في المجالس التشريعية وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة، د. عبدالرحمن عبدالخالق، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.
- ٣٢٨- مشكاة المصابيح، حمد بن عبدالله الخطيب العمري، أبو عبدالله ولي الدين التبريزي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.
- ٣٢٩- مشكلات الدعوة والداعية د. فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٣٣١- المصطلح الأصولي عند الشاطبي، د. فريد الأنصاري، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- ٣٣٢- المصلحة العامة من منظور إسلامي، د. فوزي خليل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٦.
- ٣٣٣- مصنف ابن أبي شيبة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.
- ٣٣٤- مصنف عبدالرزاق، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ٣٣٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٣٣٦- معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني، كتاب إلكتروني منشور على المكتبة الشاملة.
- ٣٣٧- معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، دار السير للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٣٣٨- معالم في السلوك وتزكية النفوس، د. عبدالعزيز آل عبداللطيف، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ.



- ٣٣٩- معالم في أوقات الفتن والنوازل، للشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان، دار الجيل والدار الاثرية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- ٣٤٠- المعتمد في أصول الدين، لأبي يعلى الحنبلي، دار المشرق بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- ٣٤١- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ٣٤٢- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- ٣٤٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- ٣٤٥- المعلم بفوائد مسلم، للمازري، بيت الحكمة، تونس، ط ٢، ١٩٨٧م.
- ٣٤٦- معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية. د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط ٢، ١٤١٢هـ.
- ٣٤٧- معين السيرة، صالح الشامي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- ٣٤٨- المغازي النبوية، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- ٣٤٩- المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبدالله الواقدي، دار الأعلمي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ.
- ٣٥٠- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.
- ٣٥١- المغني مع الشرح الكبير، ابن قدامة، دار عالم الكتب، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.
- ٣٥٢- المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ود. عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٤١٢هـ.
- ٣٥٣- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- ٣٥٤- المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المظهري الكوفي مظهر الدين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ط ١، ١٤٣٣هـ.
- ٣٥٥- مفاهيم حول الحكم الإسلامي، الجزء التاسع من التاريخ الإسلامي، للشيخ محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط ٨، ١٤٢١هـ.
- ٣٥٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.



- ٣٥٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الفكر.
- ٣٥٨- المفصل في أحكام الهجرة د. علي الشحود، نسخة المكتبة الشاملة.
- ٣٥٩- مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ.
- ٣٦٠- مقاصد الشريعة في ضوء فقه الموازنات، د. عبدالله الكمالي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٣٦١- مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٦٢- مقدمات حضارة الإسلام، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠.
- ٣٦٣- من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف د. طه جابر العلواني، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٦٤- مناقب الإمام أحمد، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.
- ٣٦٥- مناقب الإمام الشافعي، فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٦٦- المنشور في القواعد الفقهية، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٦٧- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عlish، أبو عبد الله المالكي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- ٣٦٨- المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، تحقيق: محمد محمد جابر.
- ٣٦٩- منهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني، محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٧٠- المنهاج شرح صحيح مسلم «شرح النووي»، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
- ٣٧١- منهج استنباط احكام النوازل الفقهية المعاصرة، دراسة تأصيلية تطبيقية، د. مسفر بن علي القحطاني، دار الاندلس الخضراء ودار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- ٣٧٢- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن، ط ٣، ١٩٩٠ م.



- ٣٧٣- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، د. عدنان بن محمد آل عرعر، كتاب منشورة على الإنترنت.
- ٣٧٤- منهج القرآن في التعامل مع الشبهات، د. سعيد دحباح، جامعة الأندلس للعلوم، ١٤٢٤ هـ.
- ٣٧٥- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، نسخة المكتبة الشاملة.
- ٣٧٦- المذهب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الكتب العلمية.
- ٣٧٧- الموازنة بين المصالح والمفاسد وأثرها في الشأن المصري العام بعد الثورة، لمحمد عبدالواحد، دار اليسر، القاهرة، ط ١، ٢٠١١ هـ.
- ٣٧٨- الموافقات في أصول الشريعة، أبي إسحاق الشاطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- ٣٧٩- الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، لمحمد بن عبد الله الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٨٠- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب، دار الفكر.
- ٣٨١- موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام، د. أحمد شوقي لإبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٢ م.
- ٣٨٢- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت.
- ٣٨٣- موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، لنبخة من كبار العلماء، دار نهضة مصر.
- ٣٨٤- موقف المسلم من الفتن د. محمد بازمول، مكتبة أهل الحديث ودار الاستقامة، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- ٣٨٥- موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة د. حسين الحازمي، أضواء السلف- ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٨٦- موقف المؤمن من الفتن في ضوء حديث عبدالله بن عمرو د. نوال العيد، كتاب منشور على موقع د. نوال العيد.
- ٣٨٧- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية، مكتبة ابن تيمية.
- ٣٨٨- ميثاق الشرف الدعوي، د. هشام الطالب، كتاب إلكتروني.
- ٣٨٩- نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبدالله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٤.



- ٣٩٠- النظر في المآلات عند تنزيل الأحكام على الوقائع، إصدارات الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، مجلة البحوث الإسلامية جزء ٧٨.
- ٣٩١- نظرات في التربية الإيمانية د. مجدي الهلالي، دار الرائد.
- ٣٩٢- نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١.
- ٣٩٣- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ٣٩٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- ٣٩٥- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٣٩٦- نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- ٣٩٧- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطانحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٣٩٨- نوازل العبادات والمعاملات من فتاوى اللجنة الدائمة، مكتبة العلوم والحكم.
- ٣٩٩- نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط ٣، ١٤٢٧هـ.
- ٤٠٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م.
- ٤٠١- وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية في شؤون الحياة كلها د. مناع خليل القطان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٤٠٥هـ.
- ٤٠٢- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، محمد صديق بن أحمد بن محمد البورنو، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ٦، ١٤٣٦هـ.
- ٤٠٣- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط ٢.
- ٤٠٤- الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار طيبة، الرياض.



## رسائل الدكتوراة :

- ١- رسالة دكتوراة: اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، د. عبدالعزيز بن مبروك الأحمدى، من قيم الفقه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٢- رسالة دكتوراة: أصل اعتبار المآلات بين النظرية والتطبيق، د. عمر جدية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، الناشر: دار ابن حزم.
- ٣- رسالة دكتوراة: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، د. يحيى بن أبي الخير العمراني، قسم العقيدة، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، من مطبوعات عمادة البحث العلمي.
- ٤- رسالة دكتوراة: التأصيل الشرعي لمفهوم فقه الواقع، أبو ياسر سعيد بن محمد بيهي، جامعة الحسن الثاني شعبة الدراسات الإسلامية، الدار البيضاء، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر.
- ٥- رسالة دكتوراة: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد السفياني، كلية الشريعة، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٧ هـ، الناشر: مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ٦- رسالة دكتوراة: السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي: لأحمد محيي الدين.
- ٧- رسالة دكتوراة: المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة؛ دراسة فقهية مقارنة، د. لمشير عمر خميس.
- ٨- رسالة دكتوراة: الهجرة في القرآن الكريم، لأحزمي سامعون، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
- ٩- رسالة دكتوراة: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، علي بن نفيح العلياني، كلية الشريعة، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- ١٠- رسالة دكتوراة: تأهيل المبتعثين للتعريف بالإسلام، د. عبدالرحمن جويل، من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ١١- رسالة دكتوراة: دستور الأخلاق في القرآن د. محمد عبدالله دراز، جامعة السوربون الفرنسية، وقد طبعت النسخة الفرنسية عام ١٩٥٠ م على حساب مشيخة الأزهر الشريف، قام بالتعريب والتحقيق والتعليق: د. عبد الصبور شاهين، طبعة مؤسسة الرسالة.
- ١٢- رسالة دكتوراة: سياسة التدرج في تطبيق الأحكام رسالة، د. كامل إبراهيم الزبياري.
- ١٣- رسالة دكتوراة: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات، د. شميم بن أحمد عبدالكريم، في جامعة الإمام محمد بن سعود، بكلية أصول الدين.
- ١٤- رسالة دكتوراة: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف د. محمد بن عبدالله الوهيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود، دار المسلم.



١٥- رسالة دكتوراة، فقه النوازل للأقليات المسلمة تأصيلاً وتطبيقاً، د. محمد يسري إبراهيم، وزارة الأوقاف في قطر.

١٦- رسالة دكتوراة، مفهوم البيان في القرآن والحديث، د. فاطمة بوسلامة.

### رسائل الماجستير:

١- رسالة ماجستير: اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة، د. عبدالرحمن بن معمر السنوسي.

٢- رسالة ماجستير: التدرج في دعوة النبي ﷺ، د. إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٣- رسالة ماجستير: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه. د. عبدالرزاق بن طاهر معاش، مدار الوطن، الرياض، ط١، ٢٠١٥م.

٤- رسالة ماجستير: الهجرة إلى بلاد غير المسلمين حكمها وآثارها المعاصرة في الشريعة، جامعة غزة، عبدالله يوسف أبو عليان.

٥- رسالة ماجستير: الهجرة في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالله الشويمان، جامعة الإمام.

٦- رسالة ماجستير: سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم. د. خالد الزهراني. جامعة أم القرى.

٧- رسالة ماجستير: ضوابط معاملة الحاكم، د. خالد بن ضحوي الظفيري في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٨- رسالة ماجستير: فقه الموازنات بين النظرية والتطبيق، ناجي إبراهيم السويد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٩- رسالة ماجستير، حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة، سيد سعيد عبدالغني، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠- رسالة ماجستير: التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر، بقسم الدعوة بجامعة أمر القرى، د. أحلام بنت محمد الدويخ.

### الأبحاث العلمية:

١- بحث: أدب الخلاف، د. متقذ بن محمود السقار منشور على موقع صيد الفوائد.

٢- بحث: الاختلاف الفقهي د. عطية فياض منشور على موقع منارات.

٣- بحث: التأديب بالهجر د. إبراهيم بن صالح التتم.





- ٤- بحث: التمييز بين الدعوي والسياسي قراءة في المفهوم أ. أحمد عمرو منشور على موقع المركز العربي للدراسات والأبحاث.
- ٥- بحث: الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية د. محمد الزحيلي، مؤتمر المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٣٣هـ.
- ٦- بحث: الحكم بما أنزل الله مفهومه وملامحه- د. عماد الدين خيتي- بحث منشور على موقع المجلس الإسلامي السوري.
- ٧- بحث: السلفية ومناهج التغيير، د. ياسر برهامي.
- ٨- بحث: السنن الإلهية وأثرها في تغيير حال الأمة، عبد الله الحاشدي.
- ٩- بحث: السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، بحث منشور على شبكة الألوكة.
- ١٠- بحث: السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، منشور على شبكة الألوكة.
- ١١- بحث: الشباب الإسلامي المعاصر، وضرورة الاجتهاد الدعوي، يونس صوالحي، مؤتمر الشباب وبناء المستقبل، القاهرة، ١٤٢٧هـ.
- ١٢- بحث: المصالح والمفاسد في الدعوة.. تفاوتها وتزاحمها وتعارضها د. أكرم بن مبارك الحضرمي، بحث منشور على شبكة الإنترنت.
- ١٣- بحث: الموازنة بين المصالح والمفاسد. د. هاني بن عبد الله الجبير- منشور في مجلة البيان سنة ٢٠١٢ العدد: ٢٩٨.
- ١٤- بحث: النظر في المآلات، وليد بن فهد الودعان، منشور على موقع الألوكة.
- ١٥- بحث: تحكيم الشريعة؛ د. علاء الزعفراني
- ١٦- بحث: تطبيق قاعدة اعتبار المآل في فقه الدعوة، الدكتورة أم كلثوم بنت يحيى- بحث علمي محكم منشور على موقع الملتنقى الفقهي، ونُشر في مجلة حوليات بجامعة بشار عام ٢٠١١م
- ١٧- بحث: تكميلي للمجستير بعنوان: قاعدة اعتبار المآلات وأثرها في الفتوى دراسة تأصيلية تطبيقية للباحث: إبراهيم الهامل.
- ١٨- بحث: ثوابت الأمة في ظل المتغيرات الدولية أ. د ناصر العمر، مؤتمر الآفاق المستقبلية للعمل الخيري بدولة الكويت، تحت إشراف مبرة الأعمال الخيرية.
- ١٩- بحث: حكم الهجر وضوابطه الشرعية يونس عبد الرب فاضل الطلول، منشور على موقع جامع الإيمان.
- ٢٠- بحث: حكم الهجر وضوابطه الشرعية، يونس عبد الرب فاضل الطلول، منشور على موقع جامعة الإيمان.



- ٢١- بحث: سنن التدافع، منشور على موقع طريق الإسلام.
- ٢٢- بحث: ضوابط فقه النوازل د. عبدالله اللاحم، منشور على موقع المسلم.
- ٢٣- بحث: ضوابط فقه النوازل د. عبدالله اللاحم، منشور على موقع المسلم. باختصار وتصرف.
- ٢٤- بحث: علم السنن وأهميته في الآفاق والأنفس، د. محمد أمحزون، مجلة البيان عدد ٢٠٧.
- ٢٥- بحث: فقه التدرج وإشكالية التطبيق د. أمين الدمييري - منشور في مجلة البيان العدد ٢٩٩ رجب ١٤٣٣ هـ.
- ٢٦- بحث: فقه المآلات واستشراف المستقبل، د. أحمد محمد كنعان.
- ٢٧- بحث: فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد. ودوره في الرقي بالدعوة الإسلامية د. حسين أحمد أبو عجوة، منشور بمجلة مجمع، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة، عدد ١١، ٢٠١٥ م.
- ٢٨- بحث: قاعدة «درء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة»: دراسة أصولية فقهية إعداد: د. حسن بن إبراهيم الهنداوي، بحث محكم في كلية معارف الوحي والعلوم والإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
- ٢٩- بحث: قاعدة اعتبار مآلات الأفعال، وأثرها في الأحكام الشرعية، د. عبدالرحمن رجو، منشور في موقع على بصيرة.
- ٣٠- بحث: قواعد في التعامل مع المخالف الشيخ، د. هاني بن عبدالله بن جبير، منشور على موقع صيد الفوائد.
- ٣١- بحث: قواعد وضوابط في اعتبار المصالح والمفاسد، د. سعد فياض.
- ٣٢- بحث: كيفية تشكيل الوعي الإسلامي، منشور على موقع مركز التأصيل للدراسات والأبحاث بتاريخ الجمعة ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ.
- ٣٣- بحث: متى نصر الله الابتلاء في حياة الدعاة، د. أحمد بلوافي، منشور بمجلة السنة، العدد الثامن.
- ٣٤- بحث: مدخل إلى فقه النوازل، للشيخ عبد الحق بن أحمد حميش، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٣٥- بحث: مشاركة الدعاة في العمل السياسي د. صلاح الصاوي.
- ٣٦- بحث: مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم، د. رمضان خميس زكي، جامعة الأزهر، بحث علمي محكم منشور في موقع الألوكة.
- ٣٧- بحث: مفهوم التدرج في تطبيق الشريعة، د. عطية فياض، منشور على موقع السكينة.
- ٣٨- بحث: مفهوم فقه الموازنات وأدلتها د. محمود حامد عثمان، مؤتمر: فقه الموازنات في الحياة المعاصرة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٤ هـ.
- ٣٩- بحث: منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين للشيخ: هشام بن إسماعيل منشور في: مجلة البيان العدد: ٣٨ / صفحة: ٣٦.



- ٤٠- بحوث مؤتمر: أحكام النوازل السياسية، رابطة علماء المسلمين، بدولة قطر بمدينة الدوحة بتاريخ ٢-٣-رجب-١٤٣٣هـ.
- ٤١- بحوث مؤتمر: فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصرة، المنعقد في الفترة ٢٧-٢٩ شوال ١٤٣٤هـ، بتنظيم كلية الشريعة بجامعة أم القرى.
- ٤٢- بحوث ندوة «الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي: الضوابط، المجالات، الآثار» الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رعاية كرسي الشيخ بن باز للحكمة في الدعوة.
- ٤٣- بحث: تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، د. محمد حسنين بحث مقدم لجائزة الأمير نايف للسنة النبوية.
- ٤٤- بحث: الحفاظ على الهوية الإسلامية في إطار التجديد، عبد السلام جعفر، نُشر المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة.

### المقالات:

- ١- مقال: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، د. جمال نصار، منشور على الشبكة.
- ٢- مقال: تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال د. عطية عدلان، مجلة البيان عدد ٣١٤.
- ٣- مقال: تجديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، د. عطية عدلان، منشور على موقع الألوكة.
- ٤- مقال: تجديد الخطاب الدعوي، د. مبروك الصيعري، منشور على موقع صيد الفوائد.
- ٥- مقال: مفهوم التجديد والابتداع، أسامة مطر، مجلة الوعي منشور على الشبكة.
- ٦- مقال: نظرات في حديث التجديد، محمد مسعد، منشور على موقع صيد الفوائد.
- ٧- مقال: ابتلاءات بعض الأنبياء والرسل.. في القرآن الكريم، د. جلال المنوفي منشور على موقع طريق الإسلام.
- ٨- مقال: التمييز بين الدعوي والسياسي.. ضرورة أم انحراف؟ د. مصطفى النجار.
- ٩- مقال: التمييز بين السياسي والدعوي خطوة نحو التخصص، كمال ناجي.
- ١٠- مقال: الثواب والمتغيرات د. عبد الرحمن صالح المحمود.
- ١١- مقال: الحكمة من الدعوة السرية د: محمد أمحزون، منشور على موقع قصة الإسلام.
- ١٢- مقال: الدعاة والعمل السياسي أ. شريف عبدالعزيز منشور على موقع ملتقى الخطباء.
- ١٣- مقال: بيان مجلس هيئة كبار العلماء المنعقد بالطائف في دورته التاسعة والأربعين بتاريخ ٤/٢/١٤١٩هـ.
- ١٤- مقال: حاجة الدعاة إلى فقه الموازنات.
- ١٥- مقال: دعاة وساسة، د. عبد الكريم البكار
- ١٦- مقال: دعاة وساسة، د. عبد الكريم البكار، منشور على موقع الإسلام اليوم.

- ١٧- مقال: سؤال للشيخ ابن باز عن حكم المشاركة في العمل السياسي، مجلة الإصلاح السودانية، العدد ٢٤١.
- ١٨- مقال: ضوابط الحكم على الناس لأبي عاصم البركاتي المصري منشور على موقع الألوكة.
- ١٩- مقال: عوامل النصر والهزيمة في ضوء القرآن الكريم، د. أنور صالح أبو زيد، منشور على موقع الألوكة.
- ٢٠- مقال: فتوى الشيخ ابن جبرين عن الدعوة والعمل السياسي، على موقعه برقم «١٠٢٥٤».
- ٢١- مقال: فقه المآلات. في الملتقى الفقهي للباحث: أمين منصور الدعيس.
- ٢٢- مقال: فقه مآلات الأمور د. عبدالله الشري، جريدة الجزيرة ٢٢/ ١١/ ١٠١٣.
- ٢٣- مقال: فوائد الوعي د. حمزة الفتحي على موقع صيد الفوائد.
- ٢٤- مقال: في فقه المآلات د. عمر عبدالكريم، منشور في جريدة المصريون.
- ٢٥- مقال: قواعد عامة في الرد على شبهات النصارى، د. رفاعي سرور، منشور على موقع طريق الإسلام.
- ٢٦- مقال: مدافعة الشبهات د. عبدالعزيز آل عبداللطيف، منشور على موقع إسلام ويب.
- ٢٧- مقال: منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها، منشور على موقع منتدى التوحيد.
- ٢٨- مقال: موافقة قول الخطيب عمله - د. مصطفى عطية جمعة مجلة البيان عدد «٢٧٨».

### المحاضرات الصوتية:

- ١- محاضرة: الجهاد ضوابطه وشروطه، للشيخ صالح آل فوزان، ألقاها ضمن برنامج العناية بالمساجد ومنسوبيها بجماع الإمام تركي بن عبدالله بمدينة الرياض عام ١٤٣٠ هـ.
- ٢- محاضرة: فقه الفتن، أ. د. سليمان الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومشور على موقع اليوتيوب.
- ٣- محاضرة: فقه الواقع د. حمد العثمان، منشورة على موقع اليوتيوب.
- ٤- محاضرة: فقه الواقع للشيخ عبدالله المطلق.
- ٥- محاضرة: لقاء الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين شريط رقم ٢١١، و٤٧.
- ٦- محاضرة: للشيخ عبدالله المطلق حول فقه الواقع.
- ٧- محاضرة: منهج إصلاح العقل في الفكر الإسلامي، لمعالي الشيخ د. صالح ال الشيخ.
- ٨- محاضرة: منهج السلف في التعامل مع الشبهات، محاضرة مفرغة للشيخ عبدالكريم الخضير منشورة على موقعه.
- ٩- محاضرة: ترشيد العمل الدعوي المعاصر د. عصام البشير، مفرغة، منشورة في مجلة العالمية عدد ٣٤٧.
- ١٠- دورة: كيفية التعامل مع الشبهات حول الإسلام م. فاضل سليمان، مدير مؤسسة جسور للتعريف بالإسلام وتدريب الدعوة، ضمن مؤتمر فور شباب السنوي، ٢٠١٢ م، منشورة على موقع اليوتيوب.





## فهرس الموضوعات

### الفصل الرابع: قضايا منهجية في آليات الدعوة

- ٣٣٩.....المبحث الأول: التربية والتزكية في العمل الدعوي
- ٣٤١.....المطلب الأول: مفهوم التربية والتزكية
- ٣٤١.....أولاً: تعريف التزكية
- ٣٤٢.....ثانياً: تعريف التربية
- ٣٤٢.....ثالثاً: المقصود بالتربية والتزكية في الدعوة
- ٣٤٢.....رابعاً: أنواع التربية
- ٣٤٣.....المطلب الثاني: أهمية التربية والتزكية
- ٣٤٨.....المطلب الثالث: معالم في التزكية والتربية
- ٣٤٨.....أولاً: توحيد مصدر التلقي في التربية والتزكية
- ٣٤٩.....ثانياً: التربية على الربانية بربانية
- ٣٥٠.....ثالثاً: التربية على الوسطية بوسطية
- ٣٥١.....رابعاً: موافقة النصوص الشرعية لفظاً ومعنى في التربية والتزكية
- ٣٥١.....خامساً: مراعاة أحوال المدعوين في التربية
- ٣٥٣.....المطلب الرابع: ثمرات التزكية والتربية
- ٣٥٣.....أولاً: المبادرة والمشاركة لفعل الخير
- ٣٥٣.....ثانياً: تقوية الوازع الداخلي
- ٣٥٤.....ثالثاً: الزهد في الدنيا
- ٣٥٤.....رابعاً: التأييد الإلهي
- ٣٥٥.....خامساً: إيقاظ القوى الخفية في النفس
- ٣٥٥.....سادساً: الرغبة في الله



- سابعاً: اختفاء الظواهر السلبية وقلة المشكلات بين الأفراد ..... ٣٥٥
- ثامناً: التأثير الإيجابي في الناس ..... ٣٥٦
- تاسعاً: اتخاذ القرارات الصعبة ..... ٣٥٧
- عاشراً: الشعور بالسكينة والطمأنينة ..... ٣٥٧
- المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٣٥٩**
- المطلب الأول: مكانة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين .... ٣٦١**
- المطلب الثاني: شروط إنكار المنكر ..... ٣٦٥**
- أولاً: التحقق من كونه منكراً ..... ٣٦٥
- ثانياً: أن يكون المنكر موجوداً في الحال ..... ٣٦٦
- ثالثاً: أن يكون ظاهراً من غير تجسس ما لم يكن مجاهراً ..... ٣٦٧
- رابعاً: أن يكون الإنكار في الأمور التي لا خلاف يعتبر فيها ..... ٣٦٨
- المطلب الثالث: مراتب إنكار المنكر ..... ٣٦٨**
- المرتبة الأولى: الإنكار باليد ..... ٣٦٨
- المرتبة الثانية: الإنكار باللسان ..... ٣٦٩
- المرتبة الثالثة: التغيير بالقلب ..... ٣٧٢
- المطلب الرابع: تنبيهات منهجية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٣٧٣**
- أولاً: الشرع هو الأصل في تقرير المعروف والمنكر ..... ٣٧٣
- ثانياً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٣٧٤
- ثالثاً: العلم والبصيرة بحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٣٧٥
- رابعاً: تقديم الأهم على المهم ..... ٣٧٦
- خامساً: اعتبار المصالح والمفاسد ..... ٣٧٧
- سادساً: التثبت في الأمور وعدم العجلة ..... ٣٧٨
- سابعاً: مطابقة القول بالعمل ..... ٣٧٩
- ثامناً: الصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٣٨٠



- ٣٨١ ..... تاسعا: الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميعهما.
- ٣٨٣ ..... المبحث الثالث: رفع الظلم وكلمة الحق عند سلطان جائر.
- ٣٨٥ ..... المطلب الأول: الشريعة جاءت برفع الظلم والوعيد عليه.
- ٣٨٧ ..... المطلب الثاني: طبيعة الملك وفتنته وخطورته.
- ٣٨٩ ..... المطلب الثالث: مشروعية الإنكار على أئمة الجور.
- ٣٩١ ..... المطلب الرابع: الواجب على الدعاة والعلماء تجاه أئمة الجور لرفع الظلم ....
- ٣٩١ ..... أولاً: عدم إعاتهم على ظلمهم وتصديقهم في كذبهم.
- ٣٩٢ ..... ثانياً: السعي في رفع الظلم ومنعهم منه، أو تخفيفه وتقليله ما أمكن.
- ٣٩٣ ..... ثالثاً: إعانة أئمة الجور والتعاون معهم في جوانب الخير التي تعمُّ مصلحتها دين المسلمين وديانهم.
- ٣٩٤ ..... رابعاً: إنفاق الأموال السلطانية التي أخذت ظلماً ولا يُعلم أصحابها في مصالح المسلمين العامة.
- ٣٩٤ ..... خامساً: إخلاص النية في كل ما سبق، وأن يكون المراد هو إعلاء الدين، وليس الجاه أو المنصب أو الشهرة أو إظهار الشجاعة.
- ٣٩٥ ..... سادساً: مراعاة الآداب في مناصحة الأئمة عموماً.
- ٣٩٨ ..... المطلب الخامس: كلمة الحق أمام الحكام لا تعني الخروج عليهم.
- ٤٠١ ..... المبحث الرابع: الجهاد وعلاقته بالدعوة.
- ٤٠٣ ..... المطلب الأول: مفهوم الجهاد.
- ٤٠٥ ..... المطلب الثاني: فضل الجهاد.
- ٤٠٦ ..... المطلب الثالث: أهمية الجهاد في الدعوة إلى الله.
- ٤٠٨ ..... المطلب الرابع: حكم الجهاد في سبيل الله.
- ٤١٠ ..... المطلب الخامس: تنبيهات حول فقه الجهاد في الدعوة إلى الله.
- ٤١٠ ..... أولاً: السعي لترشيد الجهاد وتسديده.
- ٤١١ ..... ثانياً: أن تتحقق المصلحة بإعزاز الدين، والدفع عن المستضعفين.



- ثالثا: الموقف الصحيح عند عدم قدرة الأمة على الجهاد ..... ٤١١
- رابعا: الاستفادة من سيرة النبي في فقه الجهاد ..... ٤١٢
- خامسا: الحذر من الاستعجال ..... ٤١٢
- سادسا: حسن التقدير لقوة العدو وقوة النفس ..... ٤١٢
- سابعا: اليقين بأن العاقبة للمؤمنين عند تحقيق مقومات النصر ..... ٤١٣
- ثامنا: عدم تمني لقاء العدو وسؤال الله العافية ..... ٤١٣
- تاسعا: مراعاة أخلاق الجهاد ..... ٤١٥
- عاشرا: قبول السلم والهدنة إن طلب العدو المقاتل ..... ٤١٦
- الحادي عشر: حسن معاملة الأسرى ..... ٤١٧
- المطلب السادس: هل انتشر الإسلام بالسيوف..... ٤١٨**
- المطلب السابع: مسألة إذن الإمام بالجهاد..... ٤٢١**
- المبحث الخامس: الدعوة إلى الله بين السرية والجهرية ..... ٤٢٧**
- المطلب الأول: تأصيل السرية في الدعوة إلى الله..... ٤٢٩**
- المطلب الثاني: بين السرية وأخذ الحيطة والحذر..... ٤٣٣**
- أولا: السرية في الدعوة منهجية استثنائية ..... ٤٣٣
- ثانيا: أخذ الحيطة والحذر منهجية دعوية ..... ٤٣٤
- النموذج الأول: أخذ الحيطة والحذر في دار الأرقم ..... ٤٣٥
- النموذج الثاني: أخذ الحيطة والحذر في هجرته للمدينة ..... ٤٣٦
- المطلب الثالث: قواعد منهجية في السرية في الدعوة..... ٤٣٧**
- المبحث السادس: الدعوة إلى الله والعمل السياسي..... ٤٤١**
- المطلب الأول: الكلام على قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد ..... ٤٤٤**
- المطلب الثاني: تنبيهات للدعاة خاصة في المشاركة السياسية..... ٤٤٩**
- أولا: وجوب الاعتقاد بفساد الأنظمة الوضعية ..... ٤٤٩
- ثانيا: لا بد للعلماء من تخصيص من يقوم بالعمل السياسي ..... ٤٥٠





- ثالثا: وجوب صدع الدعاة بالحق فيما ينبغي في القضايا السياسية ..... ٤٥٠
- رابعا: موقف العاملين للإسلام من بعضهم في العمل السياسي ..... ٤٥١
- خامسا: وجوب التخطيط الجيد للإصلاح السياسي وترتيب أولوياته .... ٤٥٢
- المطلب الثالث: كفاية من يشارك في العمل السياسي ..... ٤٥٣**
- المطلب الرابع: ضرورة التمييز بين العمل الدعوي والسياسي ..... ٤٥٥**
- أولاً: لا يعني التمييز بين الدعوة والسياسة فصل الدين عن الدولة ..... ٤٥٥
- ثانياً: نغني بالتمييز بين الدعوي والسياسي التمييز العملي التنظيمي التخصصي ..... ٤٥٦
- المطلب الخامس: مبررات التمييز بين العمل الدعوي والعمل السياسي .... ٤٥٧**
- المبحث السابع: فقه التعامل مع الشبهات ..... ٤٦١**
- المطلب الأول: مقدمات حول فقه التعامل مع الشبهات ..... ٤٦٤**
- أولاً: معنى الشبهة ..... ٤٦٤
- ثانياً: أقسام الشبهات ..... ٤٦٥
- ثالثاً: أساليب ووسائل صناعة الشبهة ..... ٤٦٥
- رابعا: أسباب ظهور الشبهات ..... ٤٦٦
- خامسا: وجوب الرد على الشبهات ..... ٤٦٦
- سادسا: تنيهات أساسية في التعامل مع الشبهات ..... ٤٦٧
- سابعا: فوائد الرد على الشبهات ..... ٤٦٩
- المطلب الثاني: خطر الشبهات ..... ٤٧٠**
- المطلب الثالث: قواعد للداعية في التعامل مع الشبهات وقاية وعلاج ..... ٤٧٣**
- أولاً: قواعد وقائية للدعاة من الشبهات ..... ٤٧٣
- ١- تعزيز اليقين بأصول الإسلام ..... ٤٧٣
- ٢- تكوين العقل الناقد ..... ٤٧٤
- ٣- التأصيل الشرعي ..... ٤٧٤
- ٤- تحديد مصادر التلقي والمعرفة والموقف من كل مصدر ..... ٤٧٤



- ٥- عدم التعرض لخطاب الشبهات من غير المتخصص ..... ٤٧٤
- ٦- القراءة الوقائية في كتب الردود على الشبهات ..... ٤٧٥
- ٧- الدعاء والابتهاال ..... ٤٧٥
- ثانياً: قواعد للتعامل مع الإشكالات والشبهات بعد ورودها ..... ٤٧٦
- المطلب الرابع: أخلاق الداعية الرَّادِّ على الشبهات ..... ٤٧٧**
- المطلب الخامس: قواعد منهجية في الرد على الشبهات ..... ٤٧٩**
- أولاً: النظر في صحة مقدمات السؤال لهدم النتائج ..... ٤٧٩
- ثانياً: النظر في صحة الدليل ..... ٤٨٠
- ثالثاً: النظر في صحة الاستدلال: ..... ٤٨٠
- رابعاً: تحديد موطن الشبهة ..... ٤٨١
- خامساً: اختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء ..... ٤٨١
- سادساً: تنفيذ الافتراء بقوة مع الاهتمام بإزالة موطن الشبهة ..... ٤٨٢
- سابعاً: مكان القوة في رد الشبه ..... ٤٨٣
- ثامناً: حسن الاستدلال على الردود ..... ٤٨٣
- تاسعاً: بيان تهافت الافتراء وتفاهته ..... ٤٨٤
- عاشراً: بيان أن ما أراد المفترى إظهاره كنقيصة هو من المحامد والمحاسن ..... ٤٨٥
- الحادي عشر: افتراض الإيرادات على الرد وإبطالها ..... ٤٨٦
- الثاني عشر: إلزام المفترى بما يعتقدده والرد عليه من دينه ..... ٤٨٦
- الثالث عشر: ختام الرد بتلخيص أهم ما جاء فيه من نقاط ..... ٤٨٧
- الرابع عشر: عدم الخوض في الرد بدون تمكن وعلم ..... ٤٨٨
- الخامس عشر: رد المتشابه إلى المحكم ..... ٤٩٠
- السادس عشر: رد الشبهة لعدم معقوليتها ..... ٤٩٠
- السابع عشر: إظهار التناقضات بجوار رد الشبهات ..... ٤٩١
- الثامن عشر: التفريق بين نص الوحي وفهم المسلمين ..... ٤٩١



- التاسع عشر: مراعاة الفرق بين الطرح العلمي وطرح المواجهة..... ٤٩١  
العشرون: تبيهاً إلى سلبات لا بد من اجتنابها..... ٤٩٢  
المطلب السادس: حسن الأسلوب في الرد على الشبهات..... ٤٩٣

### الفصل الخامس: قضايا منهجية في التعامل مع المتغيرات الدعوية

- المبحث الأول: فقه الهجرة..... ٥٠١  
المطلب الأول: مفهوم الهجرة وأنواعها..... ٥٠٣  
أولاً: تعريف الهجرة لغة وشرعاً..... ٥٠٣  
ثانياً: أنواع الهجرة..... ٥٠٥  
ثالثاً: بواعث وغايات الهجرة..... ٥٠٥  
المطلب الثاني: أحكام الهجرة..... ٥٠٦  
أحدها: من تجب عليه الهجرة..... ٥٠٧  
الثاني: من لا هجرة عليه..... ٥٠٨  
الثالث: من تستحب له ولا تجب عليه..... ٥٠٨  
المطلب الثالث: مفهوم دار الإسلام ودار الكفر..... ٥٠٩  
المطلب الرابع: خطورة بقاء المسلم في بلد لا يقيم فيها دينه ولا دعوته..... ٥١٠  
المطلب الخامس: معالم منهجية من خلال هجرة لحبشة..... ٥١٢  
المنهجية الأولى: أسباب الهجرة..... ٥١٣  
المنهجية الثانية: شفقة الداعية على المدعويين..... ٥١٤  
المنهجية الثالثة: أهلية الداعية المهاجر لعرض رسالة الإسلام..... ٥١٥  
المنهجية الرابعة: مشروعية الخروج عن الوطن إذا كان الخروج فراراً بالدين وإن لم يكن إلى دار إسلام، فإن أهل الحبشة كانوا نصارى..... ٥١٥  
المنهجية الخامسة: يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين..... ٥١٦  
المبحث الثاني: فقه الفتن والموقف منها..... ٥١٧  
المطلب الأول: مفهوم الفتنة..... ٥٢٠



- أولاً: الفتنة لغة ..... ٥٢٠
- ثانياً: الفتنة اصطلاحاً ..... ٥٢٠
- المطلب الثاني: أنواع الفتن وأسبابها..... ٥٢١**
- النوع الأول: فتنة الشبهات ..... ٥٢١
- النوع الثاني فتنة الشهوات ..... ٥٢٢
- المطلب الثالث: الموقف الصحيح من الفتن..... ٥٢٣**
- أولاً: لزوم السنة ..... ٥٢٤
- ثانياً: الحرص على العلم والفرار من الجهل ..... ٥٢٤
- ثالثاً: لزوم العلماء ..... ٥٢٤
- رابعاً: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ..... ٥٢٥
- خامساً: لزوم الكبار وتجنب ما ينفرد به الصغار ..... ٥٢٥
- سادساً: الحذر من التلون والتغير وقت الفتن ..... ٥٢٦
- سابعاً: قبول الحق من كل أحد ولو كان بعيداً بغيضاً، ورد الباطل من كل أحد ولو كان قريباً حبيباً ..... ٥٢٦
- ثامناً: الحذر من التوسع في شأن الرؤيا والعمل بها خاصة وقت الفتن .... ٥٢٦
- تاسعاً: حفظ اللسان وقلة الكلام في الفتن ..... ٥٢٦
- عاشراً: عدم اتباع العواطف في الفتنة ..... ٥٢٧
- المطلب الرابع: مسألة القعود في الفتنة..... ٥٢٧**
- المبحث الثالث: سنن النصر والتمكين ومناهجه..... ٥٣١**
- المطلب الأول: مقومات النصر والتمكين ..... ٥٣٤**
- أولاً: الإيمان والعمل الصالح ..... ٥٣٤
- ثانياً: نصر دين الله تعالى ..... ٥٣٥
- ثالثاً: التوكل على الله والأخذ بالأسباب بالضوابط الشرعية..... ٥٣٥
- رابعاً: تقوى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ..... ٥٣٦



- ٥٣٦ ..... خامسا: الصبر
- ٥٣٧ ..... سادسا: اليقين بنصر الله
- ٥٣٧ ..... سابعا: الثبات على الحق والتواصي على ذلك
- ٥٣٨ ..... ثامنا: الإكثار من الدعاء ومن ذكر الله تعالى
- ٥٣٩ ..... تاسعا: طاعة الله ورسوله
- ٥٤٠ ..... عاشرا: عدم التنازع
- ٥٤١ ..... الحادي عشر: الإخلاص لله تعالى والحذر من الدنيا
- ٥٤٢ ..... **المطلب الثاني: لماذا يتأخر النصر والتغيير**
- ٥٤٥ ..... **المطلب الثالث: المنهج القويم في النصر والتمكين**
- ٥٤٩ ..... **المبحث الرابع: فقه التمييز والتمايز في الدعوة**
- ٥٥١ ..... **المطلب الأول: سنة التمييز بين الحق والباطل**
- ٥٥٣ ..... **المطلب الثاني: التمييز والتمايز في دعوة الأنبياء ﷺ**
- ٥٥٤ ..... **المطلب الثالث: خطاب الله تعالى للنبي ﷺ بالتميز والتمايز في الدعوة**
- ٥٥٨ ..... **المطلب الرابع: التمييز والتمايز في التلقي**
- ٥٥٩ ..... **المطلب الخامس: تطبيق النبي ﷺ للتمييز والتمايز في الدعوة**
- ٥٦٣ ..... **المبحث الخامس: فقه السنن الإلهية**
- ٥٦٦ ..... **المطلب الأول: مقدمات حول السنن الإلهية**
- ٥٦٦ ..... أولا: السنة في اللغة
- ٥٦٦ ..... ثانيا: السنن الإلهية اصطلاحا
- ٥٦٧ ..... ثالثا: الشواهد الدالة على فقه السنن الإلهية
- ٥٦٨ ..... رابعا: طرق معرفة السنن الإلهية
- ٥٦٩ ..... **المطلب الثاني: نماذج للسنن الإلهية**
- ٥٦٩ ..... أولا: سنة التدرج
- ٥٧٠ ..... ثانيا: سنة التغيير



- ٥٧١ ..... ثالثا: سنة التدافع بين الحق والباطل
- ٥٧١ ..... رابعا: سنة المداولة
- ٥٧٢ ..... خامسا: سنة النصر والتمكين
- ٥٧٣ ..... سادسا: سنة الله تعالى في الظالمين وأعداء الأنبياء
- ٥٧٤ ..... سابعا: سنة الابتلاء
- ٥٧٥ ..... ثامنا: سنة العداء لأصحاب الدعوات والاستهزاء بهم وتكذيبهم
- ٥٧٥ ..... تاسعا: سنة الأخذ بالأسباب
- ٥٧٧ ..... عاشرا: سنة الإملاء والإمهال والاستدراج
- ٥٧٧ ..... الحادي عشر: سنة الاستبدال
- ٥٧٨ ..... **المطلب الثالث: أهمية فقه السنن الإلهية في الدعوة إلى الله**
- ٥٧٩ ..... أولا: معرفة السنن الإلهية فريضة شرعية
- ٥٨٠ ..... ثانيا: لا نستطيع أن نفهم التاريخ ونحلل الأحداث إلا بفهم السنن الإلهية
- ٥٨٠ ..... ثالثا: معرفة السنن والسير على هداها أخذ بأسباب النصر والتمكين والفلاح
- ٥٨١ ..... رابعا: في معرفة السنن والسير على هداها اجتماع للكلمة ووحدة للصف
- ٥٨١ ..... خامسا: في معرفة السنن ما يرسخ في الدعاة تعظيم الله ووجهه
- ٥٨٢ ..... سادسا: معرفة عواقب الأمور ونتائج الأحداث
- ٥٨٢ ..... سابعا: تقييم الحاضر وبنائه، واستشراف المستقبل
- ٥٨٣ ..... ثامنا: تصحيح الصورة السيئة على الإسلام
- ٥٨٣ ..... تاسعا: تحقيق أهداف الدعوة
- ٥٨٥ ..... **المطلب الرابع: خصائص السنن الإلهية**
- ٥٨٥ ..... الخاصة الأولى: الثبات
- ٥٨٥ ..... الخاصة الثانية: العموم
- ٥٨٦ ..... الخاصة الثالثة: الاطراد
- ٥٨٧ ..... **المطلب الخامس: منهجية التعامل مع السنن الإلهية**



- أولاً: التعرف على السنن الربانية والفهم الجيد لها ..... ٥٨٧
- ثانياً: عدم التصادم مع سنن الله تعالى ..... ٥٨٧
- ثالثاً: المغالبة ..... ٥٨٨
- رابعاً: الاستخدام ..... ٥٨٨
- خامساً: التحويل ..... ٥٨٨
- سادساً: الاستعانة ببعض السنن على بعض ..... ٥٨٨
- المبحث السادس: التجديد الدعوي ..... ٥٨٩**
- المطلب الأول: مفهوم تجديد الخطاب الدعوي من خلال حديث التجديد ..... ٥٩١**
- المطلب الثاني: مفاهيم خاطئة للتجديد ..... ٥٩٤**
- أولاً: الابتداع مختلف عن التجديد ..... ٥٩٤
- ثانياً: التجديد مختلف عن تحريف النصوص ونقدها ..... ٥٩٥
- ثالثاً: فقه المراجعات ..... ٥٩٦
- المطلب الثالث: رؤية عامة حول التجديد الديني والدعوي ..... ٥٩٧**
- المطلب الرابع: دواعي التجديد في الخطاب الدعوي ..... ٦٠١**
- المطلب الخامس: مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر وعلاجها ..... ٦٠٤**
- أولاً: النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين ..... ٦٠٤
- ثانياً: الانفصال بين الخطاب الدعوي وواقع المجتمع ..... ٦٠٦
- ثالثاً: سيطرة المذهبية الفكرية والفقهية على عقلية الداعية ..... ٦٠٦
- رابعاً: الاختلاف الكثير بين الدعاة ..... ٦٠٦
- خامساً: التركيز على قضايا غير معاصرة ..... ٦٠٧
- سادساً: الغفلة عن طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الخلق ..... ٦٠٨
- سابعاً: قصر الخطاب الدعوي على المستقيمين ..... ٦٠٨
- ثامناً: عدم وضوح الرؤية لدى الداعية ..... ٦٠٩
- تاسعاً: فقدان أو ضعف القدرات والمهارات الخطابية ..... ٦٠٩



- عاشراً: الخضوع لضغط الواقع والانسياق تحت سطوته ..... ٦١٠
- المطلب السادس: أسس الخطاب الدعوي المعاصر** ..... ٦١٠
- أولاً: الأصالة المنهجية الشرعية ..... ٦١٠
- ثانياً: الشمول التكاملي المؤثر ..... ٦١١
- ثالثاً: التوازن النسبي الملائم ..... ٦١٢
- رابعاً: الإقناع العقلي ..... ٦١٢
- خامساً: الحوار الهادف ..... ٦١٢
- سادساً: التيسير الشرعي المرغّب ..... ٦١٣
- سابعاً: مراعاة الاختصاص ..... ٦١٤
- ثامناً: الموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة ..... ٦١٥
- تاسعاً: الأخذ بجميع النصوص ..... ٦١٦
- عاشراً: التركيز على القواعد الكلية والأصول الجامعة ..... ٦١٦
- الحادي عشر: احترام عقول المخاطبين ..... ٦١٧
- الثاني عشر: البصيرة الفقهية ..... ٦١٧
- الثالث عشر: البيان المبين ..... ٦١٨
- الرابع عشر: إحياء فقه الأولويات، وتربية الدعاة عليه ..... ٦١٩
- الخاتمة** ..... ٦٢٠
- ثبت المراجع والمصادر** ..... ٦٤٢
- فهرس الموضوعات** ..... ٦٧٣

